

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الأصْبَحُ

في بيان منهج السلف
في التربية والإصلاح

راجعه وصححه
وقدم له وعلق عليه
صاحب الفضيلة العلامة الشيخ
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

بِتَأْمِينِ
عبد الله بن صالح العيسى



www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

الأصابع

في بيان منهج السلف
في التربية والإصلاح

راجعته وصححه
وقدم له وعلق عليه

صاحب الفضيلة العلامة الشيخ
صالح بن فوزان الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء

بسم
عبد الله بن صالح العبدان



جميع حقوق النشر والطبع والتوزيع والحقوق المادية والفكرية والأدبية
وحقوق النسخ والتصوير الضوئي والإلكتروني والترجمة لجميع اللغات
محفوظة لشركة غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان - الكويت

يمنع منعاً باتاً تنزيل الكتاب على شبكة ومواقع الانترنت

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الطبعة الثانية

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م



الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجارية

هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - ٤٨٤٤٧٤٣ - فاكس ٤٨٣٨٤٩٥

الكويت - الخالدية: ص. ب: ١٧٠١٢ - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١

فرع القاهرة: عين شمس الشرقية - أحمد عصمت - ١ ش صعب صالح -

برج الأمانة ، هاتف: ٠٠٢٠٢٢٤٩٩٨٣٥٦ - ٠٠٢٠١٢٦٣٠٤٠٧٥

Website: www.gheras.com

E-Mail: info@gheras.com

مقدمة الناشر

الحمد لله فالق الإصباح، نور السماوات والأرض، مُوضح المحجة البيضاء، ومقيم الملة الغراء، والصلاة والسلام على المصطفى، والنبى المجتبى، أشرف المرسلين، وسيد الأولين والآخرين، محمد ﷺ دائماً وأبداً.

أما بعد :

فهذه رسالة قيمة نقدمها للقراء اليوم، بعد أن قدمنا الكثير من الكتب النافعة، بفضل الله تعالى ومَنَّهُ؛ وذلك إيماناً منا بأن الاهتمام بالنشر الإسلامي من أهم طرق الدعوة، ونشر كلمة الحق، ووقوفاً أمام مسؤولياتنا تجاه ديننا وتاريخنا المجيد، لا سيما بعد أن عَجَّت المكاتب في هذه الأزمنة بكم كبير من الكتب والرسائل وفيها - كما لا يخفى على المطلعين - الغث والسمين، وفي بعضها تَعَدُّ على التراث العلمي التليد بسوء التحقيق والإخراج والإعداد والنشر، وأخذنا على عاتقنا، والحمد لله، حمل أمانة الكتاب الإسلامي، والقيام بشئونه، وإخراج النافع منها على أكمل وجه، ونسأل الله تعالى الإعانة والسداد.

وهذه الرسالة، كما عنونها المؤلف، تهتم في جانب مهم في منهج أهل السنة والجماعة، وهو التقرير المنهجي في التربية والإصلاح، الذي غفل عنه العديد ممن كَتَب، أو تَصَدَّر للخطب والمحاضرات، وتغافل في بيانه من المناوئين الكثير، فكانت من الضرورة البالغة ذكرها

وتخصيصها بمؤلف، بعد أن كانت تُذكر ضمناً في مدونات عقائدنا، وذلك لعدم الحاجة لتخصيص ذلك بالكلام، أما اليوم بعد أن اختلطت العقول؛ ومن ثم وقعت فتن تجعل الحليم حيراناً، كان من الحاجة الماسة ذكر ذلك بكتاب مستقل، يلم شعث الموضوع، ويجمع أطرافه، فكان والحمد لله كذلك .

كما طرّز المؤلف حفظه الله قواعده بنقل من درر مقالات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه النجيب ابن قيم الجوزية، رحمهما الله تعالى رحمة واسعة، وجزاهم عن الإسلام وأهله خير الجزاء، فكانت هاتيك النقول شارحة لتلك القواعد وناصّة عليها، ومما أعطى هذه الرسالة أهمية خاصة هو شرح سماحة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، حفظه الله، لهذه القواعد والتعليق عليها بما ينفع الإسلام والمسلمين .

وفي الختام نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجعل هذا العمل متقبلاً، وأن ينفع به المسلمين، وأن يجزل كل من أعان على إخراج هذا السّفر بأبهى حلله، إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه، وصلّى اللهم وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

شركة غراس للنشر والتوزيع

نجم بن سهيل السماعيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد اطلعت على الرسالة التي هي بعنوان: «الإصباح في بيان منهج السلف في التربية والإصلاح» من تأليف الشيخ: عبد الله بن صالح العبيلان، فوجدتها رسالة قيمة مفيدة مؤصلة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، يحتاج إليها الدعاة والمدرسون وعموم المسلمين، فجزاه الله خيراً ونفع بما كتب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

في ٢/١٠/١٤٢٨ هـ

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢)

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْكُمْ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١)

[النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ ، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

• ثم أما بعد:

فإن من واجب أهل العلم القيام بأمر الله، تعليمًا ودراسة، كما قال

تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتَّابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩]. وذلك يتطلب منهم الدعوة إلى الله، وتطهير شرعه ومنهجه، وألا يقولوا على الله إلا الحق، ويحذروا من طريقة علماء اليهود الذين يلبسون الحق بالباطل، ويكتمونه أو يخفونه أو يحرفونه، أو يلوون ألسنتهم به، قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١]. قال عليه الصلاة والسلام: « لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله^(١). قال البخاري^(٢) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: هم أهل العلم.

قال الزهري: كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسنة هو النجاة. وقال مالك: السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق. وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج هو الصراط المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله، والرسول هو الدليل الهادي في هذا الصراط، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وجرت عادة أهل العلم على مر العصور تصنيف مؤلفات يسمونها السنة، والاعتصام بالكتاب والسنة، أو يفردون لها أبوابا في كتب الحديث؛ تذكيرا بمنهاج الرعيل الأول، السلف الصالح، وردا على

(١) سيأتي تخريجه ص ١٢٩.

(٢) في صحيحه (٢٦٦٦/٦).

المخالفين لهم .

وَمِنْ هُنَا جَاءَ تَصْنِيفُ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ، وَقَدْ بَدَأْتُ فِي كِتَابَتِهَا عَامَ ١٤١٣ ، وَقَرَأْتُ بِضَعِّ عَشْرَةِ قَاعِدَةٍ مِنْهَا عَلَى شَيْخِنَا صَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الْعَلَامَةِ الْمُحَقِّقِ : صَالِحِ بْنِ فَوْزَانَ الْفَوْزَانِ ، وَعَلَّقَ عَلَيْهَا فِي حَيْثِهِ ، وَهِيَ مَسْجَلَةٌ فِي ثَلَاثَةِ أَشْرَطَةٍ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَسَّرَ لِي إِتْمَامَهَا ، حَيْثُ بَلَغْتُ أَرْبَعًا وَخَمْسِينَ قَاعِدَةً ، وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى فَضِيلَتِهِ وَرَاجَعَهَا ، وَأَشَارَ عَلَيَّ بِحَذْفِ وَتَعْدِيلِ بَعْضِ مَا جَاءَ فِيهَا ، وَعَدَّلْتُ وَحَذَفْتُ مَا أَشَارَ بِهِ فَضِيلَتُهُ ، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا .

هَذَا وَاللَّهِ أَسْأَلُ أَنْ يَتَقَبَّلَهَا وَيَجْعَلَهَا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَأَنْ يَنْفَعَهَا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وكتبه

عبدُ اللَّهِ بنُ صالحِ العبيدانِ

١٩ / ١٠ / ١٤٢٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



القاعدة الأولى

الدينُ مبنيٌّ على أصليْنِ عظيمينِ :
الإخلاص، والمتابعة للنبي ﷺ

الأول: الإخلاص، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما الأعمال بالنيات». رواه البخاري ومسلم^(١).

الثاني: متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بأن يكون العمل موافقاً لما شرَّعه صلى الله عليه وآله وسلم، لقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، قال الفضيل بن عياض: «أحسنُ عملاً: أخلصه وأصوبه». قيل: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «الخالصُ ما كان لله، والصوابُ ما كان على السنة»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (١)، وانظر أطرافه، ومسلم (١٩٠٧) من حديث أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (١٧٦/٨). وابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (١). وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (ص ٢٠)، عن إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل بن عياض بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]،
 وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ
 رَدٌّ». أخرجه الشيخان، وهذا لفظ مسلم^(١).

والناس منقسمون بحسب هذين الأصلين إلى أربعة أقسام:
 أحدها: أهل الإخلاص للمعبود والمتابعة؛ وهم أهل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾
 حقيقة، فأعمالهم كلها لله، وأقوالهم لله، وعطاؤهم لله، ومنعهم لله،
 وحبهم لله، وبغضهم لله، فمعاملتهم ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده، لا
 يريدون بذلك من الناس جزاء ولا شكورًا، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا
 طلب المحمّدة والمنزلة في قلوبهم، ولا هربًا من ذمهم؛ بل قد عدوا
 الناس بمنزلة أصحاب القبور، لا يملكون لهم ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا
 ولا حياة ولا نشورًا، فالعمل لأجل الناس، وابتغاء الجاه والمنزلة
 عندهم، ورجائهم للضر والنفع منهم لا يكون من عارف بهم البتة؛ بل
 من جاهل بشأنهم وجاهل بربه، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم، ومن
 عرف الله أخلص له أعماله وأقواله، وعطاءه ومنعه، وحبّه وبغضه، ولا
 يعامل أحد الخلق دون الله إلا لجهله بالله وجهله بالخلق، وإلا فإذا
 عرف الله وعرف الناس أثر معاملة الله على معاملتهم.

وكذلك أعمالهم كلها وعبادتهم موافقة لأمر الله، ولما يحبه
 ويرضاه، وهذا هو العمل الذي لا يقبل الله من عامل سواه، وهو الذي
 بلا عباده بالموت والحياة لأجله، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
 لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. وجعل ما على الأرض زينة لها

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

ليختبرهم أيهم أحسن عملاً.

قال الفضيل بن عياض: «العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه». قالوا:

يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: «إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: ما كان لله. والصواب: ما كان على السنة». وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]. فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه على متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله، يردُّ عليه أحوج ما هو إليه هباءً منثوراً، وفي الصحيح من حديث عائشة عن النبي ﷺ: «كلُّ عملٍ ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»^(١). وكل عمل بلا اقتداء فإنه لا يزيد عامله من الله إلا بعداً، فإن الله تعالى إنما يُعبد بأمره لا بالآراء والأهواء.

القسم الثاني: مَنْ لا إخلاصَ له ولا متابعة، فليس عمله موافقاً لشرع، وليس هو خالصاً للمعبود؛ كأعمال المترئين للناس المرئين لهم بما لهم. يشرعه الله ورسوله، وهؤلاء شرارُ الخلق وأمقتهم إلى الله ﷻ، ولهم أوفر نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]. يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك، ويحبون أن يُحمَدوا باتباع السنة والإخلاص، وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم

(١) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم، فإنهم يرتكبون البدع والضلالات والرياء والسمعة، ويحبون أن يُحَمَّدُوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص والعلم، فهم أهل الغضب والضلال.

القسم الثالث: من هو مخلصٌ في أعماله لكنها على غير متابعة الأمر؛ كجهال العباد والمنتسبين إلى طريق الزهد والفقر، وكل من عبَدَ الله بغير أمره واعتقد عبادته هذه قربة إلى الله؛ فهذا حاله كمن يظن أن سماع المكاء والتصدية قربة، وأن الحَلوة التي يترك فيها الجمعة والجماعة قربة، وأن صيام يوم فِطْرِ الناسِ كلَّهم قربة، وأمثال ذلك.

القسم الرابع: مَنْ أعماله على متابعة الأمر لكنها لغير الله؛ كطاعة المرئيين، وكالرجل يقاتل رياءً وحمية وشجاعة، ويحج ليقال، ويقرأ القرآن ليقال؛ فهو لاء أعمالهم ظاهرها أعمال صالحة مأمور بها لكنها غير صالحة، فلا تقبل، ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

فكل أحد لم يؤمر إلا بعبادة الله بما أمر والإخلاص له في العبادة، وهم أهل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (١) [الفاتحة: ٥].

* قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فإن الخلاف موجود بين الناس من قديم، والمذاهب مختلفة، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (١/٨٣).

وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ ﴿البقرة: ٢١٣﴾. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩]. فالخلاف حصل من قديم بين البشر، ولكن من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه أرسل الرسل وأنزل الكتب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، فالمنهاج الموصل إلى الله، سبحانه جل وعلا، والصراط المستقيم واحد لا اختلاف فيه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وأما المذاهب والآراء والمناهج فهي كثيرة - التي هي من وضع البشر ومن آراء البشر - ليس لها عدد، لأن كل فرد وكل طائفة تُحدث لها طريقة و منهجًا تتبعه، ولكن الطريق إلى الله جل وعلا واحد، هو طريق الرسل من أولهم إلى آخرهم، طريق ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. وهذا الطريق وهذا الصراط يحتاج إلى بيان لثلاث تلتبس عليهم الطرق والمناهج والمذاهب والأقوال والآراء، فلا بد من بيان الطريق الصحيح والمنهاج المستقيم، حتى يسير عليه من أراد الله له الهداية.

الناس في كل زمان بحاجة إلى بيان هذا الطريق الموصل إلى الله جل وعلا، وهذا الطريق، أو هذا المنهاج الرباني، أصله وقاعدته أمران: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول ﷺ، فمن اتصف بهاتين الصفتين، بأن كان مخلصًا لله: في عبادته وأقواله وأفعاله ونياته ومقاصده، وكان متبعًا للرسول ﷺ: في سلوكه ومنهجه وعبادته - فقد سار على هذا الصراط المستقيم، يدل على هذا آيات وأحاديث كثيرة:

من الآيات قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢]. فقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾. هذا ردٌّ على اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾ [البقرة: ١١١]. نفوا أن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا أو نصرانيًا، فرد الله عليهم بقوله: ﴿بَلَىٰ﴾. أي: هذا ردٌّ لحصرهم ونفيهم، يدخلها من أسلم وجهه لله وهو محسن، هذا هو الذي يدخل الجنة، أما من كان على غير ذلك، فإنه لا يدخل الجنة، وإن ادعى أنه يدخلها، أو ادعى أنه لا يدخلها إلا هو، وقوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾. يعني: أخلص لله، والوجه المراد به هنا الإخلاص لله عَلَيْكَ، ومعنى ﴿وَجْهَهُ﴾: قصده ونيته. أخلص وجهه، أي: أخلص قصده ونيته وتوجهه واتجاهه إلى الله، هذا الشرط الأول.

الشرط الثاني: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي: متبع للنبي ﷺ، لأنه ما كل من عمل عملاً، حتى ولو أخلص فيه، ما لم يكن موافقاً لسنة النبي ﷺ، فإنه لا يقبل عند الله سبحانه وتعالى، بل لا بد أن يكون متبعاً للنبي ﷺ في ذلك، ﴿وَمَا أُمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. هذا أيضاً فيه الشرطان، فقوله: ﴿وَمَا أُمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾. هذا دليل على أن الدين بالأمر والشرع، لا بالرأي الذي يحدثه الناس أو يختارونه من أنفسهم، بل الدين بالأمر، وهو أمر الله سبحانه وتعالى، وأمر رسوله ﷺ، فكل عبادة لم يأمر بها الله جل وعلا، فإنها باطلة؛ لأنها بدعة، والنبي ﷺ يقول: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». ^(١) ويقول: «وكل بدعة

(١) تقدم تخريجه (ص ١٢).

ضلالة»^(١).

وقوله: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، هذا الشرط الثاني، وهو الإخلاص، لئلا يكون في نيته وقصده واتجاهه أحد غير الله سبحانه وتعالى، بل يكون قصده خالصاً لله، فإن كان في قصده شيءٌ لغير الله فإن عمله مردود، ولو كان موافقاً للسنة، ولو كان متبعاً في عمله لما جاء الشرع، فلو صلى، مثلاً، فلا شك أن الصلاة من صميم الدين، لكن لو صلى وهو يريد الرياء والسمعة، أو تصدق وهو يريد المدح والثناء من الناس، أو قاتل ليمدح في الشجاعة، فهذه أمور مشروعة وجاءت بها الشريعة، ولكن لما كان قصده فيه شرك لغير الله ﷻ، كان عمله باطلاً، وكان من أهل النار.

هذه القاعدة الأولى التي يجب السير عليها، وهي: الإخلاص لله ﷻ، والمتابعة للرسول ﷺ، والنبى ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢) فالعبرة ليست بصورة العمل، وإنما العبرة بمقصد فاعله، فإن كان قصده خالصاً لله ﷻ، مع صلاح العمل ومطابقته للسنة، فهذا هو العمل النافع، أما من كان له قصدٌ غير الله سبحانه وتعالى، فإن عمله لا يكون صالحاً ولا مقبولاً، ولذلك قال: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ». يعني من كانت هجرته - والهجرة من أفضل الأعمال وهي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد التوحيد وبلد الإسلام، فالناس ينتقلون من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، ولكن يختلفون في مقاصدهم - فمن كانت هجرته فراراً بدينه وقصدًا لوجه الله ﷻ فهجرته هجرة صحيحة ومقبولة عند الله ﷻ، أما

(١) سيأتي تخريجه (ص ٢٥ ، ٢٦).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١١).

من هاجر من أجل الدنيا، من أجل الحصول على الثروة والمال، فهو وإن كانت صورته أنه مهاجر إلى الله ورسوله، فهجرته إلى ما هاجر إليه، تاجر أو هاجر ليتزوج امرأة، فهجرته إلى ما هاجر إليه، وإن كان قد انتقل مع المهاجرين، ولكن لما كانت نيته لغير الله ﷻ، صارت هجرته إلى ما هاجر إليه، فلا يكون مهاجرًا إلى الله ورسوله، وإنما يكون مهاجرًا إلى ما قصد، وإن ادعى وتظاهر أنه مهاجر إلى الله ورسوله، لأن الله يعلم المقاصد والنيات، وهو الذي يجازي على الأعمال، فيجازي كلاً بما يعلم من قلبه من إخلاص أو شرك.



القاعدة الثانية

أن مصدر التشريع والدعوة والعبادة هو: القرآن والسنة الصحيحة

لقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

وقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ

الْمَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٣].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «تركتم فيكم شيئين لن تضلوا

بعدهما: كتاب الله، وسنتي». رواه الحاكم^(١).

(١) حسن: أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١٩٩/٢) (١٣٩٥) بلاغاً، والحاكم في «المستدرک» ١/١٧٢، وله شاهد من حديث جابر، وانظر: «مشكاة المصابيح» (٤٧)، و«السلسلة الصحيحة» (١٧٦١).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذا من تمام ما سبق وإقامة الأدلة عليه، وهو أن العمل لا يكون مقبولاً عند الله ﷻ إلا إذا كان موافقاً لما أنزله الله من الكتاب والسنة، فإن كان مخالفاً لما أنزله الله فإنه يكون مردوداً على صاحبه، كما قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١).

وهذه الآيات وهذه الأحاديث تؤكد هذا المعنى، وهو أنه لا بد للمسلم العامل من اتباع السنة، والعمل بالقرآن والسنة، وترك ما خالف الكتاب والسنة من الآراء ومن العبادات، ومن جميع التصرفات التي تخالف الكتاب والسنة، لأنه عبد مأمور بالاتباع، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَرْسُولَهُ﴾ [المائدة: ٩٢].

فالطاعة المطلقة لله ﷻ، وكذلك الطاعة لرسوله ﷺ، لأنه لا يأمر إلا بما أمره الله به، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]. وهو مبلغ عن الله سبحانه وتعالى، وهو معصوم، عليه الصلاة والسلام، أما غير الرسول ﷺ من الخلق فإنه إنما يطاع إذا كان متبعاً لرسول الله ﷺ، يطاع تبعاً لا استقلالاً، فأهل العلم يطاعون إذا كان ما يقولونه موافقاً لما جاء به الرسول ﷺ، فطاعتهم تبعاً لطاعة الرسول ﷺ، أما من أخطأ وخالف الكتاب والسنة فإنه لا يطاع، ولهذا يقول ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٢). ويقول ﷺ: «إنما الطاعة في المعروف»^(٣). ولهذا يقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا

(١) تقدم تخريجه (ص ١٢).

(٢) صحيح: أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/١٣١)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٨١).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٦٢٥)، وانظر «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٨٥).

اللَّهُ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

قال العلماء: أمر الله بطاعته وأمر بطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر من أهل العلم والأمراء. وأولو الأمر: هم العلماء والأمراء، الذين بيدهم الأمر، فتجب طاعتهم، لكن بقيد أن تكون فيما أمر به الله ورسوله، لا تكون فيما خالف أمر الله ورسوله، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولهذا لم يكرر سبحانه وتعالى الطاعة مع أولي الأمر؛ لأنهم لا يطاعون استقلالاً، وإنما قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم. بل عطفه على طاعة الله ورسوله؛ لأنهم يطاعون تبعاً لا استقلالاً، فلم يكرر الفعل مع ذكرهم، كما كرهه مع الرسول ﷺ، هذا السر في التعبير الإلهي: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم. لأنهم لا يطاعون استقلالاً، وإنما يطاعون تبعاً لرسول الله ﷺ.

قال المصنف، حفظه الله:

هنا قال: الدعوة والعبادة؛ ربطاً لطريق الدعوة بالكتاب والسنة وصحيح

الأثر، ما تعليقكم يا سماحة الشيخ؟

الجواب:

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]. هذا يدل على اتباع منهج السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، لأن السلف الصالح كانوا يسرون على منهج الرسول ﷺ، وهم أحرى بفهم الكتاب والسنة، وأقرب إلى الصواب، وأبعد عن التكلف، وأورع من المخالفة، كانوا حريصين جداً على اتباع

الكتاب والسنة، ولهذا أثنى عليهم الله جل وعلا، وأثنى على الذين اتبعوهم بإحسان، وكما ذكرنا، هم يطاعون ويُتبعون تبعاً للرسول ﷺ، لا استقلالاً؛ لأنه لا تجب طاعة مخلوق استقلالاً إلا رسول الله ﷺ، أما من عداه فإنه يطاع بشرط أن يكون مُتَّبِعاً للرسول ﷺ، موافقاً لما جاء به الرسول ﷺ، هذا معنى ما قرره أهل العلم.

والدليل في ذلك هو الكتاب وما صح عن رسول الله ﷺ، هذا هو الدليل الذي يُعتمد، لا أقوال الناس واجتهادات الناس، وإن صلحت نياتهم، وإن كثر علمهم، فإنهم إذا وقعوا في شيء من الخطأ فإن خطأهم يتجنب ويؤخذ بالصواب، وهم مأجورون، كما جاء في الحديث: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد»^(١) فيثابون على اجتهادهم، وإن أخطأوا، لكن لا تجوز متابعة الخطأ ونحن نرى أنه خطأ، لكن متى يكون خطأ؟ يكون خطأ إذا خالف الدليل، فما خالف الدليل فهو خطأ.

ولكن القائل إذا كان لم يتعمد الخطأ والمخالفة فإنه يكون مأجوراً على اجتهاده؛ نظراً لنيته وقصده، ولكن لا يجوز لمن عرف أنه مخطئ أن يتابعه على خطئه، وإنما يتابعه على صوابه وما أصاب فيه، كما قال الإمام مالك رحمته الله: «كلنا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر»^(٢).

والإمام أحمد يقول: «عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان - يعني: الثوري - والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ﴾

(١) أخرجه البخاري (٦٩١٩)، ومسلم (١٧١٦) كلاهما بنحوه، من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩٣/٨).

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿النور: ٦٣﴾^(١).
وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء! أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!»^(٢). هذا في مسألة التمتع بالعمرة إلى الحج، وهي مسألة اجتهادية، ولكن لما كان اجتهاد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهما أفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله، لما كان اجتهادهما مخالفاً للدليل فإن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذه المقالة، لأن المتبّع هو الرسول صلى الله عليه وآله، أما غيره، مهما كبر وعظم قدره في الإسلام والعلم، فإنه لا يتبّع إلا إذا وافق الدليل، وكما ذكرنا أنهم مأجورون على اجتهادهم، كما صح في الحديث، لكن لا يجوز متابعتهم على الخطأ.

* * *

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/٣٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/٣٣٧) بنحوه.

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الثالثة

أن أهل السنة والجماعة لا
يَسْتَقِلُّونَ بِفَهْمِ الْقُرْآنِ عَنِ السُّنَّةِ

لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن
لَنَنْزَعَنَّ مِنْ شَيْءٍ فَرْدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ
الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ
يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال عليه السلام: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان
على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأجلوه، وما
وجدتم فيه من حرام فحرّموه». رواه أحمد وأبو داود وغيرهما^(١).

وعن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة
بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلت: يا رسول
الله، كأنها موعظة مودّع فأوصنا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع
والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٣٩/٤)، وأبو داود (٣٨٠٤، ٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤) وغيرهم، وانظر: «صحيح أبي داود» (١٢٩٤).

كثيراً، فعليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المَهْدِيِّين، عَضُوا عليها بالتَّوَجُّدِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فَإِنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ». رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح^(١).

وكما في «صحيح البخاري» عن حذيفة قال: «يا معشرَ القراءِ، استقيموا فقد سَبَقْتُمْ سَبَقًا بعيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بعيدًا»^(٢).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذا فيه بيان حجية السنة، وأنها حجة يجب الأخذ بها، كما يؤخذ بالقرآن الكريم، فهي في الدرجة الثانية بعد القرآن، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى، وَكَلَّ إِلَى نَبِيهِ ﷺ بَيَانَ الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. فالسنة تبيين القرآن، توضحه وتفسره وتدل عليه، فلا بد من الاحتجاج بالسنة إلى جانب القرآن الكريم؛ مثال ذلك: أمر الله، جل وعلا، بالصلاة: بإقامتها، والمحافظة عليها، والمداومة عليها، وتوعد الذين يضيعونها ويتبعون الشهوات، ولكن ليس في القرآن بيان الصلاة: كم عدد ركعاتها، وماذا يقال فيها، ماذا يقال في القيام والركوع والسجود، وما هي تفاصيل الصلاة، ليس هذا في القرآن، وإنما هو في السنة، قال ﷺ: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي»^(٣). وكذلك الزكاة، أمر الله بها مجملة في

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/١٢٦، ١٢٧)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٨)، وغيرهم، وانظر «الصحيحة» (٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٥٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٥)، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

القرآن الكريم، ولم يبين مقاديرها، وأنواع الأموال التي تجب فيها، وإنما أمر بها مجملة، فقال ﷺ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَزْكُوا مَعَ الزَّكَاةِ﴾ [البقرة: ٤٣]. الذي بين هذا وحدده ووضحه هو رسول الله ﷺ في سنته، بين الزكاة: متى تجب، وما هي الأموال التي تجب فيها الزكاة، وما مقدار ما يخرج في الزكاة، وكذلك الصيام، وكذلك الحج، وكذلك سائر العبادات، جاء التفصيل فيها عن الرسول ﷺ.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أنهم يستدلون بالسنة كما يستدلون بالقرآن، يجعلون القرآن في الدرجة الأولى، ثم السنة، ثم الإجماع، ثم القياس، ثم بقية الأصول التي محلها في كتب الأصول. لكن هناك طوائف من الضلال لا يحتجون بالسنة، كالخوارج ومن سار على نهجهم، من رفض السنة والاعتصار على القرآن، كما يقولون، يسمون بالقرآنية في هذا الزمان، يعني لأنهم يزعمون أنهم يعتمدون على القرآن، وكذبوا في هذا، لم يعتمدوا على القرآن؛ لأن القرآن يأمر باتباع السنة، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

[الحشر: ٧].

فهم لم يأخذوا بالقرآن، فالله - جل وعلا - يقول عن نبيه ﷺ: ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]. الكتاب: هو القرآن. والحكمة: هي السنة. أو من الحكمة السنة النبوية، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. والآيات في هذا كثيرة.

والنبي ﷺ يقول: «ألا إني أوتيتُ القرآنَ ومثله معه»^(١).

ومذهب أهل السنة والجماعة: هو الاحتجاج بالسنة والعمل بها، أما الذين يرون الاقتصار على القرآن ويلغون السنة فهؤلاء ضالون، فقد يكونون كفارًا بفعلهم هذا.

وكذلك منهم من فرق بين السنة، كالمعتزلة ومن سار على منهجهم، لا يحتاجون ببعض السنة الصحيحة، ويقولون: إنما يحتج بالمتواتر، وأما الآحاد فلا يحتج به في العقيدة. لا يحتاجون بصحيح السنة في العقيدة إذا كانت آحادًا، بزعمهم، وإنما يعتمدون على القواعد المنطقية، على القواعد العقلية التي أصّلوها، فإذا خالفها الحديث الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ اعتمدوا على قاعدتهم العقلية وردّوا الحديث، إما بتأويل، وإما بالتكذيب واتهام الرواة عن رسول الله ﷺ، فهؤلاء أيضًا من الذين رفضوا السنة، وإن لم يرفضوها كلها، لكن رفضوا معظمها، وهذا مذهب باطل وضال منحرف لا شك في ذلك، لأنهم عطلوا السنة النبوية، أو بعضها، وإذا عطلت السنة أو بعضها انهدم كثير من الشرع، وما معنى طاعة الرسول ﷺ؟! ثم هذا مخالف لمنهج أهل الحق الذين يحتاجون بما صح عن رسول الله ﷺ، متواترًا أو آحادًا، في العقائد وفي غيرها؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. ولقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. ولقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤] إلى غير ذلك.

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٥).

فالاحتجاج بالسنة من أصول أهل السنة والجماعة، ورفض السنة كلها، أو رفض بعضها، من أصول أهل البدع والضلالات والانحراف عن الحق.

يوجد ما يسمى الآن بالعقلانيين، وهم من أفراخ المعتزلة، ينهجون هذا المنهج الضال، فإذا خالف حديثُ رسولِ الله ﷺ عقولهم وأفكارهم رفضوه، وقالوا: نحن لا نلغي عقولنا من أجل حديث رواه فلان!! حتى شككوا في أحاديث في «صحيح البخاري» وغيره، وقالوا: وإن رواه البخاري، وإن رواه مَنْ رواه! ما دام أنه يخالف عقولهم، فإنهم لن يقبلوه، وقد صرحوا بهذا في مؤلفاتهم وفي كتبهم.

ويسمّون بالعقلانيين؛ لأنهم يقدمون العقول على السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ، وما هي العقول التي تقدم على السنة؟! عقول بشر قاصرة، لو كانوا يعلمون! أما السنة فإنها معصومة، وأما عقولهم فإنها متهمة وقاصرة، ولكن الضلال، والعياذ بالله، يحمل صاحبه على المهالك، فهذه طائفة موجودة الآن وقائمة ولها مؤلفات، فيجب الحذر من ضلالها ومن منهجها.



رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الرابعة

أنهم لا يستقلون بفهم الكتاب
والسنة عن فهم السلف الصالح

لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥).
ولقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ (التوبة: ١٠٠).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٣).
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم». الحديث متفق عليه^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتينَّ على أمتي كما أتى بني إسرائيلَ حذو النعلِ بالنعلِ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانيةً، كان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيلَ تفرقت اثنتي عشرة ملةً، وتفرقت أمتي على ثلاثٍ وسبعين، كلهم في النارِ إلا ملةً

(١) أخرجه البخاري (٢٥٠٩، ٣٤٥١، ٦٠٦٥، ٦٢٨٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي». رواه الترمذي^(١)، وفي رواية عند أحمد وأبي داود عن معاوية، فسّر الناجية بأنها الجماعة^(٢).

وفي حديث العرباض المتقدم^(٣): «عليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ بدعة ضلالة».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلى رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ﴾. قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم». رواه البخاري ومسلم واللفظ له^(٤).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «الخوارج شرُّ الخلق عند الله؛ انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين»^(٥).

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٤٠)، وأحمد (٣٣٢/٢)، وأبو داود (٤٥٩٦)، وغيرهم، وانظر «الصحيحة» (٢٠٣).

(٢) حسن: أخرجه أحمد (١٠٢/٤)، وأبو داود (٤٥٩٧)، وانظر «الصحيحة» (٢٠٤).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٢٥، ٢٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٧٣)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٥) علّقه البخاري في «صحيحه» - مجزومًا به - (٩٢) كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب (٥) قتل الخوارج والملحدّين بعد إقامة الحجة عليهم، ووصله ابن جرير الطبري في «تهذيب الآثار»، مسند علي رضي الله عنه، وصحّح إسناده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢٨٦/١٢).

وقد ثبت في الحديث الصحيح المرفوع عند مسلم (١٠٦٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه في وصف الخوارج: «هم شرار الخلق والخلقة».

وقال الأوزاعي: «اصبر نفسك على السنة، وقِفْ حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفِّ بما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم»^(١).

فإن السلف كانوا أعظم عقولاً، وأكثر فهوماً، وأحدَّ أذهاناً، وألطف إدراكاً، كما قال عبد الله بن مسعود: «مَنْ كان منكم مستتاً، فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»^(٢).

وقد تواترت النصوص عن النبي ﷺ بأن خير قرون هذه الأمة القرن الذي بعث فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. وأعظم الفضائل؛ فضيلة العلم والإيمان، فهم أعلم الأمة باتفاق علماء الأمة، ولم يدعوا الطرق المبتدعة المذمومة عجزاً عنها؛ بل كانوا كما قال عمر بن عبد العزيز: «على كشف الأمور أقوى، وبالخير لو كان في تلك الأمور أخرى»^(٣).

هذا فيما انفردوا به عنا، أما المدارك التي شاركناهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوباً، وأعمق علماً، وأقل تكلفاً، وأقرب إلى أن يُوفَّقوا فيها لما لم تُوفَّق له نحن؛ لما خصَّهم الله تعالى به من توقُّد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٥).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٣/١٨٥) (١١١٨).

(٣) «درء تعارض العقل مع النقل» (٧/٢٨٧).

الأخذِ، وحُسنِ الإدراكِ وسرعتهِ، وقلّةِ المعارضِ أوعدمه، وحسنِ القصدِ، وتقوىِ الربِّ تعالى، فالعربيّةُ طبيعتُهُم وسليقتُهُم، والمعانيِ الصحيحةُ مركوزةٌ في فطرِهِم وعقولِهِم، ولا حاجةَ بهم إلى النظرِ في الإسنادِ وأحوالِ الرواةِ وعللِ الحديثِ والجرحِ والتعديلِ، ولا إلى النظرِ في قواعدِ الأصولِ وأوضاعِ الأصوليينِ؛ بل قد غُتوا عن ذلك كلّهُ فليس في حقِّهم إلا أمران:

أحدهما: قال اللهُ تعالى كذا، وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا و كذا.

وهم أسعدُ الناسِ بهاتينِ المقدمتين، وأحظى الأمةُ بهما، فقواهُم متوفرةٌ مجتمعَةٌ عليهما، وأما المتأخرون فقواهُم متفرقةٌ، وهِمَمُهُم متشعبةٌ، فالعربيّةُ وتوابعها قد أخذت من قُوى أذهانهم شعبةً، والأصولُ وقواعدها قد أخذت منها شعبةً، وعلمُ الإسنادِ وأحوالِ الرواةِ قد أخذ منها شعبةً، وفكرُهُم في كلامِ مصنِّفيهِم وشيوخِهِم - على اختلافِهِم - وما أرادوا به قد أخذ منها شعبةً، إلى غيرِ ذلك من الأمور، فإذا وصلوا إلى النصوصِ النبويّةِ، إن كان لهم هِمَمٌ تسافرُ إليها وصلوا إليها بقلوبِ وأذهانٍ قد كَلَّتْ من السَّيرِ في غيرها، وأوهنَ قواهُم مواصلةُ السَّرى^(١) في سواها^(٢).

(١) السير: المشي بالنهار والليل، والسَّرى: المشي ليلاً. انظر اللسان (س ي ر).

(٢) «إعلام الموقعين» (٤/١٤٨).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

وهذا في الحث على اتباع منهج السلف، بعد اتباع الكتاب والسنة، كذلك يتبع منهج السلف الصالح، الذين في مقدمتهم المهاجرون والأنصار، وفي مقدمة المهاجرين الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. الذين اتبعوهم بإحسان اتبعوا منهج المهاجرين والأنصار، لماذا؟

لأنهم اتبعوا الكتاب والسنة، لأن المهاجرين والأنصار اتبعوا الكتاب والسنة، هذه شهادة من الله للمهاجرين والأنصار بأنهم على الحق، وأنهم يتبعون في ذلك، ويقلدون في ذلك، فاتباعهم إنما هو من أجل أنهم موافقون للكتاب والسنة، قال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم في الفرقة الناجية: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٢). ذكر أصحابه رضي الله عنهم، لأنهم على منهج مستقيم، وهم أفهم منا، والأقرب منا إلى معرفة الكتاب والسنة، لأنهم تلقوا العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاهدوا معه، وشاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، فهم أعلم منا، وأقرب إلى الحق والصواب في الجملة، وإن كانت العصمة ليست لكل واحد منهم، ولكن العصمة لجميعهم، ولو أخطأ بعضهم، فإنه عن اجتهاد مأجور عليه ومثاب عليه، ولا ينقص ذلك من فضله

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٥، ٢٦).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٣٢).

ومكانته عند الله، مع أن خطأهم قليل، والحمد لله، والنبى ﷺ أثنى على القرون المفضلة، قال ﷺ: «خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١). قال الراوي: «لا أدري ذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة». ثم ذكر بعد ذلك حدوث الفتن، حدوث المخالفات، وأمر عند ذلك باتباع الكتاب والسنة، فقال: «من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»^(٢).

والله جل وعلا يقول: ﴿فَإِنْ لَنْزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. فمع وجود الاختلاف والتفرق فإن الله أمرنا باتباع الكتاب والسنة، وأمر رسوله ﷺ كذلك باتباع الكتاب والسنة فيما تنازع فيه الناس واختلفوا فيه إلى يوم القيامة، فقال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي»^(٣). وهذا من رحمة الله بهذه الأمة: بقاء الكتاب محفوظاً لم يغير ولم يبدل منه شيء، وبقاء السنة النبوية محفوظة ومدونة في الدواوين الموثوقة، هذا من لطف الله بهذه الأمة، حيث أبقى لها ما يعصمها من الضلال، إذا تمسكت به.

حدث في هذا الزمان جماعات تريد فصل المسلمين عن سلفهم، وينكرون السلفية، وينكرون اتباع السلف، ويطالبون بالمعاصرة، يسمونه المسلم المعاصر! والعصرنة، يريدون قطع الصلة بين السلف والخلف، من أجل ماذا؟ من أجل أن يضلوا الناس عن صراط الله ﷻ.

ومتحذلقوهم يوصون باتباع الكتاب والسنة، ويحذرون من اتباع

(١) تقدم تخريجه ص (٣١).

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٥، ٢٦).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٩).

السلف، وكيف لنا الاعتصام بالكتاب والسنة مع تركنا لمنهج السلف، الذين هم خير من اتبع الكتاب والسنة، وفهم الكتاب والسنة، وأوصانا الله، جل وعلا، وأوصانا رسوله ﷺ باتباع منهجهم، إذا تركنا منهج السلف فكيف لنا بفهم الكتاب والسنة؟! فهذا معصية لله ورسوله ﷺ، ودعوة لضلal، وقطع لخلف هذه الأمة عن سلفها الصالح، وقد جاء في الحديث أنه من علامات الساعة أن يظهر من يسب السلف ويلعن آخر هذه الأمة أولها^(١)، فلا يبعد أن يكون هذا بداية لما سيحدث، مما أخبر به الرسول ﷺ.

وليس لهم شبه في ذلك إلا أنهم يقولون: إن الأخذ بهدي السلف تقليد، ونحن مأمورون بالكتاب والسنة، ومنهيون عن التقليد! ونقول لهم: التقليد ليس مذمومًا على الإطلاق، فالتقليد في الحق واتباع أهل الحق مأمور به.

قال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]. فيوسف عليه السلام يخبر أنه اتبع من قبله لما كانوا على هدى، والله جل وعلا إنما ذم اتباع الآباء والأجداد، لأنهم على غير علم، فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانُوا عَابَادًا لَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠). فذمهم لأنهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون، فدل بمفهومه على أن من سبقنا إذا كانوا يعلمون ويفهمون الكتاب والسنة فإنهم يتبعون في ذلك، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا

(١) هو جزء من حديث أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٢٢٩) (٦٨٣)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، ولفظه: «ويلعن آخر هذه الأمة أولها».

وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلُو كَانَّ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٢٢﴾
 [المائدة: ١٠٤]. فدل على أن الذي يعلم هو الذي يُقتدى به، إنما الذم على من يتبع من لا يعلم، فليس التقليد ممنوعًا بإطلاق، ولا جائزًا بإطلاق، وإنما فيه تفصيل: فمن كان على الحق فإنه يتبع ويقلد، مع ما جاء في الكتاب والسنة من الأمر باتباع السلف والاقتراء بهم، ومن خالف الحق فإنه لا يتبع ولا يقلد، هذا هو فصل النزاع في هذه المسألة.

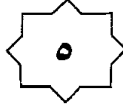
قال المصنف، حفظه الله:

أحسن الله إليك، يوجد مسائل كبيرة جدًا لا يمكننا أن نفهمها إلا من خلال فهم الصحابة رضي الله عنهم، كخلافنا مع الفرق الأخرى في القدر، ومرتكب الكبيرة، والأسماء والصفات، فإذا ضُيع هذا المنهج صار لكل واحد أن يفهم القرآن فهماً خاصاً به .

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

نعم، نقول: إنه لا يمكن فهم القرآن والسنة إلا باتباع منهج السلف، لا يمكن أن يأتي واحد في آخر الزمان، ويُلغي منهج السلف ويزعم أنه يأخذ من الكتاب والسنة مباشرة، هذا ضلال، وهذا تفريق بين الأمة، وقطع لصلة خلفها عن سلفها.

* * *



القاعدة الخامسة

أنهم أول ما يدعون إلى التوحيد، فلا تنجح دعوة ولا تصلح عبادة إلا به

لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَشَرَعْنَا لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيْنَا بِهِ نُوْحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]. وقوله: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله». الحديث رواه البخاري ومسلم^(١).

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٩، ٦٩٣٧)، ومسلم (١٩).

وكما بدء النبي ﷺ دعوته بالتوحيد، فقد ختمها بالتوحيد أيضًا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطْرُحُ خَمِيصَةً^(١) له على وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها، فقال - وهو كذلك - : «لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». يُحَذِّرُ مِمَّا صَنَعُوا، ولولا ذلك لأُبْرِرَ قبره، غير أنه خشي أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا. رواه البخاري ومسلم^(٢).

وقال العلي عليه السلام: «الأنبياء إخوةٌ من علاتٍ^(٣)، وأمّهاتهم شتى، ودينهم واحدٌ». أخرجاه، وهذا لفظ مسلم^(٤).

● أنواع المخالفين لدعوة التوحيد:

قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «والمخالف في ذلك أنواع، فأشدُّهم مخالفةً: مَنْ خالف في الجميع؛ فقبل الشُّركِ واعتقدَه دينًا، وأنكرَ التوحيدَ واعتقدَه باطلاً.

ومن الناس من عبد الله وحده، ولم ينكر الشرك، ولم يعادِ أهله.

ومنهم من لم يحب التوحيد، ولم يبغضه.

ومنهم من لم يبغض الشرك، ولم يحبه.

ومنهم من لم يعرف الشرك، ولم ينكره، ولم ينفه.

ومنهم من لم يعرف التوحيد، ولم ينكره.

ومنهم - وهو أشد الأنواع خطرًا - من عمل بالتوحيد ولم يعرف

(١) الخميصة: كساء أسود له أعلام، يكون من صوف وغيره. فتح الباري (١/٤٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٦٥)، ومسلم (٤٢٥).

(٣) أولاد العلات: هم الإخوة لأب من أمهات شتى. «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٥/

١١٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٥٨)، ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قدره، ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم.

ومنهم من ترك الشرك وكرهه، ولم يعرف قدره»^(١).

واعلم أن التوحيد واتباع الهوى متضادان فإن الهوى صنم، ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه، وإنما بعث الله رسله بكسر الأصنام وعبادته وحده لا شريك له، وليس مراد الله سبحانه كسر الأصنام المجسدة وترك الأصنام التي في القلب، بل المراد كسرها من القلب أولاً.

قال الحسن بن علي المطوعي: «صنم كل إنسان هواه، فمن كسره بالمخالفة استحق اسم الفتوة».

وتأمل قول الخليل عليه السلام لقومه: ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢]. كيف تجده مطابقاً للتماثيل التي يهواها القلب ويعكف عليها ويعبدها من دون الله، قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلاً﴾ [٤٣] أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعيم بل هم أضل سبيلاً ﴿٤٤﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]^(٢).

● كمال العبودية بكمال التسليم والاتباع:

«وأما العبودية المطلقة فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب، يضرب معهم بسهم، فلا يتقيد برسم ولا إشارة ولا اسم ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول. وعن طريقه؟ قال: الاتباع. وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى. وعن مذهبه؟ قال:

(١) «الجامع الفريد» (ص ٣٣٨).

(٢) «روضة المحبين» (١/٤٨٢).

تحكيم السنة . وعن مقصوده ومطلبه؟ قال : يريدون وجهه . وعن رباطه وعن خانقاه^(١)؟ قال : ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحِزَّةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴿ [النور: ٣٦ ، ٣٧] وعن نسبه؟ قال :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقريس أو تميم وعن مأكله ومشربه؟ قال : ما لك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء وترعى الشجر^(٢) .

قال سماحة الشيخ، حفظه الله :

وهذه القاعدة أيضًا في بيان أول ما يبدأ به الدعوة إلى الله ﷻ، لا شك أنهم يبدءون بالأهم فالأهم، يبدءون بالدعوة إلى التوحيد، يعني إلى إصلاح العقيدة؛ لأن العقيدة هي الأساس الذي تنبني عليه صحة بقية الأعمال، ومن المتقرر في العقول والفطر أن كل بناء يبدأ بأساسه ويتقن أساسه أولاً، ثم يقام عليه البناء، وهذا شيء متقرر في العقول، كما هو الوارد في الشرع، فكان الرسل عليهم الصلاة والسلام أول ما يبدءون أممهم يدعونهم إلى التوحيد، كما ذكر الله سبحانه وتعالى عنهم في القرآن، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] .

وقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) [الأنبياء: ٢٥] . وهذا بالنسبة لمجموع الرسل .

وذكر الله - جل وعلا - رسلاً بأعيانهم بدءوا بالتوحيد : فهذا نوح عليه السلام ،

(١) أصل الخانقاه: بقعة يسكنها أهل الصلاة والخير . وهي لفظة معربة، تاج العروس (خ ن ق) .

(٢) «مدارج السالكين» (٣/١٧٤) .

يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. وكذلك هود وكذلك صالح وإبراهيم، وشعيب عليهم السلام، كلهم يقولون أول ما يبدءون لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ونبينا محمد ﷺ خاتم النبيين كذلك بدأ بالتوحيد، كما بدأ إخوانه من قبل، فأول ما دعا قومه أن يقولوا: لا إله إلا الله. كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّحِدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَاَنْطَلَقَ الْمَلَا مِنْهُمْ اَنْ اَمْشُوا وَاَصْبِرُوا عَلٰى اَلْهٰتِكُمْ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ [ص: ٤-٦]. قالوا هذا بسبب أنه قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله. فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّحِدًا﴾. فدلنا هذا على أنه بدأهم بالتوحيد، وبقي ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة قبل الهجرة يدعو الناس إلى التوحيد، يقول لهم: قولوا: لا إله إلا الله. يقول لهم: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا.

ولما بعث معاذًا ﷺ إلى اليمن داعيًا ومعلمًا وقاضيًا، قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(١). أي من اليهود والنصارى، لأنهم كانوا موجودين في اليمن، اليهود وهم أتباع الملة اليهودية ينتسبون إلى موسى عليه الصلاة والسلام، والنصارى وهم أتباع الملة النصرانية ينتسبون إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، هؤلاء هم أهل الكتاب، «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله». هذا واضح أن الرسول ﷺ أوصاه أن يبدأ بالتوحيد، ثم بعد ما يستجيبون للتوحيد يأمرهم بالصلاة والزكاة، لأن الصلاة والزكاة لا

(١) تقدم تخريجه (ص ٤٢).

يصحان إلا بعد تحقيق التوحيد، فهذا دليل واضح من السنة في أن بداية الدعوة تكون بالتوحيد، وهذا هو منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام الذي يجب على كل داعية أن يبدأ به، وأن يركز عليه في دعوته؛ لأنه الأساس والأصل الذي يقوم عليه الإسلام.

فمن خالف هذا المنهج وبدأ بغير التوحيد فإن دعوته مخالفة لدعوة الرسل، وما خالف دعوة الرسل فلن يفيد ولن يُنتج شيئاً، والواقع يشهد لذلك، فهناك أناس لم يهتموا بالتوحيد ولا بالعقيدة، وإنما اهتموا بأمر جانبيه، وركزوا عليها في دعوتهم، وبنوا عليها دعوتهم، فلم تنتج دعوتهم شيئاً، مع أنهم بذلوا ما بذلوا، من المجهودات، ومن طول السنين، ومن التعب الكثير، ولكن لم تجدي دعوتهم شيئاً، ولم تنتج شيئاً، لأنهم لم يبدءوا بما بدأ به الرسل، عليهم الصلاة والسلام، ولم يقيموا الأساس أولاً حتى يصح أن يقام عليه بقية الأعمال.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. هذه الآية تدل على أن الشرك أعظم الذنوب، وأن بقية الذنوب كلها دون الشرك، ومن الطبيعي أنه يبدأ بالشيء الخطير عند العلاج، ولا يبدأ بالشيء اليسير، وإنما يبدأ بالخطير الذي يترتب على تركه الهلاك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]. المشرك حرام عليه الجنة، بخلاف العاصي والسارق والزاني وشارب الخمر ومرتكب الكبيرة، هذا لا يحرم الله عليه الجنة، وإن عُذّب في النار، فإن مآله إلى الجنة

بإذن الله، وإن شاء الله غفر له ولم يعذبه أصلاً.
 فقوله تعالى: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ هذا هو ذنب
 المشرك، أما بقية الذنوب فإنها لا تُحرم الجنة، بل إما أن يعفو الله عنه
 ويدخله الجنة برحمته، وإما أن يعذبه بذنوبه ثم يخرج من النار ويدخله
 الجنة، لا يخلد فيها وإن دخلها، فهذا يدل على خطورة الشرك، وإنما
 يبدأ بالخطر، ويحذر من الأمور الخطيرة، والنصوص في هذا كثيرة من
 كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فهذه قاعدة عظيمة، وهي: البداية بالدعوة والأوليات في الدعوة، كما
 يقولون، فيجب على الدعاة أن يسيروا على هذا المنهج، وأن يركزوا
 على التوحيد، وعلى تحذير الناس من الشرك الأكبر والأصغر، ومما
 يخل بالعقيدة، ثم يتجهون بعد ذلك إلى إصلاح بقية أمور الدين، فإنهم
 إذا أقاموا الأساس بنوا عليه بقية الأمور.

* * *

رَفَعُ
عبد الرَّحْمَنِ الرَّحْمَنِي
أَسْكَنْتُمُ الدِّيَارَ الْفَرَوَاسِي
www.moswarat.com



القاعدة السادسة

أنهم يبدءون دعوتهم بما بدأ الله به ورسوله ﷺ؛ فيقدمون ما قدمه الله ورسوله ﷺ ويؤخرون ما أخره الله ورسوله ﷺ، وبهذا يمكن تحصيل المصالح ودرء المفساد

• الأولويات في الدعوة إلى الله:

لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ بِأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان: ١٣-١٧]

لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].
 وقال تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [فصلت: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْفَرُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].
 وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وعن يوسف بن ماهك قال: «إني عند عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي، فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك! وما يضرُّك؟ قال: يا أم المؤمنين؛ أريني مصحفك. قالت: ولم؟ قال: لعلي أولف^(١) القرآن عليه، فإنه يُقرأ غير مؤلف. قالت: وما يضرُّك أيُّه قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل: لا تزنوا. لقالوا: لا ندع الزنا أبداً. لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه وسلم وإني لجارية ألب: ﴿بِئْسَ الْأَسَاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَبَتْ وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾﴾ [القمر: ٤٦]. وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده». رواه البخاري^(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر في صفة الحج: «أبدأ بما بدأ الله به»^(٣).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: وهذه القاعدة تابعة للتي قبلها في أنه إذا كان الأساس والأصل والقاعدة هو التوحيد، فإنه يبدأ بالأهم، ويبدأ بالأساس، كما هي طريقة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وفيها أيضاً أن الدعوة تكون بالتدرج، فيبدأ بالأهم ثم المهم، وهكذا، أو تقول: يبدأ بالأساس ثم يبدأ بالفرع بعده. كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً رضي الله عنه أن يبدأ بالتوحيد ثم بالصلاة ثم بالزكاة، فتكون الدعوة بالتدرج، وكما ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بدأ بالتوحيد، ثم أنزل الله

(١) المراد بالتأليف هنا الترتيب، وينظر «فتح الباري» (٤٠/٩).

(٢) برقم (٤٧٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨).

عليه بعد ذلك الحلال والحرام، لما تقرر التوحيد واستقرت الشريعة نزل الحلال والحرام، وتفاصيل الأحكام، فإنه في مكة عليه الصلاة والسلام كان ينزل عليه القرآن بالتوحيد، ولذلك تجدون السور المكية تشتمل على التوحيد، والسور المدنية في الغالب تشتمل على الأحكام، تفاصيل الأحكام، الحلال والحرام، والمعاملات وغير ذلك، لأنه كان في مكة يدعو إلى التوحيد، ولما هاجر إلى المدينة، ودخل الناس في دين الله، وقامت دولة الإسلام في المدينة، نزل الحلال والحرام، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند هذه الآية مبيِّناً أن الأحكام تنزل بعدما تتقرر الشرائع: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾. لما أهلك الله فرعون وقومه واستقرت دعوة موسى عليه الصلاة والسلام، أنزل الله عليه الكتاب الذي هو التوراة^(١).

فهذه قاعدة لها أدلتها من الكتاب والسنة، كما تقدم، فيتدرج من الأهم إلى المهم، مثال ذلك: لو رأيت رجلاً يرتكب معصية من المعاصي وهو مشرك، هل تقول له: صل. وهو مشرك؟! تقول له: صم رمضان. وهو مشرك؟! أم تقول له: ادخل في الإسلام وانطق بالشهادتين، وأقر بالتوحيد أولاً. ثم تأمره بعد ذلك بالصلاة، فإنك لو أمرته بالصلاة وهو مشرك لانتقدك هو أولاً، فكيف بغيره؟! كيف تأمر من ليس بمسلم بالصلاة! فإن هذا خلاف المطلوب.

مثال آخر: لو رأيت شخصاً يشرب الدخان وهو مشرك، هل تنهاه

(١) انظر: «النبوات» (١/١٦٨).

عن الدخان، أم تنهاه عن الشرك أولاً؟ الأصل أنك تنهاه عن الشرك، عن الأعظم والأخطر، وهكذا، فالذين يتجهون إلى إنكار الربا والزنا ويأمرون بالحجاب، لا شك أن هذه أوامر شرعية، ولكن لا بد من إقامة الأساس أولاً، هم يرون الناس - مثلاً - على الشرك وعبادة الأضرحة والقبور، ولا يهتمون بهذا، إنما يركزون على مسألة الحكم، ومسألة تجنب الربا، أما الشرك فليس له ذكر عندهم، ولا اعتبار عندهم، ولذلك، كما ذكرنا، دعواتهم لم تنتج شيئاً، لأنها بدأت من حيث انتهت دعوات الرسل، لا تنتج شيئاً مهما بذلوا، ومهما تكلموا، بينما نجد أن الدعاة الذين ساروا على منهج الرسل، نجد ثمرات دعوتهم واضحة، الذين ساروا على منهج الرسل وبدعوا بالتوحيد، واهتموا بالتوحيد، وأتبعوه بالنهي عن بقية الذنوب والمعاصي، نجد أن دعوتهم ناجحة مثمرة على مر العصور.

خذ مثلاً: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله فقد سار على منهج الرسل في الدعوة، فبدأ بالتوحيد وإنكار الشرك، فدعوته أثمرت وتثمر، وما زال الناس، ولله الحمد، يستفيدون من علمه ومن طريقته.

خذ مثلاً آخر: شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، في هذه البلاد (أي المملكة) أنتم الآن تعيشون في ثمار دعوته، قامت هذه الدولة وهذه البلاد على هذه الدعوة المباركة، استتب فيها الأمن، وصلحت فيها العقيدة، وقامت عليها دولة إسلامية، بكل ما تعنيه الكلمة، ولا تزال ولله الحمد.

كل هذا من ثمار السير على منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدعوة.



القاعدة السابعة

أنهم يعظمون جميع أمور الدين، فيدعون إلى ما دعا إليه النبي ﷺ قدر الاستطاعة

لقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. قال ابن كثير^(١): «يقول الله آمراً عباده المؤمنين المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك، قال مجاهد: أي: اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر».

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «عباد الله لتسؤن صُفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم». رواه الشيخان^(٢). وعن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء

(١) في «تفسيره» (١/٣٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٥)، ومسلم (٤٣٦)، وفيه عندهما: «أو ليخالفن بين وجوهكم». مكان: «قلوبكم».

ما حَدَّثَكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّامِينِ». رواه ابن ماجه (١).
وعن الأزرق بن قيس قال: «صَلَّى بنا إمامٌ لنا يكنى أبا رِمَّةَ، فقال:
صَلَّيْتُ هذه الصلاةَ مع النبي ﷺ. قال: وكان أبو بكر وعمر يقومان في
الصف المقدم عن يمينه، وكان رجلٌ قد شهد التكبيرَةَ الأولى من
الصلاة، فصلَّى نبي الله ﷺ، ثم سلَّم عن يمينه وعن يساره، حتى رأينا
بياض خديه، ثم انفتل كأنفتال أبي رِمَّةَ - يعني نفسه - فقام الذي أدرك
معه التكبيرَةَ الأولى من الصلاة يشفع، فوثب إليه عمر فأخذ بمنكبه
فهزه، ثم قال: اجلس، فإنه لم يُهْلِكْ أهلَ الكتابِ إلا أنهم لم يكن بين
صلواتهم فصلٌّ. فرجع النبي ﷺ بصره وقال: «أصابَ الله بك يا ابنَ
الخطابِ!». رواه أبو داود (٢).

فانظر رحمك الله إلى ما يؤدِّيه ترك هذه السنن من الاختلاف
والهلاك، وكيف حسدنا عليها اليهود.

ولما قيل لسلمان ﷺ: قد علمكم نبيكم كلَّ شيءٍ حتى الخِراءَةَ!
قال: «أجل». ولم ينكر عليه ذلك. رواه مسلم (٣).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذه القاعدة تبيِّن أنه ليس معنى قولنا أنه يبدأ بالتوحيد، ويركز على
التوحيد، ليس معناه أنه يتساهل في الأمور الأخرى، من بقية الواجبات،
وترك المحرمات، ليس معناه أن هذه المعاصي أمر سهل، فلا يتساهل

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٨٥٦)، وانظر «صحيح سنن ابن ماجه» (٦٩٧).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٠٠٧)، وقال: وقد قيل: أبو أمية، مكان أبي رِمَّة. وانظر
«الصحيحة» (٢٥٤٩).

(٣) برقم (٢٦٢).

في شأنِ المعاصي والمخالفات، كلُّ المخالفات أمرُها خطيرٌ، وإن كانت في أعين الناس صغيرة، أو سهلة، فليس معنى قولنا: يبدأ بالأهم فالأهم، أنه يتساهل في الأمور الأخرى، ولكن نقول: يبدأ بالأهم فالأهم، من أجل إقامة الأساس أولاً، الذي تبني عليه بقية أمور الدين، هذا هو المقصود، وإلا فالذنوب كلها خطيرة وكلها شر، ويدعو بعضها إلى بعض، فلا يُتساهل في بقية المعاصي وبقية المخالفات، أو بقية الأوامر والطاعات، بل يُنهى عن الجميع، ولكن من كان عنده ذنب أخطر فإنه يبدأ به أولاً، ثم يستصلح بقية الأمور، أما إذا تساهل الإنسان بالمعصية، أو تصاغرها، فإن ذلك يجرئه على ما هو أكبر منه، وإذا عظم خطر هذه المعاصي فإن ذلك يبعده عنها ويصونه منها، قال تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فالمعاصي كلها شر، وكلها خطر، وكلها ضرر، ولكن عند التغيير يُبدأ بالأهم فالأهم، هذا هو المقصود.

فالنبي ﷺ ما ترك شيئاً إلا حذر منه، الصغائر والكبائر الموبقات وما دونها، حذر منها ﷺ، وكما أمر بالأصول أمر بالفروع، عليه الصلاة والسلام، أمر بالسنن والمستحبات كما أمر بالواجبات والأركان لهذا الدين، وما توفي ﷺ إلا وقد أكمل الله به الدين، بجميع أوامره وواجباته ومستحباته، ونهى عن كل معصية كبيرة وصغيرة، وما ترك شيئاً يقرب العباد إلى الله ﷻ إلا وبينه لهم وأمرهم به، وما ترك شيئاً يبعد العباد عن ربهم إلا نهاهم عنه وحذرهم منه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرهما منه.

ولما ذكر سلمان رضي الله عنه آداب قضاء الحاجة قال له اليهودي : علمكم نبيكم كل شيء حتى الخِزَاءة - يعني آداب الاستنجاء وآداب قضاء الحاجة - قال : نعم . فذكر له الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاستنجاء والاستجمار، وإذا جلس على قضاء الحاجة أنه يعتمد على رجله اليسرى . إلى غير ذلك من آداب التخلي، فما ترك صلى الله عليه وسلم شيئاً فيه نفع للأمة إلا بينه لها، وما ترك شيئاً فيه ضرر على الأمة إلا بينه لها، سواء كان كبيراً أو صغيراً .

قال المصنف، حفظه الله :

أحسن الله إليك، بعض الناس يسمي السنن جزئيات أو قشوراً؟

قال سماحة الشيخ، حفظه الله :

نعم، الذي يسمي هذه الأوامر والنواهي جزئيات أو يسميها قشوراً، الذي يسميها قشوراً أشد، لا شك أن الذي يسميها جزئيات يقلل من شأنها، ولكن الذي يسميها قشوراً أشد، ويخشى عليه من الردة! لأن هذا معناه الاستهزاء بالدين، وأن فيه قشور، الدين ليس فيه قشور، كل الدين، ولله الحمد، لب خالص، ونفع خالص، ليس فيه قشور، فالذي يسمي بعض الأوامر أو بعض النواهي قشوراً، وهي قد صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم، يخشى عليه من الردة، ولكن لعله يعذر بالجهل، وكيف يكون داعية وهو جاهل! وإلا لو لم يعذر بالجهل لقليل: إن هذا ردة؛ لأن السخرية بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم - ولو كان مستحجاً - ردة عن دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْدِرُوا فَمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

فلو سخر أحد من السواك، من سنة السواك، لصار مرتدًا، ولو سخر

أحد من إعفاء اللحي الذي أمر به النبي ﷺ، صار مرتدًا، إلا إن كان جاهلاً لا يدري فهو يعذر بجهله، لكن إذا كان متعمدًا فهذه ردة عند أهل العلم، فالأمر خطير جدًا وليس في الدين قشور ولباب، الدين كله لباب، ولله الحمد، لا شك في هذا، فجميع أوامر الدين كلها تحترم وتعظم، ولا يُحتقر شيء منها، أو يُستهزأ بشيء منها.



رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



القاعدة الثامنة

أنهم لا يعارضون النصوص بعقولهم ولا بأهوائهم ولا بأذواقهم، ولا بقول رجال مثلهم

لقوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادِّعْ وَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [٣٦].

[الأحزاب: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [٦٥].

[النساء: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَلَفِّفِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى أناس جهالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فيفتون برأيهم فيضلون

ويَضِلُّونَ». رواه البخاريُّ ومسلم، واللفظ للبخاري (١).

وعن علي موقوفاً: «لو كان الدِّينُ بالرأي لكان أسفل الخفِ أولى بالمسح من أعلاه». رواه أبو داود (٢).

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: اقتلت امرأتان من هذيل، فرمَتْ إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها غُرَّةٌ: عبدٌ أو وليدةٌ، وقضى بدية المرأة على عاقتها، ووَرَّثَهَا ولدها ومن معهم. فقال حَمَلُ بن النابغة الهذلي: يا رسول الله، كيف أغْرَمُ مَنْ لا شَرِبَ ولا أكل، ولا نطق ولا استَهَلَّ؟! فمثل ذلك يُطَلُّ (٣). فقال رسول الله ﷺ: «إنما هذا من إخوانِ الكُهَّانِ». من أجل سجعه الذي سجع (٤).

قال ابن القيم رحمته الله:

«والمعارضون للوحي بأرائهم خمس طوائف:

- ١ - طائفة عارضته بعقولهم في الخبريات وقدمت عليه العقل، فقالوا لأصحاب الوحي: لنا العقل ولكم النقل!
- ٢ - وطائفة عارضته بأرائهم وقياساتهم، فقالوا لأهل الحديث: لكم الحديث ولنا الرأي والقياس!
- ٣ - وطائفة عارضته بحقائقهم وأذواقهم، وقالوا: لكم الشريعة ولنا الحقيقة!

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٧)، ومسلم (١٤/٢٦٧٣).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٦٢)، وانظر «صحيح سنن أبي داود» (١٤٧).

(٣) يُطَلُّ: يُهْدَرُ وَيُلْعَى ولا يُضْمَنُ. «صحيح مسلم بشرح النووي» (١١/١٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٥٤٢٦، ٥٤٢٧)، ومسلم (٣٦/١٦٨١).

- ٤ - وطائفة عارضته بسياساتهم وتديبيرهم، فقالوا: أنتم أصحاب الشريعة ونحن أصحاب السياسة!
- ٥ - وطائفة عارضته بالتأويل الباطن، فقالوا: أنتم أصحاب الظاهر ونحن أصحاب الباطن!

ثم إن كل طائفة من هذه الطوائف لا ضابط لما تأتي به من ذلك؛ بل ما تأتي به تبع لأهوائها، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال: ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

فما هو إلا الهوى أو الوحي، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤، ٣].

فجعل النطق نوعين: نطقًا عن الوحي، ونطقًا عن الهوى.

ثم إذا ردّ على كل من هؤلاء باطله رجع إلى طاغوته، وقال: في العقل ما لا يقتضيه النقل. وقال الآخر: في الرأي والقياس ما لا يجيزه الحديث. وقال الآخر: في الذوق والحقيقة ما لا تسوغه الشريعة. وقال الآخر: في السياسة ما تمنع منه الشريعة. وقال الآخر: في الباطن ما يكذبه الظاهر.

فباطل هؤلاء كلهم لا ضابط له، بخلاف الوحي؛ فإنه أمر مضبوط مطابق لما عليه الأمر في نفسه، تلقاه الصادق المصدوق من لدن حكيم عليم» اهـ^{(١)(٢)}.

(١) «الصواعق المرسلّة» (٣/١٠٥١).

(٢) قال شيخ الإسلام: «قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وفيها ما في نفس فرعون غير أن فرعون قدر فأظهر، وغيره عجز فأضمر؛ وذلك أن الإنسان إذا اعتبر وتعرف نفسه =

= والناس وسمع أخبارهم رأى الواحد منهم يريد لنفسه أن تطاع وتعلو بحسب قدرته، فالنفس مشحونة بحب العلو والرياسة بحسب إمكانها، فتجد أحدهم يوالي من يوافقه على هواه، ويعادي من يخالفه في هواه، وإنما معبوده ما يهواه ويريده، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾ [الفرقان: ٤٣]. والناس عنده في هذا الباب كما هم عند ملوك الكفار من المشركين، من الترك وغيرهم، يقولون: يا رباعى أي صديق وعدو. فمن وافق هواهم كان وليًا، وإن كان كافرًا مشركًا، ومن لم يوافق هواهم كان عدوًا، وإن كان من أولياء الله المتقين، وهذه هي حال فرعون، والواحد من هؤلاء يريد أن يطاع أمره بحسب إمكانه لكنه لا يتمكن مما تمكن منه فرعون من دعوى الإلهية وجحد الصانع، وهؤلاء وإن كانوا يقرون بالصانع لكنهم إذا جاءهم من يدعوهم إلى عبادته وطاعته المتضمنة ترك طاعتهم فقد يعادونه كما عادى فرعون موسى.

وكثير من الناس ممن عنده بعض عقل وإيمان لا يطلب هذا الحد، بل يطلب لنفسه ما هو عنده فإن كان مطاعًا مسلمًا طلب أن يطاع في أغراضه، وإن كان فيها ما هو ذنب ومعصية لله! ويكون من أطاعه في هواه أحب إليه وأعز عنده ممن أطاع الله وخالف هواه، وهذه شعبة من حال فرعون وسائر المكذبين للرسول.

وإن كان عالمًا أو شيخًا أحب من يعظمه دون من يعظم نظيره حتى لو كانا يقرآن كتابًا واحدًا كالقرآن، أو يعبدان عبادة واحدة متمثلان فيها، كالصلوات الخمس فإنه يحب من يعظمه بقبول قوله والافتداء به أكثر من غيره، وربما أبغض نظيره وأتباعه؛ حسدًا وبيغيا، كما فعلت اليهود لما بعث الله محمدًا ﷺ يدعو إلى مثل ما دعا إليه موسى، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا فَاؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝٤﴾ [البينة: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيِّنًا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤]. ولهذا أخبر الله تعالى عنهم بنظير ما أخبر به عن فرعون، وسلط عليهم من انتقم به منهم، فقال تعالى عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّونَ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُهُمْ بَنَاتُهُمْ وَيَسْتَخِي سِوَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُنْكَرِينَ ۝٤﴾ [القصص: ٤]. وقال تعالى عنهم: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤﴾ [الإسراء: ٤]. ولهذا قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخْرَجَةُ يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]. =

* قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذه القاعدة أيضًا في أن المسلم يجب عليه التسليم للدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يتدخل بعقله ويقدمه على الدليل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. التسليم والانقياد لما قال الله وقال رسوله أمر واجب، وهو مقتضى الإيمان، وهذا هو معنى الإسلام، فالإسلام معناه: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله.

فالواجب الاستسلام والتسليم والإذعان لما قاله الله وقاله رسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنقَضُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

= والله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لعبادته ليشكروه ويعبدوه، وأرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوا الله وحده، وليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، كما أرسل كل رسول بمثل ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيْٓ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَتَقَلَّ مِنَ آرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]. وقد أمر الله الرسل كلهم بهذا وأن لا يفرقوا فيه، فقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الْرُّسُلَ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [٥١] وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوا [٥٢] فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ذُرًّا كُلِّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ [٥٣] [المؤمنون: ٥١ - ٥٣]. قال قتادة: أي دينكم دين واحد وربكم رب واحد، والشريعة مختلفة. وكذلك قال الضحاك عن ابن عباس: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. أي دينكم دين واحد. قال ابن أبي حاتم: وزوي عن سعيد بن جبير وقاتدة وعبد الرحمن ابن زيد نحو ذلك. وقال الحسن: بين لهم ما يتقون وما يأتون، ثم قال: إن هذه سنتكم سنة واحدة». «مجموع الفتاوى» (٢١٩/٨).

فالمسلم يستسلم لأوامر الله ونواهيه ولا يعترض بعقله، أو يقول: هذا حديث يخالف العقل. أو يقدم القواعد الكلامية والقواعد المنطقية على النصوص، كما تفعله المعتزلة وأتباعهم، لا يقدم شيئاً أبداً على النصوص من الكتاب والسنة، فإذا بلغ النص المسلم من كتاب الله أو سنة رسوله بأي أمر من الأمور فإنه ينقاد له ويسلم له، ولا يتدخل بعقله، أو يقدم عقله، كما يفعله أهل البدع من المعتزلة ومن سار على نهجهم من بعض مفكري هذا العصر، الذين ردوا نصوصاً صحيحة في «صحيح البخاري» وغيره؛ لأنها - بزعمهم - تخالف عقولهم، فهذه فتنة عظيمة، هذه طريقة المنافقين، طريقة الزائغين، الذين يقدمون عقولهم وأفكارهم وأهواءهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أَوْلَتْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٤٨ - ٥١].

هذا فرق ما بين المؤمن والمنافق، المنافق يدعي الإيمان في الظاهر، وهو غير مؤمن في الباطن، ولذلك لا ينقاد لأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، أما المؤمن فإنه ينقاد ظاهراً وباطناً، والمنافق ينقاد ظاهراً ولا ينقاد باطناً، فالواجب على المسلم أن يسلم لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِن أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «يا أيها الناس اتهموا الرأي في الدين، فلقد رأيتني يوم أبي جندل أزدُ أمر رسول الله ﷺ وأجتهد رأبي

وما أَلَوْتُ عن الحق»^(١). في يوم الحديبية، أو صلح الحديبية، شق على الصحابة، لأنهم رأوا أن هذا فيه غضاضة على المسلمين، رأوا أن رجوعهم وترك العمرة ومعاهدة المشركين فيه ذلة للمؤمنين، وفيه انتصار للكفار، بينما العكس، فصلح الحديبية صار عزًا للإسلام والمسلمين وذلاً على الكفار، صارت النتيجة للمسلمين، وسماه الله فتحًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

هذا صلح الحديبية، وصار مقدمة لفتح مكة المشرفة، وتمت المعاهدة بين النبي ﷺ وبين المشركين على وضع الحرب وتَرْكِ الناس؛ فمن أراد أن يذهب إلى المدينة فليذهب، ومن أراد أن يذهب إلى قريش فليذهب، فالذين كانوا ممنوعين من الهجرة وممنوعين من الدخول في الإسلام سنحت لهم الفرصة فهاجروا قبل الفتح، قبل فتح مكة، وخف الأذى من المشركين على المسلمين الذين في مكة، صار فيه مصالح للمسلمين.

ولما تبين لعمر ﷺ بعد ذلك ندم على ما كان قاله في هذا اليوم، أما أبو بكر ﷺ فإنه مستسلم لما فعله الرسول ﷺ، ولم يعترض بشيء، وكان يهدئ من غضب أصحابه ويقول لهم: «هذا رسول الله ﷺ، الزموا ما يقول».

وهذا علي بن أبي طالب ﷺ يقول: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، ولكن رأيت رسول الله ﷺ يمسح

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (١٤٨)، من قول عمر ﷺ، وأخرجه البخاري (٣٠١٠، ٣٩٥٣)، ومسلم (١٧٨٥/٩٥، ٩٦)، من قول سهل بن حنيف ﷺ.

على أعلى الخف»^(١).

فالواجب علينا التسليم بلا اعتراض، فالرسول ﷺ يمسح على أعلى الخف فعلينا أن نتبعه ونمسح على أعلى الخف، ولا نتدخل بأهوائنا ونقول: لا، أسفل الخف أولى؛ لأنه هو الذي يباشر الأرض، هو الذي يعلق به الغبار، فهو أولى بالمسح، أما أعلى الخف فهو نظيف، بعيد عن الأرض. لكن هذا أمر الله ورسوله، والله أعلم سبحانه وتعالى، فالواجب الاتباع وعدم التدخل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الفصص: ٥٠]. فإذا صحت النصوص يجب التسليم لها، ولو كانت تخالف عقل الإنسان أو فكره، لأن النصوص معصومة، حق من الله ﷻ، أما الفكر والعقل فهو قاصر ومحل نقص، وكم من إنسان يرى اليوم رأياً، ويرى أنه هو الصواب، ومن الغد، أو بعد ساعات، يرى أنه خطأ، يرى أن رأيه الأول خطأ، هذا شيء نمارسه نحن مع أنفسنا، يتراءى لنا أن الصواب كذا وكذا، ثم بعد دقائق، أو ساعات، يتبين لنا أن الرأي الأول خطأ، أما النصوص من كتاب الله وسنة رسوله فإنها معصومة، ليس فيها خطأ، فهي صواب يقيناً؛ لأنها تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قال المصنف، حفظه الله: أحسن الله إليك، إن من أسباب رد النصوص في قلب الكلام وجعل الحق باطلاً والباطل حقاً، كقول

(١) تقدم تخريجه (ص ٦٠).

الرسول ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»^(١). وكما قال لذلك الرجل الذي قال: كيف أغرم يا رسول الله من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل؟. فقال ﷺ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»^(٢). ما تعليق سماحتكم؟

● الجواب:

نعم قصة حَمَلِ بن النابغة التي ذكرتم، نعم هي شاهد لهذا، حَمَلُ بن النابغة لَمَّا كُلف بدفع دية الجنين الذي سقط من بطن أمه بسبب الجناية اعترض، كان الواجب عليه أن يستسلم ولا يعترض، هذا مقتضى الإيمان، ولكنه اعترض فقال: كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا ولا . . . إلى آخره. يعترض في النهاية، قال للنبي ﷺ: «مثل هذا يُطَلُّ». يعني يهدر، ليس له دية، حَمَلٌ يقول: ليس له دية مثل هذا. والشرع يقول: لا، هذا له دية؛ لأنه نفس معصومة محترمة، فَحَمَلٌ يعارض، فقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ». إنكاراً من النبي ﷺ، لأن الكهان هم الذين يردون الحق، فهذا الرجل نحا منحى الكهان، واستعمل سجع الكهان الذي رد به الحق، فالسجع ليس مذموماً لذاته، ولكنه يذم إذا قصد به معارضة الحق، وهو سجع الكهان الذي يرد به الحق، أما السجع الذي لا يرد به الحق فليس مذموماً.

قال المصنف، حفظه الله:

أحسن الله إليك، هل إدخالُ العامة فيما يسمى بالسياسة بمفهومها المعاصر منهج شرعي سليم؟

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه ص (٦٠).

• قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

من أصول المعتزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويفسرونها بالخروج على الأئمة، هم يسمونه أمرًا بمعروف ونهيًا عن المنكر، وهو ليس كذلك، ليس أمرًا بالمعروف، بل هو المنكر نفسه؛ لأنه يخالف ما أمر به النبي ﷺ؛ من عدم الخروج على ولاة الأمور الذين لم يكفروا، لم يُخرجهم عملهم للكفر، الرسول ﷺ أمر بالسمع والطاعة، وأمر باحترام ولاة الأمور، وإن كانوا عصاة، وإن كانوا فساقًا، وإن كانوا جاهلين، ما داموا لم يكفروا؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «إلا أن ترؤا كفرًا بواحا»^(١). فهذا مخالف، هذا هو المنكر، هم يسمونه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن في الحقيقة أن هذا هو المنكر، هذا أمر بالمنكر ونهي عن المعروف، نهي عن المعروف الذي أمر به النبي ﷺ، وهو من أصولهم، من أصول المعتزلة.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤٧)، ومسلم (٤٢/١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

القاعدة التاسعة

أن ظهور المسلمين وصلاح أحوالهم مربوط
بأمرين: العلم النافع، والعمل الصالح

لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ
الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقال في ضمن آيات الجهاد: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا
كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ
إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً،
فكان منها نقيّة قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها
أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت
منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من
فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك
رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (١٥/٢٢٨٢).

وقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». أخرجاه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه (١).

وعن زياد بن ليبيد؛ قال: ذكر النبي ﷺ شيئاً، فقال: «ذاك عند أوانٍ ذهابِ العلم». قلت: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونُقرِّئه أبناءنا ويقرِّئه أبناؤنا أبناءهم، إلى يوم القيامة؟! قال: «تَكَلَّفْتُكَ أُمَّكَ زِيَادُ؛ إِنْ كُنْتُ لِأُرَاكَ مِنْ أَفْقِهِ رَجُلٌ بِالْمَدِينَةِ، أَوْ لَيْسَ هَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى يقرؤون التوراة والإنجيلَ لا يعملون بشيءٍ مما فيهما». رواه أحمد وابن ماجه (٢).

وفي حديث عدي بن حاتم: «إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ وَإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى». الحديث رواه أحمد والترمذي وغيرهما (٣).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَهُوَ أَشْرُ مِمَّا كَانَ قَبْلَهُ، أَمَا إِنِّي لَا أَعْنِي أَمِيرًا خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَلَا عَامًّا أَخْصَبَ مِنْ عَامٍ، وَلَكِنْ عِلْمَاؤَكُمْ وَفُقَهَاؤَكُمْ يَذْهَبُونَ، ثُمَّ لَا تَجِدُونَ مِنْهُمْ خَلْفًا، وَيَجِيءُ قَوْمٌ يُفْتُونَ فِي الْأُمُورِ بِرَأْيِهِمْ» (٤).

(١) تقدم تخريجه ص ٥٩، ٦٠.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٦٠/٤)، وابن ماجه (٤٠٤٨)، وانظر «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٧٢).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٣٧٨/٤)، والترمذي (٢٩٥٣، ٢٩٥٤)، وانظر «الصحيححة» (٣٢٦٣).

(٤) أخرجه الدارمي (١٨٨).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

وهذه القاعدة فيها أن صلاح الأمة وفلاحها مرتبط بأمرين لا بد منهما، فإن فقد أحدهما فلا صلاح للأمة ولا فلاح لها، وهما:
أولاً: العلم النافع. وثانياً: العمل الصالح.

فإن هذين الأمرين هما اللذان بعث الله بهما نبيه محمداً ﷺ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح: ٢٨]. فالهدى: هو العلم النافع. ودين الحق: هو العمل الصالح. فهما مقترنان، لا ينفع علم بدون عمل، ولا ينفع عمل بدون علم، فالعلم بدون عمل ما نفع اليهود، فعندهم التوراة ويعلمون ما فيها، حُمِلُوا وَلَكِنْهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا، فقد شبههم الله بالحمار الذي يحمل الكتب ولا ينتفع بها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

وقد سماهم الله مغضوباً عليهم، لأنهم عصوا الله على بصيرة، فذلك غضب الله عليهم، لأنهم أوتوا علماً ولم يعملوا به، فكل من اتصف بهذه الصفة فإنه يستحق هذا الوعيد، ويكون مغضوباً عليه، كل من علم ولم يعمل بعلمه فإن الله يغضب عليه، سواء من اليهود أو من هذه الأمة.

وكذلك العمل بدون علم، العمل تبعاً للأهواء وتبعاً للتقليد الأعمى والعادات، هذا لا يغني شيئاً، وإن تعب صاحبه به، فإن العمل بدون علم ضلال، سماه الله ضلالاً، وسمى الذين يعملون بدون علم ضالين، وهذا في آخر سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ . ذكر ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى : الذين أنعم الله عليهم ، وهم أهل الصراط المستقيم ، الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح ، وهؤلاء هم الذين ذكرهم الله في قوله : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩] . والطائفة الثانية : المغضوب عليهم ، وهم الذين أخذوا العلم فقط ، وتركوا العمل ، هؤلاء مغضوب عليهم ، لأن من يعلم ليس كمن لا يعلم ، من عصى الله وهو يعلم فإنه أشد ممن عصى الله وهو لا يعلم . الطائفة الثالثة : الضالون ، وهم الذين أخذوا العمل وتركوا العلم ، أخذوا العمل وأجهدوا أنفسهم به ، ولكنهم على غير علم ، ما يأخذون بالدليل من الكتاب والسنة ، والعمل لا بد أن يكون مبنياً على دليل ، كل عبادة ليس عليها دليل فهي بدعة ، قال ﷺ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ »^(١) . وقال : « وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنْ كَلَّ مُحَدَّثَةٌ بَدْعَةً وَكَلَّ بَدْعَةٌ ضَلَالَةٌ »^(٢) . فهؤلاء أتعبوا أنفسهم بالعمل وهم في ضلال ، وعملهم باطل ؛ لأنه لم يبن على أصل ، ولم يبن على دليل من الكتاب والسنة .

فلم ينج إلا الطائفة الأولى ، وهم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح ، وهؤلاء هم الذين نسأل الله في كل ركعة أن يهدينا صراطهم ، وأن يجنبنا صراط الطائفتين المخالفتين .

(١) تقدم تخريجه (ص ١٢) .

(٢) تقدم تخريجه (ص ٢٥ ، ٢٦) .

وبالمناسبة، فإن من الصنف الثالث الذين يعبدون الله على غير علم الصوفية، فالصوفية عندهم اجتهاد في الذكر والعبادة والتقشف، وتنطع كثير، لكنهم على غير علم، بل يزهدون في العلم ويؤهدون فيه، ويسخرون من الذين يعتنون بالعلم، ويقولون: هؤلاء يشغلون أنفسهم بالوسيلة ويتركون الغاية. فالغاية: عندهم العمل، والوسيلة: العلم، صحيح أن العمل غاية، وأن العلم وسيلة، ولكن الغاية لا يتوصل إليها إلا بالوسيلة، فإذا ضيعت الوسيلة لم يتوصل إلى الغاية، ونحن لا نقول للناس: اشتغلوا بالعلم، واتركوا العمل. وإنما نقول لهم: اجمعوا بين الأمرين، بين العلم والعمل.

فهؤلاء الصوفية، ولا يزالون، هذه طريقتهم، يشتغلون بالعبادة وبالذكر، وبالأوراد وبالمصطلحات التي وضعوها لأنفسهم، أو وضعها لهم مشايخ الطرق، ويباعون عليها، ويعاهدون عليها، وهي ضلال في ضلال؛ لأنها مبنية على غير علم، وأهلها لا يريدون العلم، بل هم أزهد الناس بالعلم، وهذا خداع من الشيطان، فالواجب الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح.

ثم إن النبي ﷺ قسم الناس ثلاثة أقسام بالنسبة إلى ما جاء به ﷺ من العلم النافع والعمل الصالح:

القسم الأول: جمعوا بين رواية العلم، رواية النصوص وحفظها وإتقانها وإبعاد الدخيل عنها، وبين الفقه فيها، جمعوا بين الحفظ والتفقه فيها وشرحها وبيان معانيها وما تشتمل عليه، فهذا القسم هم أفضل الأقسام، وهم أهل الرواية والدراية، فقهاء المحدثين كالإمام أحمد والإمام البخاري والإمام الشافعي، وكل فقهاء المحدثين من هذا

الصنف، وهذه الطبقة العالية، نسأل الله الكريم من فضله .

القسم الثاني: وهم دون الأول، لكن فيهم خير، وفيهم فضل، وهم الذين عُثُوا بالرواية والأسانيد، بدراسة الأسانيد وبيان الصحيح من غيره، حفظوا المتون وأتقنوها، ولكنهم لم يشتغلوا بالفقه، بل هم حفاظ فقط، هذه أمسكت الماء، ولكن لم تنبت كلاً، أما الطبقة الأولى فهي مثل الأرض الطيبة، التي أمسكت الماء وأنبت الكلاً، فانتفع الناس بها، انتفعوا بالماء وانتفعوا بالكلاً، هذا رعي، وهذا شراب، والطائفة الثانية أمسكت الماء، نفعت الأمة بأنها قامت على حفظ الكتاب والسنة بأمانة، وهؤلاء هم علماء الرواية الذين اشتغلوا بالرواية فقط، وفيهم فضل، وفيهم خير كثير، وإن كانوا دون الطبقة التي قبلها، كما تقدم، لكنهم نفعوا الناس نفعاً عظيماً، بحفظ النصوص وإتقانها وضبطها وإبعاد الزيف والدّخل عنها.

القسم الثالث: لا خير فيهم، مثل الأرض الجدبة التي لا تنبت ولا تمسك ماءً، يأتي عليها السيل فلا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً، بل هي لا تزال على حالها كأنها لم يأتها شيء من المطر! أجادب، فهؤلاء هم الذين لا علم عندهم، لا رواية ولا دراية، جهال الناس، الذين لا عناية لهم بالعلم، ولا يشتغلون به أبداً، ولا يُعرفون به، هؤلاء لا خير فيهم ولا فائدة منهم.

وهذه أقسام الناس بالنسبة لما جاء به الرسول ﷺ، فالطبقة الأخيرة لم ترفع رأساً بما جاء به الرسول ﷺ ولم تهتم به، لا رواية ولا دراية، فقدوا الأمرين، فهم لا فائدة منهم ولا خير فيهم.

وهذا أراد به النبي ﷺ حث الناس على طلب العلم والتفقه في

دين الله، وحذرهم من إهمال العلم والفقهِ، فإذا كان في الناس من الصنفين الأولين فهم في خير، فيهم علماء رواية ودراية، وعلماء رواية، الناس في خير، عندهم مصادر الخير، لكن إذا فقد الصنفان الأولان ولم يبق إلا الصنف الثالث، الذين هم لا رواية ولا دراية، فإن الأمة تكون في شرٍّ، وهذا يكون في آخر الزمان، إذا قبض العلم بموت العلماء، ولم يبق للناس علماء يُرجع إليهم إلا من جنس الطبقة الثالثة، فإن الناس إلى أين يذهبون، ومن أين يستمدون العلم والعمل، ومن يسألون إذا فقد العلماء ورفع العلم؟ فإن هذا علامة شرٍّ في الأمة، فلا بقاء للأمة إلا بوجود العلم والعلماء، بوجود العلم والعمل، فإذا فقد العلم والعمل والعلماء فإن الأمة تكون في ظلام؛ يتخذون رؤوساً جهّالاً، فيسألون فيفتون بغير علم، فيضلُّون ويضلُّون.

والعلم أيضًا لا يأتي عفواً، العلم يحتاج إلى طلب، إلى تعلم، ليس بالشيء السهل يحصل عليه الإنسان متى ما أراد، العلم له أصول وطرق، كما قال ﷺ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(١).

لا بد من سلوك طريق التعلم، وأخذ العلم عن العلماء ما داموا موجودين، والعلم ما يؤخذ من الكتب، أو من القراءة، أو من الجهال، أو من المتعلمين، هذا ليس علماً، هؤلاء يسمون قراء، في آخر الزمان يكثر القراء ويقل الفقهاء، وجود القراء ما يغني شيئاً ولا ينفع شيئاً، إذا عدم الفقهاء فإن وجود القراء يضر الناس أكثر مما ينفع، أو لا ينفع

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩ / ٣٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أصلاً، فالعلم لا بد أن يؤخذ من العلماء، يؤخذ من أصوله، يؤخذ من متونه ومبادئه، لا بد من هذا.

● خطر تبديل المفاهيم الشرعية:

ثم قال المصنف، حفظه الله، تعليقا:

هذا - كما لا يخفى على سماحتكم - بسبب الخلاف في مثل هذه الأصول خرجت عندنا مفاهيم جديدة في الدعوة إلى الله على غير ما فهمناه من العلم، من كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، مفاهيم جديدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير ما علمناه من الكتاب والسنة، مفاهيم جديدة في الجهاد في سبيل الله على غير ما فهمناه، يعني جميع مفاهيم الدين التي ورثناها عن النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم، لأنها فسرت بغير تفسيرها وفهمت على غير وجهها .

ثم علق سماحة الشيخ، فقال حفظه الله :

نعم، هذه من إفرازات ما ذكرنا، من اعتماد كثير من المنتسبين إلى طلب العلم، اعتمادهم على أنفسهم وعلى أمثالهم، وعدم رجوعهم إلى أهل العلم والبصيرة وأهل الفقه، فهم اختطوا لأنفسهم خططا من عند أنفسهم ليس لها أصول من الشرع، ولم يراجعوا فيها أهل العلم وأهل البصيرة ويستتيروا برأيهم، فهذه نتيجة انفصال هؤلاء المنتسبين إلى طلب العلم، انفصالهم عن العلماء، وأخذ العلم من مصادره الصحيحة، صاروا يأخذون العلم من غير مصادره، فنتج عن هذا وجود هذه المناهج، وهذه الأساليب التي ابتكروها، لأن الجهل لا يولد إلا جهلاً، هذه هي المصيبة، إذا رجع الناس إلى غير العلماء حصلت المصائب، وكون الإنسان فيه غيرة وتحمس وحبٌ للدين، هذا لا يكفي، لا بد أن

يكون مبنياً على علم صحيح، على توجيه سليم، لا بد من الرجوع إلى أهل العلم، يقول الله جل وعلا: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

أما إن الجاهل يعتمد على نفسه وعلى فهمه وعلى كتبه التي عنده، أو يعتمد على من مثله من المتعالمين هذه هي المصيبة، يُذكر أنه لما كان أيام الفتنة، أيام الملك عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، نوصح بعض أهل البادية وقيل لهم: راجعوا العلماء. قالوا: عندنا مجموعة التوحيد تكفيها عن العلماء! هذه هي المصيبة، إذا كان الإنسان يعتمد على كتاب، وهو لا يزال مبتدئاً أو لا يعرف شيئاً، فهذه هي المصيبة، مجموعة التوحيد طيبة وفيها خير لا شك، لكن تحتاج إلى علماء يبينون ما فيها، يشرحون ما فيها، أما وجود الكتاب، وإن كان جيداً وطيباً، لا يكفي، لا بد من وجود عالم يبين ويوضح ما فيه، لو أراد أحد أن يشتغل بالطب وعنده كل أدوات الطب، كل الأدوية، لكنه ما تعلم الطب، فهل يسوغ له أنه يشرح أجسام الناس، ويشق بطونهم؟ يقول: أنا عندي أدوية، وعندي أدوات طيبة، وعندي كل الوسائل الطيبة. لكنه ما تعلم الطب، هذا يهلك الناس، فإذا كان هذا في أمور الدنيا فكيف في أمور الدين؟!!

أنت عندك كتب وعندك كل أدوات ووسائل العلم، لكن ما عندك مُعلم، ولا رجعت إلى المُعلمين الربانيين، هذا يفسد في الدين، ولهذا يقال: يفسد البلاد نصف فقيه، ونصف نحوي، ونصف طبيب، ونصف متكلم. هذا يفسد الأبدان وهو نصف طبيب، وهذا يفسد البلدان وهو نصف الفقيه، لأنه يفتي بغير علم، وهذا يفسد الأديان وهو نصف المتكلم، الذي تعلم المنطق وهو ما يحسن، يفسد الأديان؛ لأنه يدخل

في العقائد ويخربها، وهذا يفسد اللسان وهو نصف نحوي؛ لأن نصف النحوي يفسد اللغة، لا بد من نحوي كامل، يعني متكامل في العلم، لا بد من فقيه متكامل في الفقه، ولا بد من طبيب حاذق في الطب، وهكذا.

ثم قال المصنف، حفظه الله :

أحسن الله إليك، هناك عبارة لبعض أهل العلم، ظهرت دعوات في نصف القرن الماضي في بعض الدول العربية تقول إنه ينبغي الدعوة إلى الإسلام بمفهومه العام، وتركوا الدعوة إلى التوحيد لأن التوحيد يحتاج إلى علم، وليس عندهم العلم الصحيح في التوحيد؟ ما تعليقكم حفظكم الله؟

فأجاب سماحة الشيخ، حفظه الله :

كما ذكرنا، هذا لا يجدي أبداً، إن الدعوة إلى الإسلام بالاسم العام لا تكفي، ما هو الإسلام؟ هل هو اسم فقط؟ نعم، الكل يدري أن الإسلام طيب وأن الإسلام دين صحيح، لكن الفائدة ما هو الإسلام؟ النبي ﷺ لما أرسل علي بن أبي طالب عليه السلام يوم خيبر وأعطاه الراية و قال له: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه»^(١). لم يقل ادعهم إلى الإسلام فقط، قال: «وأخبرهم بما يجب عليهم». يعني اشرح لهم الإسلام ما هو؟ أما الإسلام بالاسم العام فقط، فهذا لا يجدي شيئاً، كأن يفسر الإسلام بما

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٧، ٣٤٩٨، ٣٩٧٣)، ومسلم (٣٤/٢٤٠٦) من حديث سهل بن

هو عليه، فإن أهل البدع يفسرون الإسلام بما هم عليه، الجهمية يفسرون الإسلام بما هم عليه، القبورية والصوفية يفسرون الإسلام بما هم عليه، يقولون: هذا هو الإسلام! لكن الإسلام الذي بُعث به محمد ﷺ إسلام صحيح يحتاج إلى معرفة، يحتاج إلى بصيرة، يحتاج أن يفصل للناس على بصيرة، أما الدعوة إلى الإسلام باسم عام، فإنها لا تغني شيئاً، بل ربما تضر؛ لأن كلاً يفسر الإسلام بما هو عليه، حقاً أو باطلاً.



رَفَع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة العاشرة

أنهم يعتقدون أن الجماعة
أصل من أصول دينهم

لقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾

[آل عمران: ١٠٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير الآية: «حبل الله: الجماعة». رواه ابن جرير^(١). وفي حديث الافتراق، لما سئل عن الفرقة الناجية قال: «الجماعة»^(٢).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وِلَاةَ اللَّهِ أَمْرَكُمْ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ»^(٣).

قال الشافعي رحمته الله: «فإن قلت: ما معنى أمر النبي ﷺ في لزوم

(١) في «تفسيره» (٧١/٧).

(٢) تقدم تخريجه ص ٣١، ٣٢.

(٣) أخرجه مسلم (١٠/١٧١٥).

جماعتهم؟

قلت: لا معنى له إلا واحدة.

فإن قلت: فكيف لا يحتمل إلا واحدة.

قلت: إذا كانت جماعتهم متفرقة في البلدان فلا يقدر أحد أن يلزم أبدان أقوام متفرقين، وقد وجدت الأبدان تكون مجتمعة في المسلمين والكافرين والأتقياء والفجار، فلم يكن في لزوم جماعتهم معنى إلا ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعة فيهما، ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعتهم فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها^(١).

وقال أبو شامة رحمته الله: «حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، ولا ننظر إلى كثرة أهل الباطل من بعدهم»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيُضْبِرْ فَإِنَّهُ مِنْ خَرَجٍ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». أخرجه البخاري^(٣). وفي رواية له: «فإنه ليس أحدٌ يفارقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٤).

(١) «الرسالة» (ص ٤٧٥، ٤٧٦).

(٢) «الباعث على إنكار البدع» (ص ٢٢).

(٣) برقم (٦٦٤٥)، ومسلم (١٨٤٨/٥٣).

(٤) برقم (٦٧٢٤).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله :

هذه القاعدة في بيان أنه لا بد للمسلمين من جماعة تجمعهم، ولا يصلح المسلمون وهم متفرقون، كلُّ له طريقة، كلُّ له منهج مستقل، لا بد أن يكون منهجهم واحدًا وطريقتهم واحدة.

ربما تسأل وتقول: أين الطريق وأين المنهج الذي يجمع الناس، الناس كلُّ له رأي وله اتجاه، ليست عقولهم واحدة، ولا مداركهم واحدة حتى يجتمعوا على منهج واحد، هذا مستحيل، إن الناس يكونون على منهج واحد، وعقولهم مختلفة، ومداركهم مختلفة، كلُّ يبتكر غير ما يبتكره الآخر، كل واحد يرى أن ما عليه صواب وما عليه الآخر خطأ؟ فنقول جوابًا على هذا :

إن الله لم يكل الناس إلى عقولهم وإلى مداركهم، وإنما أنزل لهم كتابًا وبعث لهم نبيًا يسيرون على نهجه، نهج الكتاب والسنة، ولا يعتمدون على عقولهم وأفكارهم واستحساناتهم، أو ما يبتكره لهم رؤسائهم أو عشائريهم أو قبائلهم أو شعوبهم، لا، إن الله لم يكل الناس إلى هذا، لو وكلهم إلى هذا لتفرقوا ولتقاتلوا ولتناحروا وضلوا، ولكن الله أنزل لهم هدىً يسيرون عليه، فقال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا أَيُّكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

فالله لم يكلنا إلى عقولنا ومداركنا أو مدارك غيرنا، وإنما أنزل إلينا

كتابًا وأرسل إلينا رسولاً، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فإذا رجع الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حصل الاجتماع، كما هو واقع في صدر هذه الأمة، كانوا متفرقين، العالم كله كان متفرقاً أشد التفريق، وخصوصاً العرب، فلما بعث الله رسوله، وأنزل كتابه واجتمعوا عليه، صاروا مجتمعين متآلفين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنُصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

فلا يؤلف القلوب ويجمع الناس إلا الكتاب والسنة، بدون ذلك لا يمكن أن يجتمعوا، متى ما اختلفوا مناهج من عند أنفسهم فإنهم لا يمكن أن يجتمعوا أبداً، لا يوحد الناس إلا الكتاب والسنة واتباع منهج السلف الصالح، هذا هو المنهج الصحيح للاجتماع، وهذا هو الذي يرضاه الله ﷻ، يقول الله جل وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال ﷻ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصرحوا من ولاء الله أمركم»^(١). هذه الثلاث هي التي تجمع الناس، وتفصيلها كالاتي:

الأمر الأول: التوحيد، العقيدة الصحيحة، التي هي على وفق الكتاب والسنة، لا إله إلا الله، مدلولها ومعناها ومقتضاها، هذا هو الذي يجمع

(١) تقدم تخريجه ص (٧٩).

الناس، أما إذا صار لهم عقائد مختلفة فإنهم يتفرقون.
فالمصدر الأول العقيدة، تكون العقيدة واحدة هي عقيدة القرآن
والسنة.

الأمر الثاني: المصدر الذي يرجعون إليه إذا تنازعوا واختلفوا، كما في
قوله ﷺ: «وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا». وحبل الله: هو
القرآن وسنة الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَنْ نَنْزِعَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ
وَأَرْسُولٍ﴾ [النساء: ٥٩].

الذي يقضي على النزاع هو الرجوع إلى الكتاب والسنة، أما الرجوع
إلى مناهج الناس ومناهج البشر فإنه يفرق الناس، وأما الرجوع إلى
الكتاب والسنة فهو الذي يحسم النزاع بين الناس، لأنه تنزيل من حكيم
حميد، أنزله ليحكم به بين الناس فيما اختلفوا فيه، فهو الذي يحسم
النزاع، ويرضي الجميع، لأنه من الرب سبحانه وتعالى، عدل وحكم
وقسط، وصراط مستقيم.

الأمر الثالث: من مقومات الاجتماع: القيادة، طاعة القيادة، أن يكون
للمسلمين قيادة موحدة، وهو الإمام المسلم، وأن يطيعوه ولا يخالفوه،
قال ﷺ: «وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وُلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ»
فمن مناصحته: طاعته وعدم الاختلاف عليه.

ومن مناصحته بيان الخطأ الذي يحصل حتى يجتنب، ودلالته على
الخير.

ومن مناصحته القيام بما يكله إلى الرعية كي يقوم بالعمل على الوجه
المطلوب، الوظيفة يؤديها على الوجه المطلوب حتى تتم المصالح.
ومن النصيحة لولي الأمر، أيضًا، الدعاء له بالصالح والتوفيق

والتسديد. كل هذا من النصيحة لولي الأمر. أما الذي يعصي ولي الأمر ويخالفه، أو يتكلم فيه أمام الناس، ويبغضه للناس، ويحقد الناس عليه، هذا من الخيانة لولي الأمر، كذلك الذي يرى الخطأ يقع ولا يبلغ ولي الأمر عنه، يرى الخلل في الناس، يرى المخالفات في الناس ولا يبلغ ولي الأمر؛ من أجل تدارك هذا الشيء قبل أن يستفحل، هذا من خيانة ولي الأمر.

بهذه الأمور الثلاثة يتم الاجتماع:

١- العقيدة الصحيحة.

٢- الرجوع إلى الكتاب والسنة عند النزاع.

٣- طاعة ولي الأمر ونصيحته والنصح له.

بهذه الأمور يحصل الاجتماع، إذا اختلف واحد منها حصل التفرق، حصل الاختلاف والنزاع، تشتت الأمة.

فهذه القاعدة، قاعدة عظيمة وهي: أن المسلمين لا بد لهم من اجتماع، ولا اجتماع إلا على الكتاب والسنة، والعقيدة الصحيحة، والقيادة الصالحة التي تطاع وينقاد لها، بهذا تحصل المنافع والهيبة للمسلمين.



القاعدة الحادية عشرة

أنهم يعتقدون أن أعظم أسباب الافتراق هو تشييع وتحزب بعض المسلمين إلى طائفة أو جماعة أو شخص غير رسول الله ﷺ وصحابته الكرام

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال ابن كثير^(١): «الظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق».

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

قال ابن كثير^(٢): «وهذه الأمة أيضاً اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضالة إلا واحدة؛ وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله

(١) في «تفسيره» (٢/٢٦٢).

(٢) المصدر السابق (٣/٥٧٢).

وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما روى الحاكم في «مستدرکه» أنه سئل صلى الله عليه وسلم عن الفرقة الناجية، فقال: «مَنْ كان على ما أنا عليه اليومَ وأصحابي»^(١).

وفي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وأنا أمرُكم بخمسِ الله أمرني بهنَّ: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قِنْدَ شبرٍ فقد خلع رِبْقَةَ^(٢) الإسلام من عنقه، إلا أن يرجع، ومن ادَّعى دعوى الجاهلية فإنه من جُنِّي جهنم^(٣)». فقال رجل: يا رسول الله، وإن صَلَّى وصام؟! قال: «وإن صَلَّى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سَمَّاكم: المسلمين، المؤمنين، عبادَ الله». رواه أحمد والترمذي، وقال الترمذي: حسن صحيح^(٤).

وقيل لابن عباس: أنت على مِلَّةِ عليٍّ أو على مِلَّةِ عثمان؟ فقال: «بل أنا على مِلَّةِ رسولِ الله ﷺ»^(٥).

(١) تقدم تخريجه، (ص ٣١، ٣٢).

(٢) الرِبْقَةُ في الأصل: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني ما يشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام، أي: حدوده وأحكامه، وأوامره ونواهيه. «النهاية في غريب الآثار» (٢/١٩٠).

(٣) من جُنِّي جهنم، بضم الجيم مقصور، أي: من جماعاتها، جمع جثوة بالحركات الثلاث، وهي: الحجارة المجموعة. ورُوي: من جُنِّي، بتشديد الياء وضم الجيم، جمع جاث، من جثي على ركبتيه يجثو ويجثي. «تحفة الأحوذى» (٨/١٣٢).

(٤) صحيح: أخرجه الإمام أحمد (٤/١٣٠، ٢٠٢)، والترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤)، وانظر «صحيح الجامع» (١٧٤٢).

(٥) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٣٢، ١٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٩٨-٢٩٩)، وابن حزم في «الإحكام» (٤/٣٢٨)، و(٦/١٧٤). وروى ابن حزم (٦/١٧٤، ١٧٥) =

● تاريخ افتراق الأمة:

«واعلم أنه لما أظلمت الأرض وبعُدَ عهدُ أهلها بنورِ الوحي، وتفرَّقوا في الباطلِ فرَقًا وأحزابًا، لا يجمعهم جامع ولا يحصيهم إلا الذي خلقهم؛ فإنهم فقدوا نورَ النبوة ورجعوا إلى مجردِ العقولِ، فكانوا كما قال النبي ﷺ فيما يروي عن ربِّه أنه قال: «إني خلقتُ عبادي حنفاءً، وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالَتْهُمُ»^(١) عن دينهم، وحرَّمتُ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتُهُم أن يشركوا بي ما لم أنزلْ به سلطانًا. وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب»^(٢). فكان أهل العقول كلُّهم في مقته إلا بقايا متمسكين بالوحي، فلم يستفيدوا بعقولهم حين فقدوا نور الوحي إلا عبادة الأوثان، أو الصلبان، أو النيران، أو الكواكب والشمس والقمر، أو الحيرة والشك، أو السحر، أو تعطيل الصانع والكفر به! فاستفادوا بها مقت الربِّ سبحانه لهم وإعراضه عنهم، فأطلع الله شمس الرسالة في تلك الظلم سراجًا منيرًا، وأنعم بها على

= أيضًا بسنده، عن إبراهيم النَّخَعِيِّ، قال: كان يُكره أن يُقال: سُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ. ولكن سنة الله وسنة رسوله. ثم قال ابنُ حزم: «فإذا كان الصحابة والتابعون ﷺ لا يستجيزون نسبة ما يعبدون به ربههم ولا مذاهبهم إلى أبي بكر ولا إلى عمر ولا إلى عثمان ولا إلى علي، ولا ينتسبون إلى أحد دون رسول الله ﷺ فكيف بهم لو شاهدوا ما نشاهده من المصائب الهادمة للإسلام على من امتحنه الله به من الانتماء إلى مذهب فلان وفلان والإقبال على أقوال مالك وأبي حنيفة والشافعي وترك أحكام القرآن وكلام النبي ﷺ ظهريًا؟! والحمد لله على تثبيته إيانا على دينه وسنته التي مضى عليها أهل الأعصار المحمودة قبل أن تحدث بدعة التقليد وتفشو، وبالله نعتصم». اهـ.

(١) فاجتالتهم: أي استخفَّوهم، فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل. «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢٤٧/٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) ضمن حديث طويل، من حديث عياض بن حمار الأشجعي ﷺ.

أهل الأرض في عقولهم وقلوبهم ومعاشهم ومعادهم، نعمة لا يستطيعون لها شكورًا، فأبصروا بنور الوحي ما لم يكونوا بعقولهم يبصرونه، ورأوا في ضوء الرسالة ما لم يكونوا بأرائهم يرونه، فكانوا كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وقال: ﴿الرَّ كِتَبٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].
وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فمضى الرعيلُ الأولُ في ضوء ذلك النورِ لم تطفئه عواصفُ الأهواءِ، ولم تلتبسْ به ظلمُ الآراءِ، وأوصوا من بعدهم أن لا يفارقوا النورَ الذي اقتبسوه منهم، وأن لا يخرجوا عن طريقهم، فلما كان في أواخرِ عصرِهِم حدثت أهل البدع والخوارج والقدرية والمرجئة، فبعدوا عن النورِ الذي كان عليه أوائلُ الأمة، ومع هذا فلم يفارقوه بالكلية؛ بل كانوا للنصوصِ معظِّمين، وبها مستدلِّين، ولها على العقولِ والآراءِ مقدِّمين، ولم يدعِ أحدٌ منهم أن عنده عقلياتٍ تعارضُ النصوصَ، وإنما أتوا من سوء الفهم فيها، والاستبداد بما ظهر لهم منها دون من قبلهم، ورأوا أنهم إن اقتفوا أثرهم كانوا مقلِّدين لهم، فصاح بهم من أدركهم من الصحابةِ وكبارِ التابعين من كل قطرٍ، ورموهم بالعظائم، وتبرأوا منهم، وحذروا من سبيلهم أشدَّ التحذير، ولا يرون السلامَ عليهم ولا

مجالستهم، وكلامهم فيهم معروف في كتب السنة، وهو أكثر من أن يُذكر هاهنا، فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي، ومع هذا كانوا قليلين أولاً، مقموعين مذمومين عند الأئمة، وأولهم شيخهم الجعد بن درهم، وإنما نفق عند الناس بعض الشيء لأنه كان معلّم مروان بن محمد وشيخه، ولهذا كان يسمى مروان الجعدي، وعلى رأسه سلب الله بني أمية الملك والخلافة، وشنتهم في البلاد، ومزقهم كل ممزق، ببركة شيخ المعطلة النفاة! فلما اشتهر أمره في المسلمين طلبه خالد بن عبد الله القسري - وكان أميراً على العراق - حتى ظفر به، فخطب الناس في يوم الأضحى، وكان آخر ما قال في خطبته: «أيها الناس؛ ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً! تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً». ثم نزل فذبحه في أصل المنبر، فكان ضحية.

ثم طفئت تلك البدعة فكانت كأنها حصاة رمي بها، والناس إذ ذاك عنق واحد^(١): أن الله فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، موصوف بصفات الكمال، ونعوت الجلال، وأنه كَلَّمَ عبده ورسوله موسى تكليماً، وتجلّى للجبل فجعله دكاً هشيماً.

إلى أن جاء أول المائة الثالثة وولّي على الناس عبد الله المأمون، وكان يحب أنواع العلوم، وكان مجلسه عامراً بأنواع المتكلمين في العلوم، فغلب عليه حبّ المعقولات، فأمر بتعريب كتب يونان، وأقدم لها المترجمين من

(١) العنق: الجماعة الكثيرة. والمعنى أنهم مجتمعون على هذا الاعتقاد. وينظر: تاج

البلاد فعربت له، واشتغل بها الناس، والمَلِكُ سوقٌ، ما سُوقَ فيه جُلبَ إليه، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ممن كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتبعهم بالحبس والقتل، فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه، فقبلها واستحسنها، ودعا الناس إليها، وعاقبهم عليها، فلم تَطُلْ مدته، فصار الأمر بعده إلى المعتصم - وهو الذي ضرب الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلٍ - فقام بالدعوة بعده، والجهمية تصوّب فعله، وتدعوه إليه، وتخبره أن ذلك هو تنزيه الربِّ عن التشبيه والتمثيل والتجسيم، وهم الذين قد غلبوا على قلبه ومجلسه، والقضاة والولاة منهم، فإنهم تبع لملوكهم، ومع هذا فلم يكونوا يتجاسرون على إلغاء النصوص، وتقديم الآراء والعقول عليها، فإن الإسلام كان في ظهورٍ وقوة، وسوقَ الحديثِ نافقةً، ورؤوس السنة على ظهر الأرض، ولكن كانوا على ذلك يحومون، وحوله يدندنون، وأخذوا الناس بالرغبة والرغبة، فمن بين أعمى مستجيب، ومن بين مُكْرَهٍ مقيد نفسه منهم بإعطاء ما سألوه، وقلبه مطمئن بالإيمان.

وَتَبَّتْ اللَّهُ أَقْوَامًا جَعَلَ قُلُوبَهُمْ فِي نَصْرِ دِينِهِ أَقْوَى مِنَ الصَّخْرِ وَأَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ، وَأَقَامَهُمْ لِنَصْرِ دِينِهِ، وَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةَ يُقْتَدِي بِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِهِ يُوقِنُونَ، فَإِنَّهُ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. فصبروا من الجهمية على الأذى الشَّدِيدِ، ولم يتركوا سنةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ لما أرغبوهم به من الوعيدِ، وما تهددوهم به من الوعيدِ.

ثم أطفأ اللهُ برحمته تلك الفتنة، وأخمد تلك الكلمة، ونصر السنة نصرًا عزيزًا، وفتح لأهلها فتحًا مبيّنًا، حتى خُرج بها على رؤوس

المنابر، ودُعي إليها في كل بادٍ وحاضرٍ، وصُنِّف ذلك الزمان في السنة ما لا يحصيه إلا الله.

ثم انقضى ذلك العصرُ وأهله، وقام بعدهم ذريتهم يدعون إلى كتابِ الله وسنةِ رسوله على بصيرة، إلى أن جاء ما لا قبل لأحد به، وهم جنودُ إبليسَ حقًّا، المعارضون لما جاءت به الرسل بعقولهم وآرائهم، من القَرَامِطَةِ والباطنية والملاحدة، ودعوتهم إلى العقل المجرد، وأن أمور الرسل تعارض المعقول! فهم القائمون بهذه الطريقة حق القيام بالقول والفعل، فجرى على الإسلام وأهله منهم ما جرى، وكسروا عسكرَ الخليفة مرارًا عديدة، وقتلوا الحاج قتلاً ذريعًا، وانهوا إلى مكة فقتلوا بها من وصل من الحاج إليها، وقلعوا الحجرَ الأسودَ من مكانه، وقويت شوكتهم، واستفحل أمرهم، وعظمت بهم الرزية، واشتدت بهم البلية.

وأصلُ طريقهم: أن الذي أخبرت به الرسلُ قد عارضه العقلُ، وإذا تعارض العقلُ والنقلُ قَدَّمنا العقلُ! قالوا: فنحن أنصارُ العقلِ، الدَّاعون إليه، المخاصمون به، المحاكمون إليه!

وفي زمانهم استولى الكفارُ على كثيرٍ من بلادِ الإسلام في الشرقِ والغربِ، وكاد الإسلامُ أن ينهدَّ ركنه لولا دفاع الذي ضمن حفظه إلى أن يرث الأرضَ ومن عليها، ثم خمدت دعوة هؤلاء في المشرق، وظهرت من المغرب قليلاً قليلاً حتى استفحلت وتمكَّنت، واستولى أهلها على كثيرٍ من بلادِ المغربِ، ثم أخذوا يطوون البلادَ، حتى وصلوا إلى بلاد مصرَ فملكوها، وبنوا بها القاهرةَ، وأقاموا على هذه الدعوة مصرِّحين بها غير متحاشين منها، هم وولاتهم وقضائهم وأتباعهم، وفي زمانهم صُنِّفَت رسائل «إخوان الصفا» و«الإشارات» و«الشفاء» وكتبُ ابنِ سينا،

فإنه قال: كان أبي من أهل الدعوة الحاكمة .
وَعُطِّلَتْ في زمانهم السُّنَّةُ وكتبها والآثارُ جملةً؛ إلا في الخفية، بحيث
يكون قارؤها وذاكرها وكتبها على أعظمِ خطرٍ، وشعارُ هذه الدعوة:
تقديم العقل على الوحي! واستولوا على بلادِ المغربِ ومصرَ والشامِ
والحجازِ، واستولوا على العراقِ سنة، وأهل السنة فيهم كأهل الذمة بين
المسلمين؛ بل كان لأهل الذمة من الأمان والجاه والعزّ عندهم ما لا
يصل إليه أحد من أهل السنة ولا يطمع فيه، فكم أُغْمِدَتْ سيوفهم في
أعناق العلماء، وكم مات في سجونهم من ورثة الأنبياء، وكم مات بهم
سُنَّة، وقامت بهم بدعة وضلالة! حتى استنقذ الله الأمة والملة من أيديهم
في أيام نور الدين وابن أخيه صلاح الدين، فأبْلَغَ الإسلامُ من علته^(١) بعد
ما وطن المسلمون أنفسهم على العراء، وانتعش بعد طول الخمول حتى
استبشر أهل الأرض والسماء، وأبدر هلاله بعد أن دخل في المُحَاقِ^(٢)،
وثابت إليه روحه بعد ما بلغت التراقي، وقيل: مَنْ راق؟! واستنقذ الله
سبحانه بعبدته وجنوده بيت المقدس من أيدي عبدة الصليب، وأخذ كلُّ
من أنصارِ الله ورسوله من نصرة دينه بنصيب، وعلت كلمة الإسلامِ
والسنة، وأُذِنَ بها على رؤوس الأشهاد، ونادى المنادي: يا أنصار الله،
لا تنكلوا عن الجهاد، فإنه أبلغُ الزادِ ليومِ المعادِ .
فعاش الناس في ذلك النورِ مدةً، حتى استولت الظلمةُ على بلادِ
الشرقِ، وطغى على نور النبوة والوحي، وقدموا العقولَ والآراءَ

(١) أبل المريض: برأ. الوسيط (ب ل ل).

(٢) المحاق - بضم الميم وكسرهما - : آخر الشهر إذا أمحق الهلال فلم يُر. اللسان (م ح ق).

والسياسةَ والأذواقَ والرأيَ على الوحي، فظهرت فيهم الفلسفةُ والمنطقُ وتوابعُها، فبعث الله عليهم عبادةً له أولي بأسٍ شديدٍ، فجاسوا خلال الديارِ، وعاثوا في القرى والأصبارِ، وكاد الإسلامُ أن يذهب اسمُه، وينمحي رسمُه.

وكان مشار هذه الفرقةِ وعالمُها الذي يرجعون إليه، وزعيمُها الذي يعولون عليه، شيخُ شيوخِ المعارضين بين الوحي والعقلِ، وإمامهم في وقته نصير الكفرِ والشركِ الطوسي، فلم يُعلم في عصره أحدٌ عارض بين العقلِ والنقلِ معارضته، فرام إبطالَ السمعِ بالكليةِ، وإقامةَ الدعوةِ الفلسفيةِ، وجعل الإشاراتِ بدلاً عن السورِ والآياتِ، وقال: هذه عقلياتٌ قطعيةٌ برهانيةٌ، قد عارضت تلكَ النقلياتِ الخطابيةِ!

واستعرض علماء الإسلامِ وأهل القرآنِ والسنةِ على السيفِ، فلم يبق منهم إلا من أعجزه؛ قصداً لإبطالِ الدعوةِ الإسلاميةِ، وجعل مدارسَ المسلمين وأوقافهم للنجسةِ السحرةِ والمنجمين، والفلاسفةِ والملاحدةِ والمنطقيين، ورام إبطالَ الأذانِ وتحويلَ الصلاةِ إلى القطبِ الشمالي، فحال بينه وبين ذلك من تكفلَ بحفظِ الإسلامِ ونصره.

وهذا كله من ثمرةِ المعارضين بين الوحي والعقلِ، وتقديم العقلِ على السمعِ، ولتكن قصةُ شيخِ هؤلاء القديم منك على ذكرِ كلِّ وقتٍ، فإنه أولٌ من عارض بين العقلِ والنقلِ، وقدمَ العقلِ، فكان من أمره^(١) ما قصَّ الله عليك، ووَرثَ هذا الشيخُ تلامذته هذه المعارضةَ فلم يزل يجري على الأنبياءِ وأتباعهم منها كلُّ محنةٍ وبليّةٍ.

(١) أي: من أمر الشيطان.

وأصلُ كلِّ بليةٍ في العالمِ، كما قال محمد الشهرستاني، من معارضة النصِّ بالرأي، وتقديمِ الهوى على الشرع، والناسُ إلى اليوم في شرورِ هذه المعارضةِ وشؤمِ عاقبتها، فإلى الله المشتكى وبه المستعان.

ثم إنه خرج مع هذا الشيخ المتأخر - المعارضِ بين العقل والنقل - أشياء لم تكن تعرف قبله: جُست^(١) العميدي، وحقائق ابن عربي، وتشكيكات الرازي، وقام سوق الفلسفة والمنطق، وعلوم أعداء الرسل التي فرحوا بها لما جاءتهم رسلهم بالبينات، وصارت الدولة والدعوة لأرباب هذه العلوم.

ثم نظر الله إلى عباده وانتصر لكتابه ودينه وأقام جنداً تغزو ملوك هؤلاء بالسيفِ والسنانِ، وجنداً تغزو علماءهم بالحجةِ والبرهانِ.

ثم نبغت نابغةٌ منهم في رأسِ القرنِ الثامنِ، فأقام الله لدينه شيخ الإسلام أبا العباسِ ابنَ تيمية، قدس الله روحه، فأقام على غزوهم مدة حياته، باليدِ والقلبِ واللسانِ، وكشف للناسِ باطلهم، وبين تليستهم وتدليستهم، وقابلهم بصريحِ المعقولِ، وصحيحِ المنقولِ، وشفى واشتفى، وبين مناقضتهم ومفارقتهم لحكم العقل، الذي به يدلون، وإليه يدعون، وإنهم أتركُ الناسِ لأحكامه وقضاياه، فلا وحي ولا عقل؛ فأزدهم في حفرهم، ورشقهم بسهامهم، وبين أن صحيح معقولاتهم خدمٌ لنصوصِ الأنبياءِ، شاهدةٌ لها بالصحة، وتفصيلُ هذه الجملة موجودةٌ في كتبه.

فمن نصَحَ نفسه ورغِبَ عن قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ

(١) الجست: لفظة فارسية، معناها البحث. وقد أصبحت تطلق على نوع من أنواع الخلاف.

(هامش وفيات الأعيان (٤/٢٥٧).

ءَاتَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿ [الزخرف: ٢٣]، يتبين له حقيقة الأمر، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

والمقصود: أن كل بلية طرقت العالم، عامة أو خاصة، فأصلها من معارضة الوحي بالعقل، وتقديم الهوى على الأمر، والمعصوم من عصمه الله^(١).

قلت: إلى أن جاء القرن الثاني عشر فهياً الله الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب التميمي، فدعا إلى ما دعا إليه الأنبياء من التوحيد الخالص، ولا سيما في الأصول التالية:

- ١- توحيد العبودية، ويقال له الألوهية أيضاً، وقد كتب الشيخ فيه عدة رسائل وكتباً لأهميته، وكتب فيه بعده أولاده وأحفاده وتلاميذه بتوسع، وشرح بعضهم بعض كتب الشيخ في هذا القسم من التوحيد.
- ٢- منع التوسل المبتدع، مع إقراره بالتوسل المشروع.
- ٣- منع شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة بقصد العبادة في مكان ما، ولا يدخل في المنع سفر طلب العلم، أو سفر التجارة، وزيارة الأحياء: كالعلماء والعباد السائرين على طريقة السلف الصالح، وما في معنى هذه الأسفار مما لا يقصد فيه مكان.
- ٤- منع البناء على القبور وكسوتها وإسراجها والعكوف عندها، كما جاءت بذلك السنة الصحيحة والآثار المستفيضة.
- ٥- تنزيه الله وتقديسه بالإيمان بأسمائه وصفاته، كما جاء في الآيات والأحاديث، والإقرار بها، وإمرارها كما جاءت، من غير تشبيه

(١) انظر: «الصواعق المرسله»، لابن القيم (١٠٦٨/٣) وما قبلها وبعدها.

ولا تمثيلٍ ولا تعطيلٍ .

٦- إنكارُ البدعِ المستحدثةِ في العبادةِ والمنهجِ والدعوةِ .

٧- تقريبُ العلمِ للناسِ : بالتعليمِ وتصنيفِ الرسائلِ التي تناسبُ أفهامَ عامةِ الناسِ في بيانِ التوحيدِ وما يضافه من الشركِ، وكشفِ شبهاتِ المخالفينِ، فلم يكن خطابهُ للنخبةِ فحسب، بل كان عليه رحمةُ اللهِ إمامَ عامةٍ، على طريقةِ الأنبياءِ والرسلِ .

وقد أيدَهُ اللهُ بالإمامِ محمدِ بنِ سعودٍ رَحِمَهُ اللهُ، فقبل الدعوةَ وأحبَّ الشيخَ، ووعدَهُ بالنصرةِ والوقوفِ معه على مَنْ خالفَهُ في دعوتِهِ وإصلاحِهِ، فواصلَ الشيخُ عملَهُ بالدعوةِ والإصلاحِ، والإمامُ يناصرُهُ حاملاً سيفَهُ على من يعاندُ الحقَّ، فظهر أمرُ الشيخِ وانتشرتْ دعوتُهُ، وكان من آثارها قيامُ دولةٍ إسلاميةٍ سلفيةٍ في قلبِ الجزيرةِ العربيةِ، ومكَّنها اللهُ في الأرضِ، فأمرتْ بالمعروفِ ونهتْ عن المنكرِ، فجَدَّدتْ الحكمَ بشريعةِ الإسلامِ المندرسَةِ، ولم يوجد في العالمِ المعاصرِ دولةٌ إسلاميةٌ قامت على منهجها، وقد انتفع بهذه الدعوةِ كثيرٌ من المسلمين في العالمِ العربي والقارةِ الهندية وقارةِ إفريقيا، ولولا اللهُ ثم وجودُ هذه الدعوةِ لاندرسَتْ^(١) معالمُ التوحيدِ في كثيرٍ من أقطارِ المسلمين، وللهِ الحمدُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ .

قال سماحةُ الشيخِ، حفظه اللهُ :

وهذه القاعدةُ مكملةٌ للقاعدةِ التي قبلها، وهي : قاعدةُ الاجتماعِ، وأن دينَ المسلمين لا يقومُ إلا على الاجتماعِ والألفةِ فيما بينهم .

(١) دَرَسَ الشَّيْخُ واندرسَ : عفا وذهب أثرُهُ . الوسيط (درس).

هذه القاعدة فيها أن الشذوذ والانفراد عن الجماعة يولد شرًا ويفتح ثغرة في جماعة المسلمين، فيجب على كل مسلم أن ينضم مع جماعة المسلمين، وأن لا يشذ برأي ولا مذهب ولا منهج، وإنما يكون منهجه وطريقته طريقة جماعة المسلمين، حتى لو أن له رأيًا في نفسه أو اجتهادًا رآه في نفسه، فإنه لا يظهره للناس، بل ليرجع لما عليه جماعة المسلمين، ويترك ويتهم رأيه واجتهاده، أما إذا صار لكل واحد حرية الاختيار، حرية التنقيب والظهور بآراء جديدة يبتكرها، حتى ولو كان يراها صحيحة، ما دامت تؤثر على اجتماع المسلمين وتشتت أفكارهم فلا يجوز له أن يظهرها.

فالصحابة رضي الله عنهم كانوا يتركون آراءهم، وإن كانت مبنية على الكتاب والسنة، يتركونها إذا كانت تخل باجتماع الكلمة، فهذا عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه لما أتم أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه الصلاة بمئى، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يرى القصر بمئى، فكان إذا صلى خلف عثمان رضي الله عنه أتم، فلما قيل له في ذلك، قال: «يا بني، الخلاف شر»^(١).

فها هو رضي الله عنه يصلى مع عثمان رضي الله عنه ويتم الصلاة، مع أنه يرى أن الصلاة تقصر في مئى، تنازل عن رأيه إلى رأي أمير المؤمنين من أجل جمع الكلمة، هذا في شأن الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، فكيف بالذي يبتكر له اجتهادات جديدة وآراء جديدة، ثم يظهرها للناس، في صلاتهم، في أمور عباداتهم، فيحصل بذلك تشويش على الناس، يقول لهم: فلان قال، وفلان قال . . . الناس يسرون على

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٤)، ومسلم (١٩/٦٩٠) كلاهما بنحوه، وأبو داود (١٩٦٢) واللفظ

جادة واحدة، وعلى منهج واحد، ثم يأتي واحد ويظهر مخالقات وآراء جديدة توصل إليها باجتهاده أو برأيه، ويريد أن يقتنع بها الناس، لا شك أنه سيجد من يشد معه، ويجد من يحبذ رأيه، فيحدث في الناس افتراق، فالواجب على المسلم أن يلاحظ هذا الشيء، وأن يحافظ على وحدة المسلمين، وعلى اجتماع المسلمين، أحياناً يُترك الشيء الفاضل إلى الشيء المفضول، إذا كان المفضول يحصل عليه الاجتماع، فعليه أن يتنازل عن الشيء الفاضل ويسير إلى الشيء المفضول؛ من أجل اجتماع الكلمة واجتماع المسلمين، فهذا - كما ذكرت لكم - ابن مسعود رضي الله عنه تنازل عن الذي يراه فاضلاً، وهو القصر، إلى الشيء المفضول، الذي هو التمام، من أجل جمع كلمة المسلمين، ما دام هذا لا يخل بالدين، أما إذا كان يخل بالدين فلا، فيجب على المسلم أن يتنازل عن رأيه واجتهاده، ولو كان يراه فاضلاً، فكيف إذا كان الذي عليه الجماعة هو الفاضل وما عليه هذا المخالف هو المفضول، أو غير صحيح؟!

فعلى طلبة العلم والمنتسبين إلى العلم أن يلاحظوا هذه القاعدة: أنه إذا كان عند المسلم آراء أو اجتهادات، وكان في إظهارها للناس تشويش ونزاع، فإنه لا يظهرها، ويسير على ما عليه جماعة المسلمين، فإنه أضمن له وأقرب إلى الحق.

المصنف، حفظه الله: نعم، هذا بلا شك في الفتن.

سماحة الشيخ، حفظه الله: لأنه إذا أدى إلى نزاع وافتراق فهو مذموم بلا شك، وإن كان هو يراه اجتهاداً، وأنه استنبطه من الكتاب والسنة، فنزوله على رأي الجماعة أفضل من رأيه وحده لأجل جمع الكلمة.

أنا أرى بعض طلبة العلم الآن ظهروا بمسائل شوشت على الناس: ماذا تقول يا فلان، وفلان يقول كذا، وفلان يقول كذا...، بينما الناس، ولله الحمد، سائرون على جادة واضحة، وعلى طريق سليم، وما حصل اختلاف.

فما نريد أن يأتي واحد أو اثنان أو أكثر ويحدثون أشياء، وإن كانوا يرونها حقاً، فإن كان ولا بد فليعمل بها منفرداً ولا ينشرها على الناس، مع أن عمله مع الناس أفضل من انفراده بعمل مستقل، هذا الذي أراه. المصنف، حفظه الله: سلمك الله، مقصودي من هذا: ما المقصود بالمرجعية هنا، هي اللجنة الدائمة، أم هيئة كبار العلماء؟، فقد تخالف اللجنة بعض أعضاء الهيئة.

سماحة الشيخ حفظه الله: اللجنة الدائمة ليست كل شيء، لكن ما عليه مجتمع المسلمين ككل في هذه البلاد وفي غيرها، الناس يصلون ويصومون ويزكون ويضحون كل سنة، ويقىمون الأعياد، ما حصل بينهم اختلاف، أتى أناس فأخرجوا مسائل جديدة فرقت بين الناس وشتتتهم، هذا الذي نقصده، نقول: اتركوا المسلمين على ما هم عليه، أنتم ما تردونهم عن باطل، ولله الحمد، هي المسألة كلها اجتهاد، واجتهاد الجماعة أفضل من اجتهاد الفرد، والشيء الذي يفرق الناس، وإن كنت تراه أنه فاضلاً، فإن ما يترتب عليه من الفرقة شر عظيم، وكما تقدم قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «الخلاف شر». فالذي يؤدي إلى خلاف وإلى فتنة يجتنب، والله تعالى أعلم.

قال المصنف، حفظه الله: هناك موضوع مهم، وهو: قضية تحزب المسلمين وتشيعهم إلى طائفة أو جماعة، فهل يجوز التحزب يا شيخ والانتظام في جماعة؟

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. كيف يجوز التحزب والله يقول: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. أمر الله نبيه ﷺ أن يتبرأ من المتفرقين، وأنتم تسمعون في الخطب: يد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار. ويقول تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. المصيبة إذا صار كل واحد فرحاً بما هو عليه، لأنه إذا صار فرحاً بافتراقه فلن يرجع، لكن الذي يفترق وهو ليس مطمئناً فإنه يمكن أن يرجع، يعني إن كان شاكاً فيما هو عليه فيمكنه الرجوع، لكن المشكلة إذا كان جازماً بما هو عليه، وأنه هو الصواب، وفرح به، فهذه مصيبة، وما يرجوا منه الرجوع، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. ما يرجوا منهم اجتماع، وهم كذلك، نسأل الله العافية.

القاعدة الثانية عشرة

أنهم يعتقدون أن البيعة الشرعية لا تكون إلا لإمام مسلم بايعه أهل الحل والعقد، والعامّة تبع لهم

لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله». رواه البخاري ومسلم ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياءهم، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا بيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استزعاهم». رواه البخاري ومسلم ^(٢).

وعن عدي بن حاتم قال: قلنا: يا رسول الله، لا نسألك عن طاعة

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٤٨٦١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، و(٤٨٦٤) من حديث أم حصين رضي الله عنها.
(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (٤٨٧٩).

من اتَّقَى، ولكن من فَعَلَ وفَعَلَ. فذَكَرَ الشَّرَّ، فقال: «اتَّقُوا اللَّهَ، واسْمَعُوا وأطِيعُوا». رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة»^(١).

وعن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ^(٢) فَعَلِيهِ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أْبَعْدُ». رواه الترمذي وغيره^(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ». رواه البخاري^(٤).

● مفهوم البيعة عند أهل الحق والاتباع:

قال ابن تيمية رحمه الله: «المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان فإذا بويع بيعة حصلت بها القدرة والسلطان صار إمامًا ولهذا قال أئمة السلف: من صار له قدرة وسلطان يفعل بهما مقصود الولاية فهو من أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية الله. فالإمامة مُلْكٌ وَسُلْطَانٌ. وَالْمُلْكُ لَا يَصِيرُ مُلْكًا بِمُؤَافَقَةِ وَاحِدٍ وَلَا إِثْنَيْنِ وَلَا أَرْبَعَةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُؤَافَقَةً هَؤُلَاءِ تَقْتَضِي مُؤَافَقَةَ غَيْرِهِمْ بِحَيْثُ يَصِيرُ مُلْكًا بِذَلِكَ، وَهَكَذَا كُلُّ أَمْرٍ يَفْتَقِرُ إِلَى الْمَعَاوَنَةِ عَلَيْهِ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِحُصُولِ مَنْ يُمْكِنُهُمُ التَّعَاوُنُ عَلَيْهِ»^(٥).

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (٢/٥٠٨) (١٠٦٩). وصححه الألباني

في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (٢/٢٥٤).

(٢) بحبوحة الجنة: وسطها. اللسان. (ب ح ح).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، وابن حبان (٧٢٥٤)، وانظر «الصحيحة» (٤٣٠).

(٤) برقم (٢٧٩٦).

(٥) «منهاج السنة النبوية» (١/٥٢٧).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذه القاعدة في مسألة السمع والطاعة لولاة الأمور، هذا أصل من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ينصون عليه في كتب العقائد، خلافاً للخوارج والمعتزلة وأهل البدع، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يدينون بالسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، ولا يشقون عصا الطاعة، حتى لو جار ولي الأمر، أو ظلم، أو كان عاصياً، ما لم يخرج إلى الكفر، وذلك لأن في السمع والطاعة والصبر على جورهم من المصالح، واجتماع الكلمة، ولَمَّ الشمل، والأمن والاستقرار، ما يُرَجَّح على الخروج عليهم، فإن الخروج على ولاة الأمور يترتب عليه أضرار عظيمة، ومفاسد كبيرة، كما حصل في عهد عثمان رضي الله عنه، الخليفة الراشد، ثالث الخلفاء الراشدين.

لما قام عليه أهل البغي فقتلوه رضي الله عنه، ماذا حصل من الفتن التي لا يزال المسلمون يعانون منها، وقد نهاهم علماء الصحابة، وبينوا لهم، ونصحوا لهم، ولكن تم الأمر ليكون عبرة للمسلمين، وما قام جماعة على إمامهم، أو أميرهم، إلا حصل من الفتن والشور ما الله به عليم.

وذلك أنه يجب أن ينظر بين المصالح والمفاسد، فإذا كانت المفاسد أكثر من المصالح فإنه لا يجوز ارتكاب المفاسد، بل يجب الصبر عليهم وطاعتهم، وإن جاروا، وإن ظلموا، نعم، لا شك أن الجور والظلم مفسدة، والمغصية مفسدة، ولكن في الخروج عليهم مفسدة أكبر، وما دامت المفسدة أكبر فإنه يُرتكب أخف الضررين لدفع أعلاهما.

هذا مع أئمة الجور والفساق، فكيف بأئمة العدل وأئمة الحق؛ مثل

عثمان رضي الله عنه، ثالث الخلفاء الراشدين، وغيره من الولاة الصالحين، الذين صلاحهم أكثر مما عندهم من الخطأ، ثم إن خطأ الولاة أو معصيتهم إثمهم وشراً قاصر عليهم، أما شق عصا الطاعة فإن شره ينتشر على الرعية، وعلى الأمة، ويحصل من القتل والهرج والظلم الشيء الكثير، فلذلك أهل السنة والجماعة على هذا الأصل العظيم، وأنهم يُصلُّون خلفهم، ولو كانوا فسقة، في حين أنهم قالوا: لا تصح الصلاة خلف الفاسق، أي: من عوام الناس، أما الولاة فتصح الصلاة خلفهم؛ من أجل جمع الكلمة، وما يترتب على ذلك من المصالح.

أما ما تنعقد به الإمامة فتنعقد بثلاثة أمور، لا بأمر واحد:

الأمر الأول: البيعة من أهل الحل والعقد:

فالبيعة من أهل الحل والعقد وليست البيعة من كل أحد، بل، يكفي أهل الحل والعقد، أهل العلم، وأهل الرأي، وقادة الأمة، فإذا بايع أهل الحل والعقد لزم البيعة لجميع المسلمين، لأن المسلمين جسد واحد، أمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، فما يظنه بعض الجهال: من أن البيعة من كل أحد. فهذا خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا لا يكون أيضاً، فليس لكل الناس دخل فيه، هذا من شأن أهل الحل والعقد، ينبون عن الأمة في هذا.

وهذا النوع الأول - الانعقاد بالبيعة -، هو الذي تم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإن خلافته ثبتت بالبيعة والاختيار، ومن العلماء من يقول: ثبتت خلافته بالنص والإشارة من النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث خلفه على الصلاة لما مرض، قالوا: فتخليفه على الصلاة إشارة إلى تخليفه على المسلمين، ولما قيل له: عمر رضي الله عنه؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه يبكي ويرق إذا قام

في الصلاة. غضب ﷺ وكرر الأمر بأن يؤمر أبو بكر ﷺ أن يصلى بالناس، وأصر ﷺ على ذلك، ولهذا لما اختاره الصحابة قالوا: يرضاك رسول الله ﷺ لدينا، ولا نرضاك لدينا؟!

واستدل القائلون بهذا القول أيضًا بما ثبت في الصحيح، أن امرأة أتت رسول الله ﷺ، فكلمته في شيء فأمرها بأمر، فقالت: رأيت يا رسول الله إن لم أجذك؟ قال: «إن لم تجدني فأني أبا بكر»^(١). قالوا: في هذا إشارة إلى استخلاف أبي بكر ﷺ من بعده.

وأيضًا هو أفضل الصحابة على الإطلاق، وهو الذي لازم النبي ﷺ من بعثته إلى أن توفاه الله، مناصرًا ومؤيدًا ومجاهدًا، وأنفق الأموال في سبيل الله، وفي نشر الإسلام، وتأييد الرسول ﷺ، وغير ذلك، فهو الأولى بها.

الأمر الثاني: مما ثبت به الولاية، ولاية العهد:

أي إذا عهد ولي الأمر من بعده إلى شخص يخلفه لزمته إمامته بعهد من قبله، وهذا مثل عهد أبي بكر ﷺ إلى عمر ﷺ، فإن أبا بكر ﷺ لما حضرته الوفاة عهد إلى عمر بن الخطاب ﷺ، وهو خير الصحابة ﷺ بعد أبي بكر ﷺ، فلزمته بيعته بذلك العهد.

الأمر الثالث: مما ثبت به البيعة، الغلبة:

فإذا غلب على الناس رجل بسيفه حتى أذعنوا له، لزمته طاعته، ولزمته إمامته؛ درءًا للفتنة والشر، ومثال ذلك: ولاية عبد الملك بن مروان، فإن عبد الملك بن مروان تغلب على الناس بسيفه وأطاعه

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، من حديث الجبير بن مطعم ﷺ.

المسلمون وخضعوا له وصار خليفة بالغلبة.

هذا ما تثبت به الولاية عندهم: إما بالبيعة والاختيار، وإما بولاية العهد، وإما بالتغلب.

وتلزم طاعته ولو حصل منه ظلم وجور، ولو حصلت منه بعض المعاصي التي لا تصل إلى حد الكفر، أما إذا أمر بمعصية فإنه لا يطاع في المعصية، لكن يطاع فيما عداها، وليس معنى ذلك أنه إذا أمر بمعصية تنخلع طاعته نهائياً، لا، لكن لا يطاع في هذه المعصية، ويطاع فيما عداها من المعروف، لا تنخلع بيعته، فليس معنى قوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١)، أو: «إنما الطاعة بالمعروف»^(٢) - أن ولي الأمر إذا صدر منه أمر بمعصية أنها تنخلع بيعته، لا، لكن لا يطاع في هذه المعصية، في هذا الأمر الخاص، وتبقى طاعته فيما عداها. هذا ملخص ما يلزم في هذا الأمر والفقهاء فيه، وهو أمر مهم جداً، وهو من أصول أهل السنة والجماعة؛ لأنه تترتب عليه ثمرات عظيمة، وتزول به شبهات كثيرة، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة بإجماع، لم يخالف فيه أحد من أهل السنة والجماعة، بل يوصون به، ويحثون عليه، وإنما خالف في هذا أهل البدع: كالخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكالمعتزلة الذين جعلوا من أصولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس المراد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما شرعه الله في ذلك، وإنما مرادهم الخروج على الأئمة، سموا الخروج على الأئمة أمراً بالمعروف ونهياً عن

(١)، (٢) تقدم تخريجه (ص ٢٠).

المنكر، وهو في الواقع هو المنكر، والعياذ بالله، لأنه مخالف للكتاب والسنة وإجماع المسلمين، فهذا هو المنكر في الحقيقة.

قال المصنف، حفظه الله: أحسن الله إليك، هل يمكن حصول البيعة بغير هذه الأمور الثلاثة، فإنه لا يخفى أن الجماعات تلزم أتباعها بالبيعة؟

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: لا، هذه باطلة، هذه باطلة، ولا حكم لها في الإسلام، ولا مستند لها في الإسلام، إلا ما ورد أن المسافرين يُؤمّرون عليهم أميرًا، وهذا لا يسمى ولي أمر، وليس له بيعة، وإنما هو يتولى تنظيم الرحلة: النزول، والسير، وإلا فهو ما يقيم الحدود عليهم، لا يجوز له أن يقيم الحدود عليهم، ولا أن يقيم القصاص، ليس له صلاحيات ولي الأمر، وإنما يتولى أمور السفر فقط ومؤقت، وهو داخل تحت ولاية ولي الأمر، حتى ولو في السفر، فليس لهم في هذا مستند، بل هذا من البدع.

وأيضًا، من أصول أهل السنة والجماعة: لو قُدِّر أن أحدًا ينازع وليَّ الأمر فإن أهل السنة والجماعة يوجبون على المسلمين أن يقاتلوا هذا الذي يريد منازعته وينضموا إليه في قتال هذا الذي ينازعه ويريد نزع الولاية الشرعية منه، وإذا جاء أحد ينازع فإنه يجب قتله من أجل دفع شره عن المسلمين، لقوله ﷺ: «مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ يَرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ أَوْ يَفْرِقَ جَمَاعَتَكُمْ فَاقْتُلُوهُ»^(١). وذلك دفعًا لشره، ولقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى

(١) أخرجه مسلم (٤٩٠٤) من حديث عرفة ؓ.

الْآخَرَى فَقَبِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﷻ [الحجرات: ٩]. فإنهم يوجبون عليهم أن ينضموا مع ولي الأمر، أو مع الفئة العادلة، ويقاتلوا معها هذا الباغي؛ دفعا لشره. هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة حول هذا الأصل العظيم، وهو ما سبق في أن من انعقدت بيعته بأحد الأسباب الثلاثة - التي ذكرناها - وجبت طاعته والاستمرار معه، ولو حصل منه ظلمٌ وجورٌ وفسقٌ، لأن في الصبر عليه مصالح عظيمة، منها: اجتماع الكلمة، ولمُ الشمل، ودرء الفتنة، وفي الخروج عليه مفسد كبيرة، منها: سفك الدماء، وضياع الكلمة، وتسلب الأعداء، كما هو مشاهد في التاريخ، مما حصل من الفتن التي حصلت في عهد عثمان رضي الله عنه، وفي قضية يزيد مع أهل المدينة، في وقعة الحرّة، التي حصلت لأهل المدينة لما نقضوا بيعة يزيد، ونهاهم ابن عمر رضي الله عنهما، وذكّرهم بقول الرسول ﷺ، ولكنهم أصروا فحصل عليهم نكبة عظيمة، وانتهكت المدينة والمحارم! وحصل على المسلمين شرٌّ كبير، بسبب خروجهم على يزيد، ونقضهم بيعته، هذا خطأ بلا شك، ترتّب عليه شرٌّ كبير، لا يزال يذكر، وقعة الحرّة وما فيها من الشرور، كله بسبب نقض البيعة، ولو أخذوا بوصية أو نصيحة عبد الله بن عمر، صاحب رسول الله ﷺ، ووفوا بالبيعة، وصبروا على أمر يزيد، لما حصل عليهم ما حصل، وإلى غير ذلك من وقائع التاريخ، وحتى في عصرنا هذا، ما قام شعب على وُلاتهم إلا حصل عليهم شرٌّ أكثر: في مصر ماذا حصل؟ في العراق ماذا حصل؟ في ليبيا ماذا حصل؟ في كل مكان، ما رأينا شعبًا قام على ولي الأمر، حتى ولو كان فاسقًا أو مستهترًا، إلا حصل من النكبات والشرور أضعاف ما لو صبروا على هذا الوالي إلى أن يأتي الفرج.

إن الله جل وعلا مع الصابرين، فالواجب على الناس أن يصبروا حتى يأتي الفرج، والدنيا تارة وتارة، عسر ويسر، شدة ورخاء، ولكن تحتاج إلى صبر، وعدم تسرع، حتى مع الولاة الذين ليسوا على مستوى من الإيمان، ومن الإسلام، لَمَّا قامت عليهم شعوبهم ماذا حصل عليهم من الشرور والفتن العظيمة، التي لا يزالون يعانون منها، هذه تجارب يجب أخذ العبرة والعظة منها.

فمن حق الوالي المسلم - وإن كان عنده تساهل في بعض الأمور، أو معصية - أن لا يترك، بل يناصر، ويبين له طريق الصواب، فإن قبل فالحمد لله، وإن لم يقبل فلا يجوز لنا أن ننقض الأمر، ونثير الفتنة، ونشتت أمر المسلمين؛ لأن هذا شر أكبر، وارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، قاعدة في الشريعة.

قال المصنف، حفظه الله: أحسن الله إليك، كونه لا يحكم بشرع الله وتبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك أنه كافر، لكن يغلب على الظن حدوث مفساد عظيمة على المسلمين، فهل يسوغ الخروج عليه؟!

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: لا، لو كان الوالي كافرًا، وهم ما عندهم استعداد لأن يقيموا بدله من يضبط الأمور فإنهم يصبرون ويكونون معذورين، فالله جل وعلا يقول: ﴿فَأَقْوَ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. فإنهم يصبرون، ولو كان الوالي كافرًا، وهم لا يستطيعون إزالته، أو ضبط الأمور إذا أزالوه، لا يجوز لهم المغامرة، حتى ولو مع الولاة الكفار إذا كان ليسوا عندهم استطاعة لإقامة البديل، وضبط الأمور، والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. هذا شرٌّ محض بدون فائدة، فهذه المناوشات، وهذا التخريب، وهذا

الإرهاب الذي يحصل، لا يقره الإسلام، وإن كانوا يظنون أنهم يقاتلون واليًا كافرًا، لكن ما يستطيعون أن يؤمنوا ولاية للمسلمين قوية وبديلة عن هذا، ما داموا ما يستطيعون فعلهم أن يصبروا، فالنبي ﷺ وأصحابه قبل الهجرة، وكانت الولاية للكفار، وما أمرهم أن يقاتلوا الكفار في مكة، ولا يناوشوهم، ولا يخربوا عليهم، لأنه قد يحصل من الضرر أكثر مما قد يظن أنه يحصل من المصلحة، وإن حصلت مصلحة، لكن لو قدرت المضرة لكانت أكثر، وكان النبي ﷺ في مكة منهيًا عن القتال، وكان الصحابة منهيون عن القتال، والله جل وعلا يأمرهم بالصبر، ويأمرهم بالانتظار، ويأمرهم بكف الأيدي: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ٧٧]. ولم يؤذن لهم بالجهاد إلا بعد الهجرة، بعد أن صار لهم أنصار وبلد ودولة، بعد ذلك أمروا بالجهاد، لكن يوم كانوا في مكة وهم منهيون عن القتال أمر النبي ﷺ بالدعوة فقط، ولم يؤمر بقتال، مما يدل على أن المسلمين إذا كانوا مستضعفين، ولو كانوا تحت ولاية كافرة، فعليهم أن يصبروا إلى أن يأتي الله، جل وعلا، لهم بالفرج.

* * *

القاعدة الثالثة عشرة

أنهم لا يرون الخروج على الولاة الظلمة
والفسقة؛ بل يذمّون ذلك، ويذمّون من
خرج على الولاة ديناً ودنياً

لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٦﴾﴾ [القصص: ١٦].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «سيكون بعدي أمراء فتعرفون منهم وتُنكروُن، فمن أنكرَ فقد برء، ومن كرهَ فقد سلِم، ولكن من رَضِيَ وتابَع». قالوا: أفلا ننايذهم بالسيف؟ قال: «لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة». رواه مسلم ^(١).

(١) برقم (٤٩٠٦).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يكونُ بعدي أئمةٌ لا يهتدون بهديي، ولا يستئون بسنتي، وسيكون فيكم رجالٌ قلوبهم قلوبُ الشياطينِ في جثمانِ إنسٍ». قلتُ: كيف أصنعُ إن أدركتُ ذلك؟ قال: «تسمعُ وتطيعُ للأمرِ وإن ضربَ ظهركَ وأخذَ مالكَ؛ فاسمعُ وأطع». رواه مسلم ^(١).

وعن عَرفَجَةَ الأشجعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتاكم وأمرُكم جميعٌ على رجلٍ واحدٍ، يريدُ أن يشقَّ عَصَاكم، ويُفرِّقَ جماعتكم؛ فاقتلوه». رواه مسلم ^(٢).

وعن نافع قال: لما خلع أهلُ المدينةِ يزيدَ بنَ معاويةَ جمعَ ابنُ عمرَ حشمَه وولده، فقال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُنصَبُ لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامةِ». وإنا قد بايعنا هذا الرجلَ على بيعِ اللهِ ورسولِهِ، وإني لا أعلمُ غدرًا أعظمَ من أن يُبايَعَ رجلٌ على بيعِ اللهِ ورسولِهِ ثم يُنصَبُ له القتالُ، وإني لا أعلمُ أحدًا منكم خلعه ولا تابع في هذا الأمرِ إلا كانت الفيصل ^(٣) بيني وبينه. رواه البخاري ^(٤).

● الخروج على الأئمة منهاج المبتدعة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، عليه رحمة الله:

«والمبتدعُ الذي يظنُّ أنه على حقٍّ مثلُ الخوارجِ والنواصبِ الذين نصبوا العداوةَ والحربَ لجماعةِ المسلمين، فابتدعوا بدعةً وكفروا من لم يوافقهم عليها، فصار بذلك ضررُهم على المسلمين أعظمَ من ضررِ

(١) برقم (٤٨٩١).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١١٧).

(٣) الفيصل: القطيعة التامة. اللسان (ف ص ل).

(٤) برقم (٦٦٩٤).

الظلمة الذين يعلمون أن الظلم محرّم، وإن كانت عقوبة أحدهم في الآخرة، لأجل التأويل، قد تكون أخف، لكن أمر النبي ﷺ بقتالهم ونهى عن قتال الأمراء الظلمة، وتواترت عنه بذلك الأحاديث الصحيحة^(١)، فقال في الخوارج: «يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ، أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»^(٢).

وقال في بعضهم: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِيمَانِ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ»^(٣). وقال للأَنْصَارِ: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(٤). أي: تلقون من يستأثر عليكم بالمال ولا ينصفكم. فأمرهم بالصبر ولم يأذن لهم في قتالهم.

وقال أيضاً: «سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي أَمْرَاءُ يَأْخُذُونَ مِنْكُمْ حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَكُمْ حَقَّكُمْ». قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ حَقَّكُمْ»^(٥).

وقال: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»^(٦). وقال: «مَنْ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ

(١) في «منهاج السنة النبوية» (١٤٩/٥)

(٢) أخرجه البخاري (٣١٦٦)، ومسلم (١٠٦٤/١٤٧) وغيرهما، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) جزء من الحديث السابق.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٤٧)، ومسلم (١٠٦١/١٣٩) من حديث عبد الله بن زيد ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٦٦٤٤) من حديث عبد الله بن زيد ﷺ.

(٦) تقدم تخريجه (ص ٨٤).

وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية»^(١). وقال: «خيار أئمتكم الذين تحببونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون^(٢) عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم وتبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»^(٣).

وهذه الأحاديث كلها في الصحيح إلى أحاديث أمثالها. فهذا أمره بقتال الخوارج، وهذا نهيه عن قتال الولاة الظلمة، وهذا مما يُستدل به على أنه ليس كل ظالم باغ يجوز قتاله، ومن أسباب ذلك: أن الظالم الذي يستأثر بالمال والولايات لا يقاتل في العادة إلا لأجل الدنيا؛ يقاتله الناس حتى يعطيهم المال والولايات، وحتى لا يظلمهم، ولم يكن أصل قتالهم ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا، ولا كان قتالهم من جنس قتال المحاربين قطاع الطريق الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]. وقال فيهم عليه السلام: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون حرمة فهو شهيد»^(٤). لأن أولئك معادون لجميع الناس، وجميع الناس يعينون على قتالهم، ولو قدر أنه ليس كذلك العداوة والحرب؛

(١) تقدم تخريجه (ص ٨٤).

(٢) يصلون: يدعون. «صحيح مسلم بشرح النووي» (٦/٣٢٨).

(٣) أخرجه مسلم (٦٥/١٨٥٥) من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرج شطره الأول البخاري (٢٣٤٨)، ومسلم (١٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه،

وأخرجه بتمامه الترمذي (١٤٢١) وفيه (أهله) بدلا من (حرمة). وصححه الألباني في

«الصحيحة» (٢٣٤٦).

فليسوا ولاة أمر قادرين على الفعل والأخذ، بل هم بالقتال يريدون أن يأخذوا أموال الناس ودماءهم، فهم مبتدئون الناس بالقتال، بخلاف ولاة الأمور؛ فإنهم لا يبتدئون بالقتال للرعية، وفرق بين من تقاتله دفعا وبين من تقاتله ابتداء.

وبالجملة، العادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتال على الدنيا، ولهذا قال أبو بركة عن فتنة ابن الزبير، وفتنة القراء مع الحجاج، وفتنة مروان بالشام: «هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء إنما يقاتلون على الدنيا»^(١).

وأما أهل البدع، كالخوارج، فهم يريدون إفساد دين الناس، وقتالهم قتال على الدين، والمقصود بقتالهم أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، ولهذا أمر النبي ﷺ بهذا ونهى عن ذلك^(٢) اهـ. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

قال ابن القيم رحمته الله: «وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمراءهم وولاتهم من جنس أعمالهم؛ بل كأن أعمالهم ظهرت في صور وولاتهم وملوكهم، فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن جاروا جارت ملوكهم وولاتهم، وإن ظهر فيهم المكر والخديعة فولاتهم كذلك، وإن منعوا حقوق الله لديهم وبخلوا بها، منعت ملوكهم وولاتهم ما لهم عندهم من الحق وبخلوا بما عليهم،

(١) أخرج هذا الأثر البخاري (٦٦٩٥).

(٢) «منهاج السنة» (١٥٢/٥).

وإن أخذوا ممن يستضعفونه ما لا يستحقونه في معاملتهم أخذت منهم الملوك ما لا يستحقونه، وضربت عليهم المكوس والوظائف، وكلما يستخرجونه من الضعيف يستخرجه الملوك منهم بالقوة، فعمالهم ظهرت في صور أعمالهم، وليس في الحكمة الإلهية أن يولّى على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم.

ولما كان الصدر الأول خيار القرون وأبرها كانت ولائهم كذلك، فلما شابوا^(١) شابت لهم الولاة، فحكمة الله تآبى أن يولّى علينا في مثل هذه الأزمان مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز، فضلاً عن مثل أبي بكر وعمر؛ بل ولائنا على قدرنا، وولاة من قبلنا على قدرهم، وكل من الأمرين موجب الحكمة ومقتضاها، ومن له فطنة إذا سافر بفكره في هذا الباب رأى الحكمة الإلهية سائرة في القضاء والقدر، ظاهرة وباطنة فيه، كما في الخلق والأمر سواء.

فإياك أن تظنّ بظنك الفاسد أن شيئاً من أفضيته وأقداره عارٍ عن الحكمة البالغة؛ بل جميع أفضيته تعالى وأقداره واقعة على أتم وجوه الحكمة والصواب^(٢).

وقال أيضاً: «والله تعالى قد جرت سنته في خلقه بأن يحرم الطيبات شرعاً وقدرًا على من ظلم وتعدى حدوده وعصى أمره، وأن ييسر للعسرى من بخل بما أمره به فلم يفعل، واستغنى عن طاعته باتباع شهواته وهواه، كما أنه سبحانه ييسر للعسرى من أعطى وأتقى

(١) الشؤب: الخلط. «اللسان» (ش وب).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/٢٥٣).

وَصَدَّقَ»^(١).

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدينُ النصيحةُ». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «للهِ، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم». رواه مسلم^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: نهانا كبراًؤنا من أصحاب محمد ﷺ، قالوا: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب». رواه ابن أبي عاصم بسند صحيح^(٣).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ من فعل واحدةٍ منهن كان ضامناً على الله: من عاد مريضاً، أو خرج في جنازة، أو خرج غازياً، أو دخل على إمامه يريدُ تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم منه الناس». رواه أحمد وابن أبي عاصم^(٤).

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ خصالٍ لا يغلُ عليهن قلبُ مسلم: إخلاصُ العملِ لله، والنصيحةُ لولاةِ الأمر، ولزومُ جماعتهم، فإن دعوتهم تحيطُ من ورائهم» رواه ابن ماجه وغيره بسند صحيح^(٥).

وقوله: «مناصحة أئمة المسلمين». هذا أيضاً منافع للغش والغش، فإن

(١) «إغاثة اللهفان» (١/٣٣٧).

(٢) برقم (٥٥).

(٣) إسناده جيد: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠١٥)، وانظر «ظلال الجنة» (٢/٢١٧).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٥/٢٤١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٢١)، وانظر «ظلال الجنة» (٢/٢٢٢).

(٥) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢٣٠)، وأحمد (٥/١٨٣)، وانظر «الصحيحة» (١٨٧).

النصيحة لا تجامع الغلّ، فهي ضده، فمن نصح الأئمة والأمة فقد برء من الغلّ.

وقوله: «ولزوم جماعتهم». هذا أيضًا مما يطهّر القلب من الغلّ والغش، فإن صاحبه بلزومه لجماعة المسلمين؛ يحبّ لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسرّه ما يسرّهم، وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن عليهم والعيب والذم لهم، كفعل أهل البدع والخوارج والمعتزلة وغيرهم، فإن قلوبهم ممتلئة عليهم غلاً وغشاً؛ تجد أهل البدع أبعد الناس من الإخلاص وأغشهم للأئمة والأمة، وأشدّهم بعداً عن جماعة المسلمين». انتهى كلامه يرحمه الله^(١).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذه القاعدة جيدة، والإتيان بها بعد ما سبق جيد، فليس معنى قول أهل السنة والجماعة أنه يصبر على جور الولاة والفساق ليس معناه السكوت عن النصيحة، بل إن النصيحة تبلغ لهم على أيدي الناصحين الأمناء، فيما بينهم وبينهم سرّاً، تبلغ سرّاً على أيدي الناصحين الأمناء، فإن هذا واجب، النصيحة واجبة، قال ﷺ: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(٢).

تجب مناصحتهم بالطرق الكفيلة بالمصلحة، بأن يناصحوا سرّاً، وتبلغ لهم الأمور سرّاً، فإن عملوا بها فالحمد لله، وإن لم يعملوا بها برأت الذمة، برأت ذمة الناصح، ولا يجوز التشهير بهم في المجالس، أو على

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١/٧٣).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٢٦).

المنابر، أو مع عامة الناس، أو عند الأشرار، هذا ليس من النصيحة، هذا من الغيبة، ومن التشهير، ومن إثارة الفتنة، ولا يجدي شيئاً، بل يجدي العكس: الشر والتحريش، ويشير أهل الشر والمنافقين، الذين يريدون التربص بالمسلمين، ويستغلون مثل هذه الأمور، وهذه ليست نصيحة، هذه غيبة وتشهير وإثارة فتنة، فلا تسمى الأمور بغير مسمياتها، فالنصيحة هي التي تبلغ للمنصوح سراً، فالله جل وعلا قال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَأَنبِأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]. فأمرهما أن يأتياه، فهل أمرهما أن يقفا في الأسواق، أو في مجتمعات الناس، وينكرون على فرعون؟ لا، بل قال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَلْعَلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [٤٤]. فقولا له، ما قال أمام الناس، أو في الشوارع، أو في مجتمعات الناس، بل قال: ﴿فَقُولَا لَهُ﴾. يعني: مباشرة، وهكذا فعل موسى وهارون عليهما السلام، وهذا دين الأنبياء، وهذه هي النصيحة.

قال المصنف، حفظه الله: عن أنس رضي الله عنه، قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب محمد رضي الله عنه قالوا: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب»^(١).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: هذا الأثر جيد، «لا تسبوا أمراءكم»، السب لا يأتي بخير، وهو ليس بنصيحة، سبٌ وغيبة وإثارة وشر، والذي يسميه نصيحة ظالم، ما هو بنصيحة.

قال المصنف، حفظه الله: وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ من فعل واحدةٍ منهن كان ضامناً على الله: من عاد

مريضًا، أو خرج في جنازة، أو خرج غازيًا، أو دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم منه الناس»^(١).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: التعزير المراد به: التوقير، كما قال تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]. يعني: الرسول ﷺ، تعزروه، يعني: توقروه، تحترموه، كما يطلق التعزير - أيضًا - على التأديب، فهو من الأضداد، يسمونه الأضداد، لأن في اللغة العربية ألفاظًا تستعمل لمعنيين متضادين، فيسمونها الأضداد.

قال المصنف، حفظه الله: وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث خصال لا يغفلُ عليهنَّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العملِ لله، والنصيحةُ لولاةِ الأمر، ولزومُ جماعتهم، فإن دعوتهم تحيطُ من ورائهم»^(٢).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله: هذا مثل الحديث الذي تقدم: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تُنصِحُوا مَنْ وُلاهُ الله أمركم، وأن تتعصموا بحبلِ الله جميعًا ولا تفرقوا»^(٣).

قال المصنف حفظه الله: قال ابن القيم في شرح هذا الحديث: «وقوله: «مناصحة أئمة المسلمين». هذا أيضًا منافع للغل والغش، فإن النصيحة لا تجامع الغل، فهي ضده، فمن نصح الأئمة والأمة فقد برئ من الغل، وقوله: «ولزوم جماعتهم». هذا أيضًا مما يطهر القلب من الغل والغش، فإن صاحبه بلزومه لجماعة المسلمين يحبُّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما يسوؤهم، ويسرُّه ما يسرُّهم،

(١)، (٢) تقدم تخريجه (ص ١١٧).

(٣) تقدم تخريجه (ص ٧٩).

وهذا بخلاف من انحاز عنهم واشتغل بالطعن عليهم، والعيب والذم لهم، كفعل أهل البدع والخوارج والمعتزلة وغيرهم، فإن قلوبهم ممتلئة غلاً وغشاً، ولهذا تجد أهل البدع أبعد الناس من الإخلاص، وأغشهم للأئمة والأمة، وأشدهم بعداً عن جماعة المسلمين» انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

قال سماحة الشيخ حفظه الله:

لا ينبغي أن يكون همُّ الإنسان الانتقاد والتماس العثرات وإشهارها ونشرها، هذا شأن المنافقين، هم الذين يلتمسون العثرات والانتقادات ويشهرونها، ويخفون الحسنات والمحاسن، أما أهل الإيمان فإنهم على العكس: يسترون العثرات، وينشرون الحسنات والمحاسن؛ جمعاً للكلمة وإذهاباً للغل والحقد على المسلمين، فالذي ليس همه إلا الانتقاد والتماس العثرات على ولي الأمر، أو على العلماء، أو على أفراد المسلمين، هذه صفة أهل النفاق، وهذا يريد الشر؛ لأنه يفرح بالعثرات، ويفرح بالخطأ، ويجعله مجالاً لحديثه، هذا من أهل الشر، والعياذ بالله، أما الإنسان الذي يستر على المسلم ويناصحه، ما هو معنى أن يستر عليه؟ يسكت؟ لا، بل يناصحه، يوضح ولي الأمر، يناصر أخاه المسلم، يناصر من رأى عليه خطأ، ويبين له، فإن لم يناصحه فقد غشه، إذا لم تناصح أخاك فقد غششته، إذا سكت وأنت تراه على خطأ فهذا غش وليس بنصيحة، النصيحة أن تُسر له، وتبين له فيما بينك وبينه، فإن قبل فالحمد لله، وإن لم يقبل فقد أدت الواجب وأبرأت ذمتك، والغالب أنه يقبل إذا أتته بطريقة محببة، طريقة ليس فيها تجريح، وأبدت له المحبة والعطف، فالغالب أنه يقبل، ولكن إذا ناصبته العداوة وشهّرت به وذكرت أخطائه أمام الناس فإنه يزيد حقداً عليك،

وبغضًا لك، ويسبب الفتنة بين الناس، والتباغض بينهم، أو بين الناس وولي أمرهم، فلا خير في إشاعة الانتقادات والعثرات، وتتبع الزلات، هذا أيضًا يفرح الأعداء، ويخدمهم؛ لأنهم يريدون إفساد المسلمين، وإفساد ما بينهم، فإذا جاء واحد يخدمهم من داخل المسلمين فإنهم يفرحون بهذا ويستريحون، فلا يجوز مثل هذه الأمور، وليس معنى هذا أننا نرضى بالمعاصي، أو المنكرات، لا، لكن معناه أننا نناصح بطريقة تحصل بها المصلحة، وتندفع بها المفسدة.

* * *

القاعدة الرابعة عشرة

أنهم يعتقدون أن اتباع الأهواء في الديانات -
البدع - أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات

فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

[القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: ٢٨، ٢٩].
وقال تعالى: ﴿وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَمَّا أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الْفٰلِغِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقال: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

• تعريف مصطلح أهل الأهواء:

«ولهذا كان من خرج عن مُوجِبِ الكتاب والسنة من المنسويين إلى العلماء والعباد يُجعل من أهل الأهواء، كما كان السلف يسمّونهم أهل الأهواء، وذلك أن كلَّ من لم يتَّبِعِ العِلْمَ فقد اتَّبَعَ هواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله ﷺ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال النبي ﷺ: «ثلاث منجيات: خشية الله في السرِّ والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، وكلمة الحق في الغضب والرضا، وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متَّبَع، وإعجاب المرء بنفسه»^(١). والحب والبغض يتبعه ذوق، عند وجود المحبوب والمُبغض، ووَجْد وإرادة وغير ذلك، فمن اتَّبَعَ ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو ممن اتَّبَعَ هواه بغير هدى من الله؛ بل قد يتمادى به الأمر إلى أن يتخذ إلهه هواه.

فالواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه ومقدار حبه وبغضه؛ هل هو موافق لأمر الله ورسوله، وهو هدى الله الذي أنزله على رسوله ﷺ، بحيث يكون مأمورًا بذلك الحب والبغض، لا يكون

(١) حسن: أخرجه البزار (٨٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٤٣/٢) وغيرهما، وانظر: «الصحيحة» (١٨٠٢).

متقدماً فيه بين يدي الله ورسوله، فإنه قد قال تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] (١).

وفي مناظرة لشيخ الإسلام مع بعض أهل البدع، قال رَحِمَهُ اللهُ: «فقال لى: البدعة مثل الزنا. وروى حديثاً في ذم الزنا، فقلت: هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، والزنا معصية، والبدعة شرٌّ من المعصية، كما قال سفيان الثوري: «البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، فإن المعصية يُتابُّ منها، والبدعة لا يُتابُّ منها». وكان قد قال بعضهم: نحن نتوب الناس. فقلت: مماذا تتوبونهم؟ قال: من قطع الطريق والسرقة ونحو ذلك. فقلت: حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم، فإنهم كانوا فُسَّاقًا، يعتقدون تحريم ما هم عليه، ويرجون رحمة الله، ويتوبون إليه، أو ينوون التوبة، فجعلتموهم بتتويبكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الإسلام، يحبون ما يبغضه الله، ويبغضون ما يحبه الله.

وبيئتُ أن هذه البدع التي هم وغيرهم عليها شرٌّ من المعاصي. قلت - مخاطبًا للأمير والحاضرين - : أما المعاصي فمثل ما روى البخاري في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب: «أن رجلاً كان يُدعى جمارًا، وكان يشرب الخمر، وكان يضحكُ النبي ﷺ، وكان كلما أتى به النبي ﷺ جلده الحدَّ، فلعنه رجلٌ مرة، وقال: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي ﷺ! فقال النبي ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحبُّ الله ورسوله» (٢).

قلت: فهذا رجل كثير الشرب للخمر، ومع هذا فلما كان صحيح

(١) انظر: «الاستقامة» لشيخ الإسلام (٢/٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٩٨).

الاعتقاد، يحبُّ الله ورسوله، شهد له النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك، ونهى عن لعنه.

وأما المبتدع؛ فمثل ما أخرجنا في «الصحيحين» عن عليِّ بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري وغيرهما، دخل حديث بعضهم في بعض: «أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يَقْسِمُ، فجاءه رجل ناتيئاً^(١) الجبين، كَثُ اللحية، محلوق الرأس، بين عينيه أثر السجود، وقال ما قال! فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ^(٢) هذا قومٌ يَخْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، وقراءته مع قراءتِهِمْ، يَقْرءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لئن أدركتهم لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ». وفي رواية: «لو يعلمُ الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسانِ محمدٍ ﷺ لَنَكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ»^(٣). وفي رواية: «شَرُّ قَتْلِي تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، خَيْرُ قَتْلِي مَن قَتَلُوهُ»^(٤).

قلت: فهؤلاء مع كثرة صَلَاتِهِمْ وصِيَامِهِمْ وقراءتِهِمْ وما هم عليه من العبادة والزهادة، أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقتلِهِمْ، وقتلَهُمْ عليُّ بن أبي طالب ومن معه من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته»^(٥).

قلت: وفيه دليل لما اشتهر عن السلف: أن الله لا يقبل من المبتدع

(١) ناتيئ الجبين، من التواء، أي: أنه يرتفع على ما حوله. فتح الباري (٦٨/٨).

(٢) الضئضئ: النسل والعقب. فتح الباري (٦٩/٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٥٦/١٠٦٦) بنحوه.

(٤) راجع تخريج هذه الروايات في صفحة (٣٢).

(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤٧٢/١١).

عملاً، وأن الاتباع متعلق بالألوهية، كما تقدم في القاعدتين الأوليين. واعلم «أن الهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده، فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة، وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء، وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء ومخالفة السنة، وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم وصدّه عن الحق، وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجور، وإن وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة الله والمسلمين؛ حيث يولي بهواه ويعزل بهواه، وإن وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة، فما قارن شيئاً إلا أفسده»^(١)

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

إن الغلو داء خطير، وشر مستطير له آثار قبيحة، منها:

١- إنه يجر إلى الشرك بالله، وذلك كالغلو في الأشخاص فإنه يفضي إلى عبادتهم من دون الله، كما حصل لقوم نوح لما غلوا في الصالحين، وكما حصل للنصارى لما غلوا في المسيح، وكما حصل لعباد القبور من هذه الأمة لما غلوا في الأولياء والصالحين فأصبحت قبورهم أوثاناً تعبد من دون الله في كثير من البلاد، حتى آل الأمر إلى أن من أنكر ذلك يعد من الغلاة الذين يكفرون المسلمين!

٢- إنه يحمل على تكفير المسلمين وسفك دمائهم، كما حصل للخوارج من هذه الأمة حتى قتلوا خيارها كعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وكثير من صحابة رسول الله ﷺ.

(١) «روضة المحبين» (١/٤٧٤).

٣- إنه يحمل على الخروج على ولي أمر المسلمين وشق عصا الطاعة وتفريق كلمة المسلمين، كما حصل ويحصل من الخوارج على مدار التاريخ، وقد أمر النبي ﷺ بقتل من يفعل ذلك في قوله: «مَنْ جَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى وَاحِدٍ مِنْكُمْ يُرِيدُ تَفْرِيقَ جَمَاعَتِكُمْ فَاقْتُلُوهُ كَأَنَّا مَنْ كَانَ»^(١).

٤- إنه يزهّد في السنة والوسطية والاعتدال - باعتبار ذلك تساهلاً في الدين والعبادة - كما في قصة الثلاثة الذين تَقَالُوا عَمَلَ النَّبِيِّ ﷺ^(٢).

٥- إنه يحمل على التقنيط من رحمة الله، كما حصل من الذي قال: «والله لا يغفر الله لفلان!»^(٣).

٦- إنه يسبب الانقطاع عن العمل الصالح، وقد يحمل على الزيف والانسلاخ من الدين، فإن النفس تضعف مع شدة العمل، وقد تعجز أو تمل من العمل فتتركه؛ ولهذا قال ﷺ عن المتشدد في الدين - فيما روي عنه - : «إِنِ الْمُنْبَتَّ^(٤) لَا ظَهْرًا أَبْقَى وَلَا أَرْضًا قَطَعَ»^(٥) وقد رأينا من هذه النماذج في وقتنا الحاضر.

(١) تقدم تخريجه (ص ١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٦) من حديث أنس ؓ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢١ / ١٣٧) من حديث جندب ؓ.

(٤) انبت الرجل في السير: جهد دابته حتى أعيت، وهو يقال لمن يبالي في طلب الشيء ويُفِرِّطُ حتى ربما يُفَوِّتَهُ على نفسه. الوسيط (ب ت ت).

(٥) ضعيف: أخرجه البيهقي في السنن (٣٧٨/٢). «ضعيف الجامع» (٢٠٢٢)، وفي الباب ما يشهد له عند البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر ولن يشاء الدين أحد إلا غلبه» الحديث. وقوله: «يشاد»، أي: يُقاويه ويُقاومه ويُكَلِّف نفسه من العبادة فيه فوق طاقته. «النهاية» (١١١٩/٢).

القاعدة الخامسة عشرة

أن دعوتهم ظاهرة للناس جميعاً، لا سرية فيها ولا تخصيص

لقوله تعالى: ﴿قَدْ هَدَاهُ سَبِيلَ آدَمُ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبَّحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال سبحانه: ﴿قَدْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وضم رمضان، وحج البيت واعتمر، واسمع وأطع، وعليك بالعلانية، وإياك والسر». رواه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» بسند صحيح (١).

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». رواه مسلم (٢).

(١) إسناده جيد: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٧٠)، وانظر «ظلال الجنة» (٢) (٢٥٥).

(٢) برقم (٥٠٥٩).

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «إذا رأيتَ قومًا يتناجون في دينهم دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة». رواه الدارمي ^(١).

وقول الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ الآية [الكهف: ٢٨].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «هل تُنصرون وترزقون إلا بضعفائكم». رواه البخاري ^(٢).

قال الإمام البخاري: «باب كيف يُقبَضُ العلمُ، وكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فأكتبه، فإنني خفتُ دُرُوسَ العلمِ ^(٣) وذهابَ العلماءِ، ولا تقبلُ إلا حديثَ النبي ﷺ، ولتُنقِشُوا العلمَ ولتَجلسُوا حتى يُعَلِّمَ من لا يَعْلَمُ، فإن العلمَ لا يهلكُ حتى يكونَ سِرًّا» ^(٤).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

التعليم - تعليم العلوم الشرعية، وبيان الدين للناس - يجب أن يكون علانية في المساجد، في مجامع الناس، يُشرح لهم الدين، وتبين لهم الأحكام الشرعية؛ لينتفع الجميع، وينتشر الخير، هذا معنى دعوتهم عامة، الدعوة: تعليم الناس الخير، تعليمهم أمور الدين، وأمور العبادة، تعليمهم المعاملات الصحيحة، والمعاملات الفاسدة، تعليمهم

(١) في «سننه» برقم (٣٠٧).

(٢) برقم (٢٧٣٩)، وأخرجه أحمد (١٩٨/٥) وغيره، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه بلفظ: «ابغوني الضعفاء، وإنما ترزقون وتُنصرون بضعفائكم».

(٣) دروس العلم، أي: ذهابه. مقدمة فتح الباري (١١٦/١).

(٤) «صحيح البخاري» (٤٩/١).

الأخلاق الفاضلة، ونهيبهم عن الأخلاق السيئة، هذه الأمور يجب أن تكون عامة، يعم النفع بها، تكون علانية في المساجد، في تجمعات الناس؛ لأن فيها مصلحة، أمّا إذا خصت في ناس فقط معينين، كأن يقولوا: نخرج برحلة، بمخيم، نعتزل عن الناس لأجل الدعوة. فنقول لهم: هذا ما يجوز، ما دام أنكم تأمرون بالخير، وتعلمون الناس الخير، فلماذا تعتزلون وتحرمون الناس الخير، تحرمون آباءكم وإخوانكم وجيرانكم الخير؟ ما دام عندكم خير اجعلوه في المسجد، عند الناس، أو أنهم يجتمعون في غرفة أو مكان، يقولون: نتعلم. هذا ما يجوز، هذه سرية، ما دام أنه خير وليس فيه ضرر انشروه على الناس، لا تختفون به وتسرونه، هذا أنزله الله للجميع، فلماذا تختصون به أنتم دون إخوانكم وهم بحاجة إليه؟! هذا من ناحية. الناحية الثانية: أنكم إذا اعتزلتم في مكان ما فتحتم بابًا لسوء الظنّ بكم، وتخويف الناس منكم، يقولون: ما اجتمعوا إلا لشرّ! أما إذا كان شيئًا معلنًا به في المسجد، أمام الناس، فهذا يرفع التهمة، والله جل وعلا نهى عن النجوى؛ لأن النجوى تحزن المؤمنين، ولهذا يقول ﷺ: «لا يتناجى اثنان دون الثالث»^(١). لئلا يصير عنده شك ويتوهم أنهم ما اجتمعوا إلا لسوء رأيهما فيه، أو لدسيسة غائلة له، لكن عندما يُحكى في المجلس ويستمع الجميع تزول الريبة، فإن كان هذا الأمر مصلحة عمت الجميع، وإن كان خطأ نهاه الحاضرون، فالاجتماعات السرية في أمور الخير وأمور الدعوة

(١) أخرجه البخاري (٥٩٣٠)، ومسلم (٣٦/٢١٨٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ولفظه: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه».

منهي عنها في الإسلام، لا تجوز، فهناك فرق بين النصيحة المختصة بشخص وبين تعليم الناس الخير، ونشر الخير، وتعليم الناس الأحكام الشرعية، هذا علانية، يجب أن يكون علانية لا سرًا، وأما أمر النصيحة والأمور الخاصة بالشخص فإنها تستر.

* * *

القاعدة السادسة عشرة

أنهم يعتقدون أن التمكين في الأرض منحة من الله سبحانه وتعالى، يمنحها لمن قام بما أوجب الله عليه من العلم النافع والعمل الصالح

● التمكين في الأرض وسيلة لا غاية:

لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

فاشترط للتمكين والأمن تحقيق التوحيد وموافقة شرعه، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

فالخلافة الراشدة لا يمكن وقوعها في المسلمين إلا بمنهج الخلافة الراشدة الأولى، القائم على المنهج النبوي، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تكونُ النبوةُ فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكونُ خلافةً على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم

تكون خلافة على منهاج النبوة» ثم سكت. رواه أحمد^(١).
قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

هذه القاعدة معناها: أن التمكين في الأرض إنما يكون بالعلم النافع والعمل الصالح، وهذا مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُٗٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِن مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

أسباب التمكين في الأرض:

الإيمان والعمل الصالح، والإيمان يتضمن العلم، لأنه لا يمكن الإيمان الصحيح إلا بعلم، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. الإيمان والعمل الصالح، وعبادة الله لا شريك له: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، هذه أسباب التمكين في الأرض، فيجب على المسلمين أن يحققوا هذه الأمور حتى يتحقق لهم وعد الله ﷻ، فإذا نقصوا شيئاً من هذه الأمور نقص التمكين، أو زال.

وتعاقب الأدوار التي ذكرها رسول الله ﷺ في هذا الحديث: خلافة، ثم ملك، ثم خلافة، ثم كذا، تعاقب هذه الأدوار لتغيير أحوال الناس، فإذا صلحوا وحققوا هذه الأمور تحقق لهم الخير والأمن

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤/٢٧٣)، انظر «الصحيحة» (٥).

والاستقرار، والتمكين في الأرض، وإذا فقدوا هذه الأمور فقدوا
التمكين نهائياً، وإذا نقصوا هذه الأمور نقص تمكينهم في الأرض؛ لأن
الجزاء من جنس العمل، وإذا وجد السبب وجد المسبب، وإذا فقد
السبب فقد المسبب، أو إذا نقص السبب نقص المسبب، هذه حكمة
اللَّهِ سبحانه وتعالى.

* * *

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة السابعة عشرة

أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
بالعلم والرفق والصبر، بقصد الإصلاح

لقول الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان». رواه مسلم^(١).

وعن أبي بكر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه». رواه أحمد^(٢).

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١١]. وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦].

وعن عبد الله بن المغفل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى رفيقٌ

(١) برقم (٧٨٤٩).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/١، ٥، ٩)، وانظر «الصحيحة» (١٥٦٤).

يحبُّ الرفقَ، ويُعطي عليه ما لا يُعطي على العنف». رواه أبو داود^(١).
 وقول الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَوَعَدْتُكَ رَبِّيكَ أَحْسَنَىٰ عَلَىٰ بَيْتِي إِسْرَاءَ يَلِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧].
 وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨].
 وقوله تعالى: ﴿فَالْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].
 وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧].

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ؕ أَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فَيُقْتَنَعُ بِالْخَيْرِ الْيَسِيرِ إِذَا لَمْ يَحْصَلِ الْكَثِيرُ، وَيُدْرَأُ الشَّرُّ الْكَبِيرُ بِالشَّرِّ الْيَسِيرِ، وَاللَّهُ تَعَالَىٰ بَعَثَ الرِّسَالَ بِتَحْصِيلِ الْمَصَالِحِ وَتَكْمِيلِهَا، وَتَعْطِيلِ الْمَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ دَعَا الْخَلْقَ بِغَايَةِ الْإِمْكَانِ»^(٢).

● صفات الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر:

وقال: «والقيام بالواجبات - من الدعوة الواجبة وغيرها - يحتاج إلى شروط يقام بها، ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، أن يكون عالمًا بما يأمر به عالمًا بما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به رفيقًا فيما ينهى

(١) برقم (٤٨٠٧)، ورواه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٧٧/٢٥٩٣) من حديث أم المؤمنين

عائشة ؓ.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٩٦/١٣).

عنه، حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه، فالعلم قبل الأمر، والرفق عند الأمر، والحلم بعد الأمر، فإن لم يكن عالماً لم يكن له أن يقف ما ليس له به علم، وإن كان عالماً ولم يكن رفيقاً كان كالطبيب الذي لا رفق فيه فيغلظ على المريض، فلا يقبل منه، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد، وقد قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]. ثم إذا أمر أو نهى؛ فلا بد أن يؤدى في العادة فعليه أن يصبر ويحلم، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع، وهو إمام الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، فإن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمر به، وهو يحب صلاح المأمور، وإن فعل ذلك لطلب الرياسة في نفسه ولطائفته وتنقيص غيره، كان ذلك حمية لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء، كان عمله حابطاً، ثم إذا رد عليه ذلك أو أوزي أو نسب إلى أنه مخطئ وغرضه فاسد، طلبت نفسه الانتصار لنفسه وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي، وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة إذا كان كلٌّ منهم يعتقد أن الحقَّ معه وأنه على السنة، فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاهه أو رياسته وما نُسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله؛ بل يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهداً معذوراً، لا يغضب الله عليه، ويرضون عن من كان يوافقهم وإن كان جاهلاً سيئ القصد، ليس له

علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمّدوا من لم يحمّده الله ورسوله، ويذمّوا من لم يذمّه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله، وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم، ويقولون: هذا صديقنا، وهذا عدونا! لا ينظرون إلى موالاته الله ورسوله، ومعاداة الله ورسوله، ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا هُمْ حَقٌّ لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ وَيَكُونُ الَّذِينَ كَلِمَةُ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. فإن لم يكن الدين كله لله كانت فتنة.

وأصل الدين أن يكون الحب لله والبغض لله، والموالات لله والمعاداة لله، والعبادة لله والاستعانة بالله، والخوف من الله والرجاء بالله، والإعطاء لله والمنع لله، وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله الذي أمره أمر الله، ونهيه نهى الله، ومعاداته معاداة الله، وطاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله.

وصاحب الهوى يُعميه الهوى ويصمّه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك ولا يطلبه، ولا يرضى لرضى الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله؛ بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن ما يرضى له ويغضب له هو السنة وهو الحق وهو الدين، فإذا قُدّر أن الذي معه هو الحق المحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، أو أن تكون كلمة الله هي العليا؛ بل قصد الحمية لنفسه وطائفته، أو الرياء، أو أن يُعظّم أو يُثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعةً وطبعًا، أو لغرض من الدنيا - لم يكن لله ولم يكن مجاهدًا في سبيل الله، فكيف إذا كان الذي يدّعي الحق والسنة هو كمنظيره معه حق وباطل وسنة

وبدعة، ومع خصمه حق وباطل وسنة وبدعة! وهذا حال المختلفين الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاء، وكفّر بعضهم بعضًا وفسّق بعضهم بعضًا، ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۗ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۗ﴾ [البينة: ٤، ٥] (١).

والناس هنا ثلاثة أقسام:

قوم لا يقومون إلا في أهواء نفوسهم، فلا يرضون إلا بما يُعطونه ولا يغضبون إلا لما يُحرمونه، فإذا أعطي أحدهم ما يشتهي من الشهوات الحلال أو الحرام؛ زال غضبه وحصل رضاه، وصار الأمر الذي كان عنده منكراً، ينهى عنه ويعاقب عليه، ويذم صاحبه ويغضب عليه - مرضياً عنه، وصار فاعلاً له وشريكاً فيه، ومعاوناً عليه ومعادياً لمن ينهى عنه وينكر عليه.

وهذا غالب في بني آدم: يرى الإنسان ويسمع من ذلك ما لا يحصيه إلا الله، وسببه: أن الإنسان ظلوم جهول، فلذلك لا يعدل؛ بل ربما كان ظالماً في الحالين، يرى قوماً ينكرون على المتولي ظلمه لرعيته واعتدائه عليهم، فيرضى أولئك المنكرون ببعض الشيء من منصب أو مال، فينقلبون أعواناً له، وأحسن أحوالهم أن يسكتوا عن الإنكار عليه. وكذلك تراهم ينكرون على من يشرب الخمر ويزني ويسمع الملاهي حتى يدخلوا أحدهم معهم في ذلك، أو يرضوه ببعض ذلك، فتراه حيثئذ قد صار عوناً لهم.

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥/٢٥٦).

وهؤلاء قد يعودون بإنكارهم إلى أقبح من الحال التي كانوا عليها، وقد يعودون إلى ما هو دون ذلك أو نظيره.

وقوم يقومون قومة ديانة صحيحة يكونون في ذلك مخلصين لله مصلحين فيما عملوه، ويستقيم لهم ذلك حتى يصبروا على ما أودوا، فهؤلاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم من خير أمة أُخْرِجَتْ للناس، يأمرُونَ بالمعروف وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.

وقوم يجتمع فيهم هذا وهذا وهم غالب المؤمنین، فمن فيه دين وله شهوة تجتمع في قلوبهم إرادة الطاعة وإرادة المعصية، وربما غلب هذا تارة وهذا تارة.

وهذه القسمة الثلاثية، كما قيل: الأنفس ثلاث: أمارة، ومطمئنة، ولوامة. فالأولون هم أهل الأنفس الأمارة التي تأمرهم بالسوء، والأوسطون هم أهل النفوس المطمئنة التي قيل فيها: ﴿يَتَأَيَّنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْتَضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنِّي ﴿٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]. والآخرون هم أهل النفوس اللوامة التي تفعل الذنب ثم تلوم عليه، وتتلون تارة كذا وتارة كذا، أو تخلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهؤلاء يُرْجَىٰ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِذَا اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٣٧) [التوبة: ١٠٦] (١).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان، فقد يُذنب الرجلُ أو الطائفةُ ويسكتُ آخرون عن الأمر

والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكاراً منهياً عنه، فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرُّق والاختلاف والشرُّ، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديماً وحديثاً؛ إذ الإنسان ظلوم جهول، والظلم والجهل أنواع، فيكون ظلمُ الأول وجهله من نوع، وظلمُ كلِّ من الثاني والثالث وجهلهما من نوع آخر وآخر، ومن تدبَّر الفتن الواقعة رأى سببها ذلك، ورأى أن ما وَقَعَ بين أمراء الأمة وعلمائها ومن دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة - من الفتن هذا أصلها»^(١).

قال سماحة الشيخ، حفظه الله:

وهذه القاعدة من أصول أهل السنة والجماعة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمراد بالمعروف: كل طاعة. والمراد بالمنكر: كل معصية. كل طاعة مشروعة فهي معروف؛ لأن العقول تعرفها، والفطر تقبلها، وأما المنكر فهو كل ما نهى الله عنه، كل معصية؛ لأن الفطر والعقول تنكرها ولا تقبلها، والمراد العقول السليمة والفطر السليمة، لا الفطر المنحرفة، أو العقول المنحرفة، وإلا فقد يكون هناك فطر تقبل الشر، وعقول تقبل الشر، لكن نقول هذه منحرفة ليست على أصلها ومغيّرة، هذا هو المعروف الممكن، وقد أمر الله بالمعروف، ونهى عن المنكر، ووصف المؤمنين بذلك، ووصف الرسول ﷺ أنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. فهم يأمرون بكل طاعة وبكل خير، وينهون عن كل معصية وكل شر، ولكن على ما

توجيه الشريعة .

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أهل السنة والجماعة يجب أن يكون على ما توجيه الشريعة، لا على طريقة المبتدعة من المعتزلة والخوارج الذين يسمون خروجهم على ولاية الأمور وشق عصا الطاعة، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، هذا هو الأمر بالمنكر نفسه والنهي عن المعروف .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الاستطاعة، كما قال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»^(١). بحسب الإمكان، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فالذي عنده سلطة وقدرة يغير المنكر بيده، فولي الأمر له سلطة، ونواب ولي الأمر، ورجال الحسبة لهم سلطة، فبحسب ما أعطوا ومُنحوا من الصلاحيات يغيرون باليد، وصاحب البيت له سلطة على بيته، يغير باليد، قال ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبِّعَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لَعَشْرٍ»^(٢). فصاحب البيت، له سلطة على من في بيته، يؤدبهم ويضربهم إذا أخطئوا واستحقوا الضرب، والزوج له سلطة على زوجته يضربها، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَاوَنُ نُسُوزُهُمْ فَعُظُوهُمْ وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاحِبِ وَأَضْرِبُوهُمْ﴾ [النساء: ٣٤]. فهذا له سلطة .

أما الذي ليس له سلطة، وهو يقدر على البيان، يعرف الحلال والحرام، ويميز بين هذا وهذا، يتكلم وينصح ويبين للناس ما يقعون فيه، وإن كان الأمر يختص بفرد فإنه يناصحه سراً، وإن كان الأمر عاماً،

(١) تقدم تخريجه (ص ١٣٧).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٨٧/٢)، وأبو داود (٤٩٤، ٤٩٥) من حديث عبد الله بن عمرو

رضي الله عنهما، وانظر «الإرواء» (٢٤٧).

والمخالفة عامة، فإنه ينكر على الجميع إنكارًا عامًا، ولكن لا يخصّص أشخاصًا ويسمّيهم؛ لأن النبي ﷺ كان يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»^(١). ولا يُخصّص؛ لأن التخصيص يلزم منه مفساد، ويلزم منه نفرة الشخص الذي يُخصّص أمام الناس، لكن يُعمّم، ويقول: ما بال أقوام فعلوا كذا، هداهم الله، أو نحو ذلك.

أما التشهير والتعير والتحريش، والكلام في المجالس عن فلان وغيره، وأنهم يعملون كذا، هذا لا يأتي بخير، بل هذا من إشاعة الفاحشة، فالناس ما سمعوا عن هذا الشيء وأنت تنشره عليهم، تقول: فلان فعل كذا، والمحفل الفلاني فيه كذا، فالناس ما سمعوا عن هذه الأمور، هذه الأمور تفرح المنافقين والأشرار، واللّه جلا وعلا يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]. فليس من إنكار المنكر إشاعته على الناس، خاصة على من لم يسمع به، وتنبه المنافقين الذين يتربصون بالمسلمين، هذا أمر لا يجوز، ولا يزيد المنكر إلا منكرًا، لكن يعالج المنكر بالعلاج النافع، العلاج المناسب.

فإذا لم تستطع هذا ولا ذلك: لا السلطة ولا اللسان، فعليك أن تنكر المنكر بقلبك، لا ترضى بالمنكر، بل تكون مبغضًا له، ومبتعدًا عنه، لأن الإنكار ما يسقط أبدًا، وأضعف الإيمان أن يعلم الله من قلبك أنك مبغض لهذا المنكر، وأنت لو كان لك قدرة لعملت على إزالته، ولكنك

(١) انظر «صحيح البخاري» (٤٤٤، ٧١٧، ٥٧٥٠، ٦٨٧١)، و«سنن أبي داود» (٩١٣)،

لا تقدر، فهذا يكفي منك، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والله تعالى أعلم .

وأضاف الشيخ حفظه الله: كلام شيخ الإسلام واضح في منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو:

أولاً: يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عاملاً بذلك في نفسه وفي أهله، قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣]. فيبدأ بنفسه أولاً.

ثانياً: أن يخلص النية لله، لا يكون قصده من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تحصيل رياسة، أو تحصيل مال وراتب، أو مطمع دنيوي، أو تحصيل مدح من الناس، فإن هذا لا خير فيه، كيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذا قصده؟! هذا مقصد دني، لا، يجب أن يكون قصده لله عز وجل.

ثالثاً: أن يكون قصده انتصار الحق لا انتصار نفسه، وأن يكون قصده نشر الخير، ونفع الناس، ما يكون قصده الانتصار لنفسه، بحيث إنه إذا أودي أو ناله ضرر ينتقم لنفسه، لا، هو ما جاء يريد نصر نفسه، بل جاء يريد نصر الدين، ونشر الخير، ونفع الناس، فإذا أصابه شيء فليصبر على ذلك، ولا يطالب بالانتصار لنفسه، قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣]. ﴿تواصوا بالحق﴾ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وتواصوا بالصبر﴾ على ما

يصيبهم من جرّاء ذلك، فيكون قصده نشر الخير، ونفع الناس، وعلامة هذا أنه إذا أصابه شيء صبر، لأنه ما جاء يريد الانتصار لنفسه، إنما جاء يريد نشر الخير، ونفع الناس، فهذه مقومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكذلك من مقومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أنه ما يئس إذا أمر ونهى ولم ير له أثراً؛ وذلك لأمرين: أولاً: أنه برئت ذمته.

وثانياً: أنه ينتظر من الله حصول النتائج، ولو في المستقبل، ولو فيما بعد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّنَا وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فالنبي ﷺ لما جاءه ملك الجبال في مرجعه من الطائف واستأذنه أن يُطَبِّقَ الْأَخْشَبِينَ عَلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ أَخْرَجُوهُ وَضَاقُوا بِهِ، قَالَ لَهُ ﷺ: «لا، بل أستاذني بهم، لعلَّ الله يُخْرِجَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُهُ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١). فلم يئس عليه الصلاة والسلام، بل انتظر الفرج من الله ﷻ، وقد تحقق له ﷺ ذلك.

فهذه مقومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باختصار، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٠٥٩) ومسلم (٤٧٥٤) بنحوه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الثامنة عشرة

ويدعون كل من تصدَّى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى اعتبار المصالح والمفاسد بميزان الشريعة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَايَاتِنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «لولا أن قومك حديثو عهدٍ بجاهلية لأنفقتُ كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلتُ بابها بالأرض، ولأدخلتُ فيها من الحجر». رواه مسلم ^(١).

وفي قصة المنافقين من حديث جابر، لما قيل للنبي ﷺ: ألا تقتلهم؟ قال: «لا يتحدثُ الناسُ أن محمداً يقتلُ أصحابه». رواه البخاري ^(٢).

«وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر،

(١) برقم (٣٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٠، ٤٦٢٢، ٤٦٢٤)، ومسلم (٦٣/٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبد الله

بحيث لا يفرقون بينهما؛ بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا، لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن يُنْهَوْا عن منكر؛ بل ينظر: فإن كان المعروف أكثر أمر به؛ وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم يُنْهَ عن منكر يستلزم تفويت معروفٍ أعظم منه؛ بل يكون النهي حينئذ من باب الصدِّ عن سبيلِ الله والسعي في زوالِ طاعته وطاعة رسوله ﷺ، وزوال فعل الحسنات.

وإن كان المنكر أغلب؛ نهى عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرًا بمنكر وسعيًا في معصية الله ورسوله.

وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم يُنْهَ عنهما. فتارة يصلح الأمر وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهْي، حيث كان المنكر والمعروف متلازمين، وذلك في الأمور المعينة الواقعة.

وأما من جهة النوع فيؤمر بالمعروف مطلقًا وينهى عن المنكر مطلقًا، وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويُحمد محمودها ويذم مذمومها، بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات معروف أكبر منه، أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر منه، أو فوات معروف أرجح منه، وإذا اشتبه الأمر استثبت المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يقدم على الطاعة إلا بعلم ونية، وإذا تركها كان عاصيًا، فترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نُهي عنه من الأمر معصية، وهذا باب واسع، ولا حول ولا قوة الا بالله.

ومن هذا الباب إقرار النبي ﷺ لعبد الله بن أبي وأمثاله من أئمة النفاق

والفجور، لما لهم من الأعوان، وإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكبر من ذلك: بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمداً يقتل أصحابه.

وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة: فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد، والحسنات والسيئات، أو تزاحمت؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، أو تعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهي وإن كان متضمناً تحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له؛ فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر؛ لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدالاتها على الأحكام^(١).

* * *

مَقْعٌ
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة التاسعة عشرة

أنهم يعتقدون أن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة

ويكون بالقلب، والدعوة، والحجة، والبيان، والرأي، والتدبير، والبدن، والمال، فيجب بغاية ما يمكنه، وجهاد الكفار ابتداء بالسنان له شروط لا يصح ويكون مشروعًا إلا بها كالتالي:

- قواعد وشروط الجهاد الشرعي:

أولاً: أن يكون القصد منه والدافع له إعلاء كلمة الله، فقد سئل النبي ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً؛ أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». أخرجاه من حديث أبي موسى رضي الله عنه^(١). وقال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فمن قال: لا إله إلا الله. عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله». أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٢).

ثانياً: ظهور العلم النافع والعمل الصالح بين المسلمين، قال تعالى:

(١) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٤٩/١٩٠٤، ١٥٠، ١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٥)، ومسلم (٣٢/٢٠، ٣٣/٢١ - ٣٥).

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]. فاشترط لظهور المسلمين على غيرهم وجود العلم النافع والعمل الصالح.

قال البخاري في «صحيحه»: «بَابُ: عَمَلُ صَالِحٍ قَبْلَ الْقِتَالِ. وقال أبو الدرداء: إنما تُقاتلون بأعمالكم».

وقوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوضًا ﴿٤﴾ [الصف: ٢-٤] (١).

ثالثاً: الإعداد العسكري الذي يُزهِبُ الكفَّارَ، وذلك حسب الإمكان، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وإلا فلا يقدمون على القتال، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ إِلَى الدِّينِ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

وذلك أنه تعالى نهى المؤمنين في مكة عن الانتصار باليد، وأمرهم بالعفو والصفح، لئلا يكون انتصارهم ذريعة إلى وقوع ما هو أعظم مفسدة من مفسدة الإغضاء واحتمال الضيم، ومصالحة حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحة على مصلحة الانتصار والمقابلة.

(١) صحيح البخاري (٣/١٠٣٣).

رابعاً: اجتماع المسلمين على إمام يقودهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لِهْمُ أُنَبِّئْنَا لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وقال عليه السلام: «الإمام جنة يُقاتل من ورأيه ويقتل به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيره فإن عليه منه». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١).

وقال عليه السلام: «تلزّم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلّها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يذرك الموت وأنت على ذلك». أخرجه البخاري ومسلم من حديث حذيفة (٢).

وقوله عليه السلام: «وإن الله ليؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر». أخرجه البخاري، من حديث أبي هريرة (٣).

وأما جهاد الدفع فإن حكمه يختلف باختلاف الظروف المحيطة به، وذلك بالنظر إلى تزاحم المفساد، فإن كانت مفسد ترك القتال أعظم وجب، وإن كانت المفساد بالقتال أعظم لم يجب؛ بل قد يحرم، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦]. وهذا إذا لم يستنفر

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٧٣)، ومسلم (٥١/١٨٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٩٧)، ومسلم (١٧٨/١١١).

الإمام الناس، وإلا فيجب، وإن عدم الإمام اجتمع أهل العلم والرأي والتدبير ودعوا المسلمين للأصلح وعليهم تنصيب إمام لهم.

«والشجاعة ليست هي قوة البدن، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن وصنعتة للقتال، وعلى قوة القلب وخبرته به، والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم، ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب؛ حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح، فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد»^(١).

* * *

(١) انظر: «الاستقامة» (٢/٢٧١، ٢٧٢).



القاعدة العشرون

ويؤمنون بما دلّ عليه القرآن من سنة الله الكونية
القدرية في قول الله تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ
مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ
النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠].

إن ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم وقهرهم وكسرهم لهم أحياناً فيه
حكمة عظيمة، لا يعلمها على التفصيل إلا الله ﷻ:
فمنها: استخراج عبوديتهم وذلهم لله وانكسارهم له وافتقارهم إليه،
وسؤاله نصرهم على أعدائهم، ولو كانوا دائماً منصورين قاهرين غالبين
لبطروا وأشيروا، ولو كانوا دائماً مقهورين مغلوبين منصوراً عليهم
عدوهم لما قامت للدين قائمة، ولا كانت للحق دولة، فاقتضت حكمة
أحكم الحاكمين أن صرفهم بين غلبهم تارة وكونهم مغلوبين تارة، فإذا
غلبوا تضرّعوا إلى ربهم وأنابوا إليه، وخضعوا له وانكسروا له وتابوا
إليه، وإذا غلبوا أقاموا دينه وشعائره، وأمروا بالمعروف ونهوا عن
المنكر، وجاهدوا عدوّه ونصروا أولياءه.

ومنها: أنهم لو كانوا دائماً منصورين غالبين قاهرين لدخل معهم من

ليس قَصْدُهُ الدين ومتابعة الرسول ﷺ، فإنه إنما ينضاف إلى من له الغلبة والعزة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائماً لم يدخل معهم أحد، فاقترضت الحكمة الإلهية أن كانت لهم الدولة تارة، وعليهم تارة، فيتميز بذلك بين من يريد الله ورسوله ومن ليس له مراد إلا الدنيا والجاه.

ومنها: أنه سبحانه يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم، فله سبحانه على العباد في كلتا الحالين عبودية بمقتضى تلك الحال، لا تحصل إلا بها، ولا يستقيم القلب بدونها، كما لا تستقيم الأبدان إلا بالحر والبرد، والجوع والعطش، والتعب والنصب، وأضدادها، فتلك المحن والبلايا شرط في حصول الكمال الإنساني والاستقامة المطلوبة منه، ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنع.

ومنها: أن امتحانهم بإدالة عدوهم عليهم يمتحصم ويخلصهم ويهدبهم، كما قال تعالى في حكمة إدالة الكفار على المؤمنين يوم أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌّ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌّ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيَمِخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نٰظِرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٤].

فذكر سبحانه أنواعاً من الحكم التي لأجلها أدب عليهم الكفار، بعد

أن تثبتهم وقوّاهم وبشّرههم بأنهم الأغلون، بما أعطوا من الإيمان، وسلاهم بأنهم وإن مسّهم القرخ في طاعته وطاعة رسوله؛ فقد مس أعداءهم القرخ في عداوته وعداوة رسوله، ثم أخبرهم أنه سبحانه بحكمته يجعل الأيام دُولاً بين الناس، فيصيب كلّاً منهم نصيبه منها، كالأرزاق والآجال، ثم أخبرهم أنه فعل ذلك ليعلم المؤمنين منهم، وهو سبحانه بكل شيء عليم، قبل كونه، وبعد كونه، ولكنه أراد أن يعلمهم موجودين مشاهدين، فيعلم إيمانهم واقعاً، ثم أخبر أنه يحب أن يتخذ منهم شهداء، فإن الشهادة درجة عالية عند الله ومنزلة رفيعة لا تنال إلا بالقتل في سبيله، فلولا إدالة العدو لم تحصل درجة الشهادة التي هي من أحب الأشياء إليه وأنفعها للعبد، ثم أخبر سبحانه أنه يريد تمحيص المؤمنين، أي: تخليصهم من ذنوبهم، بالتوبة والرجوع إليه، واستغفاره من الذنوب التي أدب بها عليهم العدو، وأنه مع ذلك يريد أن يمحق الكافرين، يبيغهم وطغيانهم وعدوانهم إذا انتصروا، ثم أنكر عليهم حسابهم وظنّهم دخول الجنة بغير جهاد ولا صبر، وأن حكمته تأبى ذلك، فلا يدخلونها إلا بالجهاد والصبر، ولو كانوا دائماً منصورين غالبين لما جاهدتهم أحد، ولما ابتلوا بما يصبرون عليه من أذى أعدائهم، فهذه بعض حكمه في نصرة عدوهم عليهم وإدالته في بعض الأحيان»^(١).

● أسباب غلبة وتسلط الكفار على المسلمين:

«وأما الغلبة فإن الله تعالى قد يدل الكافرين على المؤمنين تارة، كما يدل المؤمنين على الكافرين، كما كان يكون لأصحاب النبي ﷺ مع

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/١٩١).

عدوهم، لكن العاقبة للمتقين، فإن الله يقول: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ ﴿٥١﴾ [غافر: ٥١]. وإذا كان
في المسلمين ضعف وكان عدوهم مستظهِراً عليهم، كان ذلك بسبب ذنوبهم
وخطاياهم، إما لتفريطهم في أداء الواجبات باطنًا وظاهرًا، وإما لعدوانهم
بتعدي الحدود باطنًا وظاهرًا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَتْ
الْجَمْعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [آل عمران: ١٥٥].
وقال تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ
مِنَ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ
إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ
الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠، ٤١] (١).

وقد نبّه القرآن العظيم إلى حلّ ثلاث مشكلات هي من أعظم ما
يعانيه العالم في جميع المعمورة ممن ينتمي إلى الإسلام؛ تنبيهها بها على
غيرها:

المشكلة الأولى:

هي ضعف المسلمين في أقطار الدنيا في العَدَدِ والعُدَدِ عن مقاومة
الكفار، وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق
وأعدلها، فبيّن أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصدق
التوجه إلى الله تعالى وإفراده بالتعلق، وقوة الإيمان به والتوكل عليه،
لأن الله قوي عزيز، قاهر لكل شيء، فمن كان من حزبه على الحقيقة

لا يمكن أن يغلبه الكفار، ولو بلغوا من القوة ما بلغوا، فمن الأدلة المبينة لذلك: أن الكفار لما ضربوا على المسلمين ذلك الحصار العسكري العظيم في غزوة الأحزاب، المذكور في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

كان علاج ذلك هو ما ذكرنا، فانظر شدة هذا الحصار العسكري وقوة أثره في المسلمين، مع أن جميع أهل الأرض في ذلك الوقت مقاطعوهم سياسة واقتصادًا، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن العلاج الذي قابلوا به هذا الأمر العظيم، وحلُّوا به هذه المشكلة العظمى، هو ما بينه جلَّ وعلا في سورة الأحزاب بقوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

فهذا الإيمان الكامل وهذا التسليم العظيم لله جلَّ وعلا، ثقةً به وتوكلاً عليه، هو سبب حل هذه المشكلة العظمى، وقد صرَّح القرآن بنتيجة هذا العلاج بقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقَاتَلُوا وَتَأْسَرُوا فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوَّهَأْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥ - ٢٧].

وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ما كانوا يظنونونه ولا يحسبون أنهم يُنصرون به؛ وهو الملائكة والريح، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

ولما علم جلّ وعلا من أهل بيعة الرضوان الإخلاص الكامل، ونوه عن إخلاصهم بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].
أي: من الإيمان والإخلاص؛ كان من نتائج ذلك ما ذكره الله جلّ وعلا في قوله: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١].

فصرّح جلّ وعلا في هذه الآية بأنهم لم يقدرُوا عليها، وأن الله جلّ وعلا أحاط بها فأقدرهم عليها، وذلك من نتائج قوة إيمانهم وشدة إخلاصهم.

المشكلة الثانية:

هي تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء، مع أن المسلمين على الحق والكفار على الباطل، وهذه المشكلة استشكلها أصحاب النبي ﷺ، فأفتى الله جلّ وعلا فيها وبين السبب في ذلك بفتوى سماوية تتلى في كتابه، جلّ وعلا، وذلك أنه لما وقع ما وقع بالمسلمين يوم أحد، فقُتِلَ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وابن عمته ومُثِّلَ بهما، وقُتِلَ غيرهما من المهاجرين، وقُتِلَ سبعون رجلاً من الأنصار، وجُرِحَ ﷺ وشُقَّتْ شفتاه وكُسرت رِباعيته، وشُجَّ ﷺ - استشكل المسلمون ذلك، وقالوا: كيف ينال منّا المشركون ونحن على الحق وهم على الباطل؟! فأنزل الله قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتُمْ مِصْبِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾. فيه إجمال بينه تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَسِلْتُمْ

وَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴿٤٦﴾ إلى قوله: ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح بأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين وتنازعهم في الأمر وعصيانهم أمره ﷺ، وإرادة بعضهم الدنيا مقدماً لها على أمر الرسول ﷺ، ومن عرف أصل الداء عرف الدواء، كما لا يخفى.

المشكلة الثالثة:

هي اختلاف القلوب الذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية؛ لاستلزامه الفشل، وذهاب القوة والدولة، كما قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمرب بعضهم لبعض العداوة والبغضاء، وإن جامل بعضهم بعضاً، فإنه لا يخفى على أحد أنها مجاملة، وأن ما تنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك، وقد بين تعالى في سورة الحشر أن سبب هذا الداء الذي عمّت به البلوى إنما هو ضعف العقل، قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]. ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

ولاشك أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق، وتمييز الحق من الباطل، والنافع من الضار، والحسن من القبيح، لا دواء له إلا إنارته بنور الوحي، لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتاً، ويضيء الطريق للمتمسك به، فيريه الحق حقاً والباطل باطلاً، والنافع نافعا والضار ضاراً، قال تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا

لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴿ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ [آل عمران: ١٠٣] (١).

* * *

(١) «أضواء البيان» (٣/٥٠ . وما بعد).

القاعدة الحادية والعشرون

أن الاقتصاد بالعمل والاعتصام
بالسنة عليهما مدار الدين

- قال الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [المائدة: ٧٧].
 وقال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].
 وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ [البقرة: ٢٢٩].
 وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].
 وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥).
 [الأعراف: ٥٥]. وقال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحِجُّ وَلَيْسَ
 الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا
 وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٨٩) [البقرة: ١٨٩].
 وقال تعالى: ﴿الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
 سُوْقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكَرَّوْا فَإِنَّ
 خَيْرَ الزَّادِ الْقُفُوءَ وَأَنْتَقُونَ يَأْتُوا أَلْيَبَ﴾ (١٩٧) [البقرة: ١٩٧].
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على
 ناقته: «الْقَطُّ لِي حَصِيٌّ». فلقطت له سبع حصيات من حصي الخذف
 فجعل ينفضهن في كفه ويقول: «أمثال هؤلاء فارموا». ثم قال: «أيها
 الناس، إياكم والغلو في الدين؛ وإنما أهلكت الذين من قبلكم الغلو في

الدين». رواه الإمام أحمد والنسائي^(١).

وقال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]»^(٢).

فنهى النبي ﷺ عن التشديد في الدين، وذلك بالزيادة على المشروع، وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه؛ إما بالقدر وإما بالشرع: فالتشديد بالشرع كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل فيلزمه الوفاء به. وبالقدر: كفعل أهل الوسواس، فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر حتى استحکم ذلك وصار صفة لازمة لهم.

فالفقه كل الفقه الاقتصاد في الدين والاعتصام بالسنة، قال أبي بن كعب رضي الله عنه: «عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ﷻ فاقشعر جلدته من خشية الله تعالى، إلا تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فاحرصوا إذا كانت أعمالكم اقتصاداً أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم»^{(٣)(٤)}.

* * *

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/٢١٥، ٣٤٧)، والنسائي (٥/٢٦٨)، وابن ماجه (٣٠٢٩) واللفظ له، وانظر «الصحيحة» (١٢٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٩٠٤)، وانظر «الصحيحة» (٣١٢٤).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٦٩٨) - زوائد نعيم - واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/١٣٥) وغيرهم.

(٤) «إغاثة اللهفان» (١/١٣٢).

القاعدة الثانية والعشرون

أنهم يحثون الأمة على فهم القرآن والحديث

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]. وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال عليه السلام: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين». أخرجاه من حديث معاوية رضي الله عنه (١).

• من أعظم أسباب نهوض الأمة:

يحتاج المسلمون إلى شيئين:

أحدهما: معرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل.

والآخر: معرفة ما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ، فإن الرسول ﷺ لما خاطبهم بالكتاب

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (٩٨/١٠٣٧).

والسنة عرّفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلّغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلّغوا حروفه، فإن المعاني العامة التي يحتاج إليها عموم المسلمين، مثل معنى التوحيد، ومعنى الواحد والأحد، والإيمان والإسلام، ونحو ذلك - كان جميع الصحابة يعرفون ما أحب الله ورسوله ﷺ من معرفته، ولا يحفظ القرآن كله إلا القليل منهم، وإن كان كل شيء من القرآن يحفظه منهم أهل التواتر»^(١).

قال مالك: «إن أقوامًا ابتغوا العبادة وأضاعوا العلم، فخرجوا على أمة محمد بأسيافهم، ولو ابتغوا العلم لحجزهم عن ذلك». قال: «وكتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بن الخطاب: إنه قرأ القرآن عندنا عدد كذا وكذا. فكتب إليه عمر: «أن افرض لهم من بيت المال». فلما كان في العام الثاني كتب إليه: إنه قد قرأ القرآن عندنا عدد كثير. لأكثر من ذلك، فكتب إليه عمر: أن امحهم من الديوان، فأني أخاف من أن يسرع الناس في القرآن أن يتفقهوا في الدين فيتأولوه على غير تأويله»^(٢).

قلت: وهذا ما وقع فيه الخوارج، وبه يظهر معنى قوله عليه السلام: «لا يجاوز حناجرهم»^(٣).

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (١٧/٣٥٣).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/١١٩).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١١٣).

القاعدة الثالثة والعشرون

أنهم يَحْتُون على دراسة السنة النبوية والعمل بها، ويحذرون من هجرها

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعَذَابِهِمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّمُعَذِّبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٣٣] [الأنفال: ٣٣]. وقال عليه السلام: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ». أخرجاه من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه (١).

قال الإمام البخاري: «باب: كيف يُقْبَضُ الْعِلْمُ؟ وكتب عُمرُ بنُ عبد العزيزٍ إلى أبي بكرٍ بن حزم: «انظُرْ ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكتبه، فإنني خفتُ دروسَ العلمِ وذهابَ العلماءِ، ولا تقبل إلا حديثَ النبي صلى الله عليه وسلم، ولتفشوا العلمَ ولتجلسوا حتى يُعَلِّمَ من لا يَعَلِّمُ، فإن العلمَ لا يهلكُ حتى يكونَ سِرًّا» (٢).

قال ابن القيم: «فإن السنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الأمنين، وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين، تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم، ويسعى نورها بين أيديهم إذا طفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم، وأهل السنة هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدعة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قال ابن

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٦)، ومسلم (٤٨/١٠٩٨).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١٣٠).

عباس: «تبيضُ وجوه أهل السنة والاتلاف، وتسودُ وجوه أهل البدعة والتفرُّق». وهي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه، قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. والخارجون عن طاعة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ومتابعتهم يتقلبون في عشر ظلمات: ظلمة الطبع، وظلمة الجهل، وظلمة الهوى، وظلمة القول، وظلمة العمل، وظلمة المدخل، وظلمة المخرج، وظلمة القبر، وظلمة القيامة، وظلمة دار القرار، فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاثة^(١).

قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]. فقسّم الناس إلى مستجيبين للرسول، ومتّبع هواه، فمن ترك استجابته إذا ظهرت له سنة وعدل عنها إلى خلافها فقد اتبع هواه.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. وهذا الصراط المستقيم الذي وصّانا باتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأصحابه، وهو قصد السبيل، وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة، وإن قاله من قاله، لكن الجور قد يكون جورًا عظيمًا عن الصراط، وقد يكون يسيرًا، وبين ذلك مراتب لا يحصيها إلا الله، وهذا كالطريق الحسي؛ فإن السالك قد يعدل عنه ويجور جورًا فاحشًا، وقد يجور دون ذلك، فالميزان الذي

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ٩).

يعرف به الاستقامة على الطريق والجور عنه هو ما كان رسول الله ﷺ وأصحابه عليه، والجائر عنه إما مفرط ظالم، أو مجتهد متأول، أو مقلد جاهل، فمنهم المستحق للعقوبة، ومنهم المغفور له، ومنهم الماجور أجرًا واحدًا، بحسب نياتهم ومقاصدهم واجتهادهم في طاعة الله تعالى ورسوله أو تفريطهم»^(١).

قال شيخ الإسلام: «وهذا سبب ظهور البدع في كل أمة، وهو خفاء سنن المرسلين فيهم، وبذلك يقع الهلاك، ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة.

قال مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك. وهذا حق؛ فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم، وإن من لم يركبها فقد كذب المرسلين، واتباع السنة هو اتباع الرسالة التي جاءت من عند الله، فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطنًا وظاهرًا، والمتخلف عن اتباع الرسالة بمنزلة المتخلف عن اتباع نوح عليه السلام وركوب السفينة معه»^(٢).

«لكن أعظم المهم في هذا الباب وغيره: تمييز السنة من البدعة؛ إذ السنة ما أمر به الشارع، والبدعة ما لم يشرعه من الدين، فإن هذا الباب كثر فيه اضطراب الناس في الأصول والفروع، حيث يزعم كل فريق أن طريقه هو السنة وطريق مخالفه هو البدعة، ثم إنه يحكم على مخالفه بحكم المبتدع! فيقوم من ذلك من الشر ما لا يحصيه إلا الله»^(٣).

(١) «إغاثة اللهفان» (١/١٣١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/١٣٧).

(٣) «الاستقامة» (١/١٣).

رفع
عبد الرحمن العنزي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الرابعة والعشرون

أنهم يقرّرون أن مقاصد الشريعة ثلاثة:
الأول: درء المفسد، المعروف عند أهل الأصول بالضروريات
والثاني: جلب المصالح، المعروف عند أهل الأصول بالحاجيات.
والثالث: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات،
المعروف عند أهل الأصول بالتحسينيات والتتميمات.

وكل هذه المصالح الثلاث هدى فيها القرآن العظيم للطريق التي هي
أقوم الطرق وأعدلها.

المقصد الأول: الضروريات التي هي درء المفسد، إنما درؤها عن ستة
أشياء:

الأولى: الدين، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها،
كما قال تعالى: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وفي
آية الأنفال: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. وقال تعالى:
﴿نُقَنِّلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ [الفتح: ١٦].

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله». ^(١)
الحديث ^(٢). وقال ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» ^(٢). إلى غير ذلك من الأدلة

(١) تقدم تخريجه (ص ١٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٤، ٦٥٢٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الدالة على المحافظة على الدين .

والثانية: النفس، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليها بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك أوجب القصاص؛ درءاً للمفسدة عن النفس، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩]. وقال: ﴿كُذِّبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقال: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

الثالثة: العقل، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ . إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]. وقال ﷺ: «كلُّ مسكرٍ حرامٌ»^(١). وقال: «ما أسكر كثيره فقليله حرامٌ»^(٢). وللمحافظة على العقل أوجب ﷺ حد الشارب؛ درءاً للمفسدة عن العقل.

الرابعة: النسب، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك حرّم الزنا وأوجب فيه الحدّ الرادع، وأوجب العدة على النساء عند المفارقة بطلاق أو موت؛ لئلا يختلط ماء رجل بماء آخر في رحم امرأة؛ محافظة على الأنساب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. ونحو ذلك من الآيات، وقال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٧، ٤٠٨٨)، ومسلم (١٧٣٣/٧٠، ٧٠١/٢٠٠١، ٧٢) من حديث أبي موسى وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٦٨١)، والنسائي في الكبرى (٥١١٧، ٥١١٨، ٦٨٢٠)، والترمذي (١٨٦٥)، وابن ماجه (٣٣٩٢، ٣٣٩٤). عن عدد من الصحابة، وانظر «صحيح ابن ماجه» (٢٧٣٧).

وقال تعالى في إيجاب العدة؛ حفظاً للأنساب: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. ولأجل المحافظة على النسب منع سقي زرع الرجل بماء غيره؛ فمنع نكاح الحامل حتى تضع، قال تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

الخامسة: العِزُّ، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، فهي المسلم عن أن يتكلم في أخيه بما يؤذيه، وأوجب عليه إن رماه بفِرْيَةٍ حَدِّ الْقَذْفِ ثمانين جلدة.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]. وقبح جلّ وعلا غيبة المسلم غاية التقيح بقوله: ﴿أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال في إيجاب حد القاذف: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤، ٥].

السادسة: المال، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك منع أخذه بغير حق شرعي، وأوجب على السارق حد السرقة، وهو قطع اليد، كما سيأتي، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]. وكل ذلك محافظةً على المال ودرءًا للمفسدة عنه .
المقصد الثاني: جلب المصالح، وقد جاء القرآن بجلب المصالح بأقوم الطرق وأعدلها، ففتح الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].
وقال: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]. وقال:
﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِحْرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾. ولأجل هذا جاء الشرع الكريم بإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع، ليستجلب كل مصلحة من الآخر؛ كالبيع والإيجارات والأكرية والمساقاة والمضاربة، وما جرى مجرى ذلك.

المقصد الثالث: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وقد جاء القرآن بذلك بأقوم الطرق وأعدلها، والحض على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كثير جداً في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولذلك لما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ، قالت: «كان خلقه القرآن»^(١). لأن القرآن يشتمل على جميع مكارم الأخلاق، لأن الله تعالى يقول في نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. فدل مجموع الآية وحديث عائشة رضي الله عنها على أن المتَّصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق أنه يكون على خُلُقٍ عظيم، وذلك لعظم ما في القرآن من مكارم الأخلاق»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (١٣٩/٧٤٦) بنحوه.

(٢) «أضواء البيان» (٣/٥٠ وما بعدها).

القاعدة الخامسة والعشرون

بيان بعض الأسباب الداعية
لترويج وقبول الباطل

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ [البقرة: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿أَتَوْسَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٣].
قال ابن القيم في بيان الأسباب المرّوجة للباطل: «السبب الأول: أن يأتي به صاحبه مموّها مزخرف الألفاظ، مُلَفَّق المعاني، مكسوا حلة الفصاحة والعبارة الرشيقة، فتسرع العقول الضعيفة إلى قبوله واستحسانه، وتبادر إلى اعتقاده وتقليده، ويكون حاله في ذلك حال من يعرض سلعة مموّهة مغشوشة على من لا بصيرة له بباطنها وحقيقتها، فيحسنها في عينه ويحببها إلى نفسه، وهذا الذي يعتمد عليه كل من أراد ترويج باطل؛ فإنه لا يتم له ذلك إلا بتمويهه وزخرفته وإلقائه إلى جاهل بحقيقته، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

فذكر سبحانه أنهم يستعينون على مخالفة أمر الأنبياء بما يزخرفه

بعضهم لبعض من القول، فيغتر به الأغمار^(١) وضعفاء العقول، فذكر السبب الفاعل والقابل، ثم ذكر سبحانه انفعال هذه النفوس الجاهلة به بصغوها وميلها إليه ورضاها به؛ لِمَا كُسي من الزخرف الذي يغرّ السامع، فلما أصغت إليه ورضيته اقترفت ما تدعو إليه من الباطل قولاً وعملاً، فتأمل هذه الآيات وما تحتها من هذا المعنى العظيم القدر، الذي فيه بيان أصول الباطل، والتنبيه على مواقع الحذر منها، وعدم الاغترار بها، وإذا تأملت مقالات أهل الباطل رأيتهم قد كَسَوْها من العبارات وتخيروا لها من الألفاظ الرائقة، ما يسرع إلى قبوله كلُّ من ليس له بصيرة نافذة، وأكثر الخلق كذلك؛ حتى إن الفجار ليسمون أعظم أنواع الفجور بأسماء لا ينبو عنها السمع ويميل إليها الطبع.

السبب الثاني: أن يُخرج المعنى الذي يريد إبطاله بالتأويل في صورة مستهجنة تنفر عنها القلوب، وتنبو عنها الأسماع، فيتخير له من الألفاظ أكرهها وأبعدها وصولاً إلى القلوب، وأشدّها نفرة عنها، فيتوهم السامع أن معناها هو الذي دلت عليه تلك الألفاظ؛ فكَذلك أهل البدع والضلال من جميع الطوائف، هذا معظم ما يُنفّرون به عن الحق، ويدعون به إلى الباطل، ولهذا اخترعوا لأهل السنة الألقاب القبيحة، فسّمّوهم: حشوية، ونوابت، ونواصب، ومجبرة، ومجسّمة، ومشبهة، ونحو ذلك.

السبب الثالث: أن يعزو المبتدع تأويله وبدعته إلى جليل القدر، نبيه الذكر، من العقلاء، أو من آل البيت النبوي، أو من حلّ له في الأمة ثناء جميل، ولسان صدق، ليحليه بذلك في قلوب الأغمار والجهال، فإن من

(١) الأغمار، جمع غُمر: الجاهلُ الغرُّ الذي لم يُجربِ الأمور. اللسان (غ م ر).

شأن الناس تعظيم كلام من يعظم قدره في نفوسهم، وأن يتلقوه بالقبول والميل إليه، وكلما كان ذلك القائل أعظم في نفوسهم كان قبولهم لكلامه أتم، حتى إنهم ليقدمونه على كلام الله ورسوله، ويقولون: هو أعلم بالله ورسوله منا!

وإذا تأملت هذا السبب رأيت أنه هو الغالب على أكثر النفوس، وليس معهم سوى إحسان الظن بالقائل؛ بلا برهان من الله ولا حجة قادتهم إلى ذلك، وهذا ميراث بالتعصيب من الذين عارضوا دين الرسل بما كان عليه الآباء والأسلاف، فإنهم لحسن ظنهم بهم وتعظيمهم لهم آثروا ما كانوا عليه على ما جاءتهم به الرسل، وكانوا أعظم في صدورهم من أن يخالفوهم ويشهدوا عليهم بالكفر والضلال، وإنهم كانوا على الباطل، وهذا شأن كل مقلد لمن يعظمه فيما خالف فيه الحق إلى يوم القيامة.

السبب الرابع: أن يكون ذلك التأويل قد قبله ورَضِيَهُ مبرز في صناعة من الصناعات، أو علم من العلوم الدقيقة أو الجلييلة، فيعلو له بما برز به ذكر في الناس ويشتهر له به صيت، فإذا سمع الغمُرُ الجاهلُ بقبوله لذلك التأويل وتلك البدعة واختياره له أحسن الظن به وارتضاه مذهباً لنفسه، ورضي من قبله إماماً له، وقال: إنه لم يكن ليختار - مع جودة قريحته وذكائه وصحة ذهنه ومهارته بصناعته وتبريزه فيها على بني جنسه - إلا الأصوب والأفضل من الاعتقادات، والأرشد والأمثل من التأويلات، وأين يقع اختياري من اختياره؟! فرضيت لنفسي ما رضيه لنفسه، فإن عقله وذهنه وقريحته إنما تدلُّه على الصواب كما دلَّته على ما خفي عن غيره من صناعته وعلمه!

وهذه الآفة قد هلك بها أمم لا يحصيهم إلا الله؛ رأوا الفلاسفة قد

برزوا في العلوم الرياضية والطبية، واستنبطوا بعقولهم وجودة قرائحهم وصحة أفكارهم ما عجز أكثر الناس عن تعلمه، فضلاً عن استنباطه، فقالوا: للعلوم الإلهية والمعارف الربانية أسوة بذلك. فحالهم فيها مع الناس كحالهم في هذه العلوم سواء!

فلا إله إلا الله! كم أهلكت هذه البلية من أمة، وكم ضربت من دار، وكم أزلت من نعمة، وجلبت من نقمة، وجرأت كثيراً من النفوس على تكذيب الرسل واستجها لهم، وما عرف أصحاب هذه الشبهة أن الله سبحانه قد يعطي أجهل الناس به وبأسمائه وصفاته وشرعه من الحذق في العلوم الرياضية والصنائع العجيبة ما تعجز عنه عقول أعلم الناس به ومعارفهم، وقد قال النبي ﷺ: «أنتم أعلم بدينكم»^(١). وصدق صلوات الله وسلامه عليه، فإن العلوم الرياضية والهندسية وعلم الأرتماطيقى^(٢) والموسيقى والجغرافيا وإيرن، وهو علم جرّ الأثقال، ووزن المياه وحفر الأنهار، وعمارة الحصون وعلم الفلاحة وعلم الحُمّيات وأجناسها، ومعرفة الأبوال وألوانها وصفائها وكدرها وما يدل عليه، وعلم الشّعور وبحوره وعلله وزخّافه، وعلم الفنيطة، ونحو ذلك من العلوم - هم أعلم بها وأحذق فيها.

وأما العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك فالى الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦) يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَمَّ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ [الروم: ٧٦].

(١) أخرجه مسلم (١٤١/٢٣٦٣) بنحوه، من حديث أنس ؓ.

(٢) هو علم يبحث في معرفة خواص العدد وما يطابقها من معاني الموجودات. «أبجد العلوم»

قال بعض السلف: يبلغ من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقر الدرهم بظفره فيعلم وزنه، ولا علم له بشيء من دينه!

وقال تعالى في علوم هؤلاء واغترارهم بها: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣]. وقد فاوت الله سبحانه بين عباده فيما تناله عقولهم وأذهانهم أعظم تفاوت، والعقل يعطي صاحبه فائدته في النوع الذي يلزمه به ويشغله به ويقصره عليه - ما لا يعطيه في غيره، وإن كان غيره أسهل منه بكثير، كما يعطيه همته وقريحته في الصناعة التي هو معنيٌّ بها ومقصود العناية عليها ما لا يعطيه في صناعة غيرها، وكثيرًا ما تجد الرجل قد برز في اللطيف من أبواب العلم والنظر، وتخلّف في الجليل منهما، وأصاب الأغمض الأدق منها، وأخطأ الأجلّ الأوضح، هذا أمر واقع تحت العيان، فكيف وعلوم الأنبياء ومعارفهم من وراء طور العقل! والعقل وإن لم يستقل بإدراكها فإنه لا يحيلها؛ بل إذا أوردت عليه أقر بصحتها، وبادر إلى قبولها، وأذعن بالانقياد إليها، وعلم أن نسبة العلوم التي نالها الناس بأفكارهم إليها دون نسبة علوم الصبيان ومعارفهم إلى علوم هؤلاء بما لا يدرك.

السبب الخامس: الإغراب على النفوس بما لم تكن عارفة به من المعاني الغريبة، التي إذا ظفر الذهن بإدراكها ناله لذة من جنس لذة الظفر بالصيد الوحشي الذي لم يكن يطمع فيه، وهذا شأن النفوس؛ فإنها موكلة بكل غريب تستحسنه وتؤثره وتنافس فيه، حتى إذا كثُر ورخص وناله المشري والمقل زهدت فيه، مع كونه أنفع لها وخيرًا لها، ولكن لرخصه وكثرة الشركاء فيه، وتطلب ما تتميز به عن غيرها للذة التفرد والاختصاص، ثم اختاروا لتلك المعاني الغريبة ألفاظًا أغرب منها وألقوها في مسامع

الناس، وقالوا: إن المعارف العقلية والعلوم اليقينية تحتها. فتحركت النفوس لطلب فهم تلك الألفاظ الغريبة، وإدراك تلك المعاني، واتفق أن صادفت قلوبًا خالية من حقائق الإيمان وما بَعَثَ اللهُ به رسوله، فتمكنت منها، فعزَّ على أطباء الأديان استنقاذها منها، وقد تحكمت فيها، كما قيل:

تالَّه ما أسَرَ الهوى من واميِّ إلا وعزَّ على الوزيِّ استنقاذه
ولمكان الاستغراب وقبول النفس لكل غريب لهجَّ الناس بالأخبار
الغريبة، وعجائب المخلوقات، والألغاز، والأحاجي، والصور الغريبة،
وإن كانت المألوفة أعجب منها وأحسن وأتم خلقة.
السبب السادس: تقديم مقدمات قبل التأويل تكون كالأطناب والأوتاد
لفسطاطه، فمنها:

ذم أصحاب الظواهر وعيبيهم والإزرء بهم وأنهم قوم جهال لا عقول
لهم، وإنما هم أصحاب ظواهر سمعية.
ومنها: قولهم: إن أدلة القرآن والسنة أدلة لفظية وهي لا تفيد علمًا
ولا يقينًا، والعلم إنما يستفاد من أدلة المعقول وقواعد المنطق!
ومنها: قولهم: إذا تعارض العقل والنقل قُدِّمَ العقلُ على النقل!
فهذه المقدمات ونحوها هي أساس التأويل، فإذا انضمت هذه
الأسباب بعضها إلى بعض وتقاربت، فيا محنة القرآن والسنة! وقد سلكا
في قلوب قد تمكنت منها هذه الأسباب فهنالك التأويل والتحريف
والتبديل والإضمار والإجمال»^(١).

(١) «الصواعق المرسله»، (٢/٤٥١ - وما بعدها).

القاعدة السادسة والعشرون

أنهم يحذرون من الابتداع في الدين
ومن القول على الله بلا علم

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحديد: ٢٧].

قال شيخ الإسلام: «وليس في ذلك مدح للرهبانية ولا لمن بدل دين المسيح، وإنما فيه مدح لمن اتبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والرافة، حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧].»

ثم قال: ﴿وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾. أي: وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم.

وهذه الرهبانية لم يشرعها الله ولم يجعلها مشروعة لهم؛ بل نفى جعله عنها كما نفى ذلك عما ابتدعه المشركون بقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامِرٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وهذا الجعل المنفي عن البدع هو الجعل الذي أثبتته للمشروع بقوله

تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧].

فالرهبانية ابتدعوها لم يشرعها الله، ثم قال: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧]. أي: لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، وابتغاء رضوان الله بفعل ما أمر به لا بما يتدع، وهذا يسمى استثناء منقطعاً^(١).

وثبت في «الصحيحين»: أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ قال أحدهم: أما أنا فأصوم لا أفطر. وقال آخر: أما أنا فأقوم لا أنام. وقال آخر: أما أنا فلا أتزوج النساء. وقال آخر: أما أنا فلا أكل اللحم. فقام النبي ﷺ خطيبًا، فقال: «ما بال رجال يقول أحدهم كذا وكذا، لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وأكل اللحم، فمن رغب عن سُنتي فليس مني»^(٢).

وفي «صحيح البخاري» أن النبي ﷺ رأى رجلًا قائمًا في الشمس، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا أبو إسرائيل، نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم. فقال: «مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه»^(٣).

وثبت في «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ أنه كان يقول في خطبته: «خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»^(٤). وقال الشيخان لأبي بريدة بن نيار: «شأنك شاة لحم».

(١) «الجواب الصحيح» (١٩١/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٦)، ومسلم (٥/١٤٠١) بنحوه من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مسلم (٨٦٧/٤٣) بنحوه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

أخرجه من حديث البراء^(١)، والمعنى: أنها لم تقع الموقع الشرعي الذي يحبه الله.

«قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فالقول على الله بلا علم أشد هذه المحرمات تحريمًا وأعظمها إثمًا، ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان ولا تباح بحال؛ بل لا تكون إلا محرمة، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال، فإن المحرمات نوعان: مُحَرَّمٌ لذاته، لا يباح بحال. ومُحَرَّمٌ تحريمًا عارضًا في وقت دون وقت، قال الله تعالى في المحرم لذاته: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾. ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه، فقال: ﴿وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾. ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾. فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدّها إثمًا، فإنه يتضمن الكذب على الله ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبتته وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حَقَّقه، وعداوة من والاه وموالاته من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله، فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه ولا أشدّ إثمًا، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أُسِّست البدع والضلالات.

فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم، ولهذا

(١) أخرجه البخاري (٩١٢، ٩٤٠، ٥٢٣٦)، ومسلم (٤/١٩٦١).

اشتد نكير السلف والأئمة لها وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان؛ إذ مضرّة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد، وقد أنكر تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله، فقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ الآية [النحل: ١١٦] (١).

● ضرر إنحراف أهل العلم على المجتمعات المسلمة:

«وكل من أثر الدنيا من أهل العلم واستحبها فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، في خبره وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه كثيرًا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، ولا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشبهات؛ فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرًا، فإذا كان العالم والحاكم محبين للرياسة متبعين للشهوات لم يتم لهم ذلك إلا بدفع ما يصاده من الحق، ولا سيما إذا قامت له شبهة فتتفق الشبهة والشهوة ويثور الهوى، فيخفى الصواب وينطمس وجه الحق، وإن كان الحق ظاهرًا لا خفاء به ولا شبهة فيه أقدم على مخالفته، وقال لي مخرج بالتوبة! وفي هؤلاء وأشباههم قال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾ [مريم: ٥٩]. وقال تعالى فيهم أيضًا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَصَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَصٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

(١) «مدارج السالكين» (١/٣٧٢).

فأخبر سبحانه أنهم أخذوا العرض الأدنى مع علمهم بتحريمه عليهم، وقالوا: سيغفر لنا. وإن عَرَضَ لهم عَرَضٌ آخر أخذوه، فهم مصرّون على ذلك، وذلك هو الحامل لهم على أن يقولوا على الله غير الحق، فيقولون: هذا حكمه وشرعه ودينه. وهم يعلمون أن دينه وشرعه وحكمه خلاف ذلك، أو لا يعلمون أن ذلك دينه وشرعه وحكمه؟! فتارة يقولون على الله ما لا يعلمون، وتارة يقولون عليه ما يعلمون.

وأما الذين يتقون فيعلمون أن الدار الآخرة خير من الدنيا، فلا يحملهم حب الرياسة والشهوة على أن يؤثروا الدنيا على الآخرة، وطريق ذلك أن يتمسكوا بالكتاب والسنة، ويستعينوا بالصبر والصلاة، ويتفكروا في الدنيا وزوالها وخستها، والآخرة وإقبالها ودوامها.

وهؤلاء لا بد أن يتدعوا في الدين مع الفجور في العمل، فيجتمع لهم الأمران، فإن اتبع الهوى يعمي عين القلب فلا يميز بين السنة والبدعة، أو ينكسه فيرى البدعة سنة والسنة بدعة، فهذه آفة العلماء إذا آثروا الدنيا واتبعوا الرياسات والشهوات»^(١).

«وبالجملة فكل من أبغض شيئاً من الكتاب والسنة ففيه من عداوة النبي ﷺ بحسب ذلك، وكذلك من أحب ذلك ففيه من الولاية بحسب ذلك»^(٢).

* * *

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص ١٠١).

(٢) «درء تعارض العقل» (٥/٢١٩).

رَفَع
عبد الرحمن العجزي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة السابعة والعشرون

أنهم يحذرون من طريقة أهل البدع في رميهم العلماء السائرين على طريقة السلف الصالح بالغلظة والشدة بقصد التنفير منهم

قال تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لفترينا علينا غيراً وإذا لاتخذوك خليلاً﴾ [الإسراء: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خللكم يبعونكم الفتنه وفيكم سنعون لهم والله عليم بالظالمين﴾ [التوبة: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداداً أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً﴾ [الأحزاب: ١٩].

وقال تعالى: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾ [النساء: ٦٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما ذكرت من لين الكلام والمخاطبة بالتي هي أحسن فأنتم تعلمون أنني من أكثر الناس استعمالاً لهذا، لكن كل شيء في موضعه حسن، وحيث أمر الله ورسوله بالإغلاظ على المتكلم لبغيه

وعدوانه على الكتاب والسنة فنحن مأمورون بمقابلته ، لم نكن مأمورين أن نخاطبه بالتي هي أحسن ، ومن المعلوم أن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩] . فمن كان مؤمناً فإنه الأعلى بنص القرآن .

وقال : ﴿ وَاللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] . وقال : ﴿ إِنْ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ [٢٠] كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة: ٢٠ ، ٢١] . والله محقق وعده لمن هو كذلك ، كائناً من كان . ومما يجب أن يعلم أنه لا يسوغ في العقل ولا الدين طلب رضى المخلوقين ؛ لوجهين :

أحدهما : أن هذا غير ممكن ، قال الشافعي : «رضا الناس غاية لا تُدرَكُ ، فعليك بالأمر الذي يصلحك ؛ فالزمه ودع ما سواه ولا تُعَانِه»^(١) . والثاني : أننا مأمورون بأن نتحرى رضا الله ورسوله ، ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ ﴾ [التوبة: ٦٢] .

وعلينا أن نخاف الله فلا نخاف أحداً إلا الله ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] . وقال : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ ﴾ [المائدة: ٤٤] . وقال : ﴿ فَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ ﴾ [النحل: ٥١] . ﴿ وَإِنِّي فَأَقْفُونَ ﴾ [البقرة: ٤١] .

فعلينا أن نخاف الله ونتقيه في الناس فلا نظلمهم بقلوبنا ولا جوارحنا ، ونؤدي إليهم حقوقهم بقلوبنا وجوارحنا ، ولا نخافهم في الله فترك ما أمر الله به ورسوله خيفة منهم ، ومن لزم هذه الطريقة كانت

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٢٣) .

العاقبة له، كما كتبت عائشة إلى معاوية رضي الله عنه : «أما بعد؛ فإنه من التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، وعاد حامدُه من الناس ذامًا، ومن التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس»^(١). فالمؤمن لا تكون فكرته وقصده إلا رضى ربه واجتناب سخطه، والعاقبة له، ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٢).

وقال: «وهكذا الرد على أهل البدع إن لم يُقصد فيه بيان الحق وهدى الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم؛ لم يكن عمله صالحًا، وإذا غلظ في ذم بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرُها العباد، كما في نصوص الوعيد وغيرها، وقد يُهجر الرجل؛ عقوبةً وتعزيرًا، والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله؛ للرحمة والإحسان، لا للتشفي والانتقام، كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه الثلاثة الذي خُلفوا، لما جاء المتخلفون عن الغزاة يعتذرون ويحلفون وكانوا يكذبون، وهؤلاء الثلاثة صدقوا وعوقبوا بالهجر، ثم تاب الله عليهم ببركة الصدق»^(٣).

وقال: «إذا رأيت إمامًا قد غلظ على قائلٍ مقالته أو كفره فيها فلا يعتبر هذا حكمًا عامًا في كل من قالها، إلا إذا حصل فيه الشرط الذي يستحق به التغليظ عليه والتكفير له؛ فإن من جحد شيئًا من الشرائع الظاهرة وكان حديث العهد بالإسلام، أو ناشئًا ببلدٍ جهلٍ، لا يكفر حتى

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧/٥) (٢٥٨٤٦)، (١٩٨/٦) (٣٠٦٣٧)،

وعبد الرزاق في «مصنفه» (٤٥١/١١) (٢٠٩٧٨) كلاهما بلفظه، والترمذي (٢٤١٤)،

وانظر «الصحيحة» (٢٣١١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٣٣/٣).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٢٣٩/٥).

تبلغه الحُجَّةُ النبويَّةُ، وكذلك العكس: إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمام قديم فاغتفرت لعدم بلوغ الحجة له، فلا يغتفر لمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول، فهذا يبدع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك، ولا تُبدع عائشة رضي الله عنها ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم؛ فهذا أصل عظيم فتدبره فإنه نافع»^(١).

* * *

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٦/٦١).

القاعدة الثامنة والعشرون

أنهم لا يوالون ويعادون في غير مرضاة الله

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (٧٣) [الأنفال: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) [التوبة: ٧١].

وقال عليه السلام: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدا لا يحب إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار». أخرجاه^(١).
وقال عليه السلام: «إن أوثق عرى الإسلام: أن تحب في الله وتبغض في الله» رواه أحمد وغيره، وهو حديث حسن^(٢).

قال شيخ الإسلام: «وذلك يجري [أي من يوالي ويعادي من أجل هواه] فيمن يحب صاحب بدعة لكونه له داعية إلى تلك البدعة يحوجه إلى أن ينصر الباطل الذي يعلم أنه باطل وإلا عاداه، ولهذا صار علماء

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٦٧/٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٢٨٦/٤)، وانظر «الصححة» (٩٩٨).

الكفار وأهل البدع - مع علمهم بأنهم على الباطل - ينصرون ذلك الباطل لأجل الأتباع والمحبين، ويعادون أهل الحق ويهجنون^(١) طريقهم، فمن أحب غير الله ووالى غيره كره محبَّ الله ووليَّه، ومن أحب أحدًا لغير الله كان ضررُ أصدقائه عليه أعظمَ من ضرر أعدائه، فإن أعداءه غايتهم أن يحولوا بينه وبين هذا المحبوب الدنيوي، والحيلولة بينه وبينه رحمة في حقه، وأصدقائه يساعدونه على نفي تلك الرحمة وذهابها عنه، فأئى صداقة هذه، ويحبون بقاء ذلك المحبوب ليستعملوه في أغراضهم وفيما يحبونه، وكلاهما ضرر عليه؟! قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

قال الفضيل بن عياض، عن ليث، عن مجاهد: «هي المودات التي كانت لغير الله، والوصلات التي كانت بينهم في الدنيا».

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَّا كَرِهْنَا فَنَتَّبِعَهُم مِّمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٧].
كذلك يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ [البقرة: ١٦٧].
فالأعمال التي أراهم الله حسراتٍ عليهم هي الأعمال التي يفعلها بعضهم مع بعضٍ في الدنيا كانت لغير الله، ومنها الموالاة والصحبة والمحبة لغير الله، فالخيرُ كُلُّه في أن يُعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٢).

«ولهذا تجد قوماً كثيرين يحبون قوماً ويغضون قوماً لأجل أهواءٍ لا يعرفون معناها ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها، أو يعادون، من غير

(١) هَجَنَ الْأَمْرَ: قَبَّحَهُ وَعَابَهُ. المعجم الوسيط (ه ج ن).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/٦٠٦ - وما بعدها).

أن تكون منقولة نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ولا يعرفون لازمها ومقتضاها.

وليس لأحد أن يُنصَبَ للأمة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي ﷺ، ولا يُنصَبَ لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله، وما اجتمعت عليه الأمة، بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة؛ يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون، والخوارج إنما تأولوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه وجعلوا من خالف ذلك كافراً؛ لاعتقادهم أنه خالف القرآن، فمن ابتدع أقوالاً ليس لها أصل في القرآن وجعل من خالفها كافراً كان قوله شراً من قول الخوارج»^(١).

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦٤/٢٠).

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة التاسعة والعشرون

أنهم يحذرون من جعل الدين
وسيلة للحصول على الدنيا

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿١٨﴾ [الإسراء: ١٨].

وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى حَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ [الأعراف: ١٦٩]. وقال: ﴿فَإِذَا فَضَيْتُمْ نَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَانِسَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ ﴿٢٠٠﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وقال السَّيِّدُ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ وَعَبْدُ الْحَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رُضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَّ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ». أخرجه البخاري^(١).

«صاحب البدعة يبقى صاحب هوى يعمل لهواه لا ديانة، ويصدر

(١) برقم (٢٧٣٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

عن الحق الذي يخالفه هواه، فهذا يعاقبه الله على هواه، ومثل هذا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة، ومن فسق من السلف الخوارج ونحوهم، كما روي عن سعد بن أبي وقاص أنه تأول فيهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧]. فقد يكون هذا قصده، لاسيما إذا تفرق الناس فكان ممن يطلب الرياسة له ولأصحابه، وإذا كان المسلم الذي يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء، وذلك ليس في سبيل الله، فكيف بأهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون عليها، فإنهم يفعلون ذلك شجاعة وحمية، وربما يعاقبون لما اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله لا لمجرد الخطأ الذي اجتهدوا فيه»^(١).

وقال: «وكثيراً ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له، كما قال شداد بن أوس: «يا بقايا، العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية»^(٢). قيل لأبي داود السجستاني: وما الشهوة الخفية؟ قال: «حب الرئاسة»^(٣)، وعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»^(٤).

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥/٢٥١).

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦٥٥٩، ٦٥٦٠).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/٥٨).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٣/٤٥٦، ٤٦٠)، والترمذي (٢٣٧٦)، وانظر «صحيح الترغيب

والترهيب» (١٧١٠).

فبيّن أن الحرص على المال والشرف في فساد الدين لا ينقّص عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم، وذلك بيّن؛ فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص، وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شيء أحب إليه من ذلك حتى يقدمه عليه، وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] اهـ^(١).

«و غاية مرید الرياسة أن يكون كفرعون، وجامع المال أن يكون كقارون، وقد بين الله تعالى في كتابه حال فرعون وقارون، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾﴾ [غافر: ٢١]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

فإن الناس أربعة أقسام:

القسم الأول: يريدون العلو على الناس والفساد في الأرض، وهو معصية الله، وهؤلاء الملوك والرؤساء المفسدون كفرعون وحزبه، وهؤلاء هم شرار الخلق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُمُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

وروى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/٢١٥).

النارَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ». فقال رجل: يا رسول الله؛ إني أحبُّ أن يكون ثوبي حسناً ونعلي حسناً، أفمن الكبر ذاك؟ قال: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»^(١). فَبَطْرُ الْحَقِّ: دفعه وجحدُه. وَغَمَطُ النَّاسِ: احتقارُهم وازدراؤُهم، وهذا حال من يريد العلو والفساد.

والقسم الثاني: الذين يريدون الفساد بلا علو؛ كالسراق والمجرمين من سفلة الناس.

والقسم الثالث: يريدون العلو بلا فساد، كالذين عندهم دين يريدون أن يعلوا به على غيرهم من الناس.

وأما القسم الرابع: فهم أهل الجنة الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، مع أنهم قد يكونون أعلى من غيرهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥] وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. فكم ممن يريد العلو ولا يزيده ذلك إلا سفولاً، وكم ممن جعل من الأعلىين وهو لا يريد العلو ولا الفساد»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]. فهذا مثلُ عالمِ السوء الذي يعمل بخلاف علمه.

(١) أخرجه مسلم (١٤٧/٩١) بنحوه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٩٣/٢٨).

«وتأمل ما تضمنته هذه الآية من ذمه، وذلك من وجوه: أحدها: أنه ضلَّ بعد العلم، واختار الكفر على الإيمان، عمدًا لا جهلاً.

وثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبدًا؛ فإنه انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحية من قشرها، ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها.

وثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾. ولم يقل: (تبعه). فإن في معنى (أتبعه) أدركه ولحقه، وهو أبلغ من (تبعه) لفظًا ومعنى.

ورابعها: أنه غوى بعد الرُّشد، والغِي: الضلال في العلم والقصد، وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقتَرنا فالفرق ما ذكر. وخامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم، فكان سبب هلاكه؛ لأنه لم يرفعه به فصار وبالأعلى عليه، فلو لم يكن عالمًا كان خيرًا له وأخف لعذابه.

وسادسها: أنه سبحانه أخبر عن خِسة همَّته، وأنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

وسابعها: أن اختياره للأدنى لم يكن عن خاطر وحديث نفس، ولكنه كان عن إخلاذٍ إلى الأرض وميل بكليته إلى ما هناك، وأصل الإخلاذ: اللزوم على الدوام، وعبر عن ميله إلى الدنيا بإخلاذه إلى الأرض؛ لأن الدنيا هي الأرض وما فيها، وما يستخرج منها من الزينة والمتاع. وثامنها: أنه رغب عن هداه واتبع هواه، فجعل هواه إمامًا له يقتدي

به ويتبعه .

وتاسعها: أنه شَبَّهه بالكلب الذي هو أخصّ الحيوانات هِمَّةً، وأسقطها نفساً وأبخلها وأشدّها كَلْبًا^(١)، ولهذا سُمِّيَ كَلْبًا. وعاشرها: أنه شَبَّه لَهْثَهُ على الدنيا، وعدم صبره عنها، وجزعه لفقدها وحرصه على تحصيلها - بلهث الكلب في حالتي تركه والحمل عليه بالطرد، وهكذا هذا: إن تُرِكَ فهو لهثان على الدنيا، وإن وُعِظَ وَزُجِرَ فهو كذلك، فاللهث لا يفارقه في كل حال كلهث الكلب. قال ابن قتيبة: كل شيء يلهث فإنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب فإنه يلهث في حال الكَلَال وحال الراحة، وحال الري وحال العطش، فضرَبَه الله مثلاً لهذا الكافر، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن تركته فهو ضال؛ كالكلب إن طردته لَهَثَ، وإن تركته على حاله لَهَثَ، وهذا التمثيل لم يقع بكل كلب، وإنما وقع بالكلب اللاهث، وذلك أخص ما يكون وأشنعهُ^(٢).

* * *

(١) يعني: حرصاً. وينظر اللسان (ك ل ب).

(٢) «الفوائد»، لابن القيم (ص ١٠١ - وما بعدها).

القاعدة الثلاثون

يعتقدون وجوب لزوم المنهاج
النبوي في الدعوة إلى الله

قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣]. وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [١٤]. [محمد: ١٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٠٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبا: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِشْرًا إِن غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَن أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي إِنِ اتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِن عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَّوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِ اتَّبَعْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

سُئِلَ شيخُ الإسلامِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ الحلِيمِ بنِ تيميةِ الحراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن جماعة يجتمعون على قصدِ الكبائرِ من القتلِ وقطعِ الطريقِ والسُرقةِ وشربِ الخمرِ وغيرِ ذلك، ثم إن شيخًا من المشائخِ المعروفين بالخيرِ واتباعِ السنةِ قصدَ منعِ المذكورينِ من ذلك، فلم يمكنه إلا أن يقيمَ لهم سماعًا يجتمعون فيه بهذه النيةِ، وهو بدفٌ بلا صلاصلِ، وغناء المغني بشعرِ مباحٍ بغيرِ شَبَابَةٍ^(١)، فلما فعلَ هذا تابَ منهم جماعةٌ وأصبحَ من لا يصلي ويُسرق ولا يزكي، يتورعُ عن الشبهاتِ، ويؤدي المفروضاتِ، ويجتنبُ المحرماتِ، فهل يباحُ فعلُ هذا السماعِ لهذا الشيخِ على هذا الوجهِ؛ لما يترتبُ عليه من المصالحِ، مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا؟

فأجاب: «الحمدُ لله رب العالمين، أصلُ جوابِ هذه المسألةِ وما أشبهها:

- ١- أن يعلمَ أن اللهَ بعثَ محمدًا ﷺ بالهدى ودينِ الحقِ ليظهره على الدينِ كله وكفى بالله شهيدًا، وأنه أكملَ له ولأمته الدينَ، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].
- ٢- وأنه بَشَّرَ بالسعادةِ لمن أطاعه، والشقاوةِ لمن عصاه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].
- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

(١) الشَّبَابَةُ: نوعٌ من المزمارة. وينظر «فيض القدير» (٦/٤٣٣).

٣- وأمر الخلق أن يرُدُّوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنَّ كُنْتُمْ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

٤- وأخبر أنه يدعو إلى الله وإلى صراطه المستقيم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي﴾ [يوسف: ١٠٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

٥- وأخبر أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث، كما قال تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْتُمَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوٰةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧]، وقد أمر الله الرسول بكل معروف ونهى عن كل

منكر، وأحل كل طيب وحرم كل خبيث، وثبت عنه ﷺ في «الصحیح» أنه قال: «ما بعث الله نبياً إلا كان حقاً عليه أن يدل أُمَّته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم»^(١)، وثبت عن العزباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً وجلت منها القلوب، ودزفت منها

(١) أخرجه مسلم (٤٦/١٨٤٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

العيونُ. قال: فقلنا: يا رسول الله، كأن هذه موعظةٌ مودِّعٌ، فماذا تعهد إلينا؟

فقال: «أوصيكم بالسمعِ والطاعةِ، فإنه من يَعِشَ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بستتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهتدين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإن كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ»^(١).

وثبت عنه أنه قال: «ما تركتُ من شيءٍ يُبعدكم عن النارِ إلا وقد حدثتكم به»^(٢).

وقال: «تركْتُكم على البيضاءِ ليلها كنهارها لا يزيغُ عنها بعدى إلا هالكٌ»^(٣).

وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنة كثيرة، وترجم عليه أهل العلم في الكتب كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، كما ترجم عليه البخاري والبخاري وغيرهما، فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين، وكان السلف كمالك وغيره يقولون: السنة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. وقال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة.

إذا عُرِفَ هذا فمعلوم أنما يهدي الله به الضالين، ويُرشدُ به الغاوين، ويتوبُّ به على العاصين - لا بد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٥، ٢٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٩/٧) (٣٤٣٣٢).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٤/١٢٦)، وابن ماجه (٤٣)، وانظر «الصحيححة» (٩٣٧).

الكتاب والسنة، وإلا فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول لا يكفي في ذلك لكان دين الرسول ناقصاً محتاجاً تامة!

وينبغي أن يعلم أن الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب، والأعمال الفاسدة نهى الله عنها، والعمل إذا اشتمل على مصلحة ومفسدة فإن الشارع حكيم؛ فإن غلبت مصلحته على مفسدته شرعه، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لم يشرعه، بل نهى عنه، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. ولهذا حرّمهما الله تعالى بعد ذلك، وهكذا ما يراه الناس من الأعمال مقرباً إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله؛ فإنه لا بد أن يكون ضرره أعظم من نفعه، وإلا فلو كان نفعه أعظم غالباً على ضرره لم يهمله الشارع، فإنه حكيم لا يهمل مصالح الدين، ولا يفوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين.

إذا تبين هذا؛ فنقول للسائل: إن الشيخ المذكور قصد أن يتوب المجتمعين على الكبائر، فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي، يدل أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة، أو عاجز عنها، فإن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان، بالطرق الشرعية التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية، فلا يجوز أن يقال: إنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ﷺ ما يتوب به العصاة.

فإنه قد عَلِمَ بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يُحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية التي ليس فيها ما ذكر من الاجتماع البدعي؛ بل السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان - وهم خير أولياء الله المتقين من هذه الأمة - تابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية، وأمصار المسلمين وقُرَاهم قديمًا وحديثًا مملوءة ممن تاب إلى الله وأنقاه، وفعل ما يحبه الله ويرضاه، بالطرق الشرعية، لا بهذه الطرق البدعية.

فلا يمكن أن يقال: إن العصاة لا تُمكنُ توبتهم إلا بهذه الطرق البدعية؛ بل قد يقال: إن في الشيوخ مَنْ يكون جاهلاً بالطرق الشرعية عاجزاً عنها، ليس عنده علم بالكتاب والسنة وما يخاطب به الناس ويسمعهم إياه، مما يتوب الله عليهم، فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية، إما مع حُسنِ القصد إن كان له دين، وإما أن يكون غرضه التروُّسَ عليهم وأخذ أموالهم بالباطل، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَجْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

فلا يعدلُ أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلا لجهلٍ، أو عجزٍ، أو غرضٍ فاسدٍ، فالسؤال عن مثل هذا أن يقال: هل ما يفعله هؤلاء طريقٌ وقربةٌ وطاعةٌ لله تعالى يحبُّها الله ورسولُه، أم لا؟ وهل يُثابون على ذلك، أم لا؟ وإذا لم يكن هذا قربةً وطاعةً وعبادةً لله، ففعلوه على أنه قربة وطاعة وعبادة وطريق إلى الله تعالى؛ هل يحلُّ لهم هذا الاعتقاد وهذا العمل على هذا الوجه؟ وإذا كان السؤال على هذا الوجه لم يكن

للعالم المتبع للرسول ﷺ أن يقول: إن هذا من القرب والطاعات، وأنه من أنواع العبادات، وأنه من سبيل الله تعالى وطريقه الذي يدعو به هؤلاء إليه، ولا أنه مما أمر الله تعالى به عباده، لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب، وما لم يكن من الواجبات والمستحبات فليس هو محمودًا ولا حسنة ولا طاعة ولا عبادة باتفاق المسلمين»^(١).

«وأما الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب فهي أربعة أنواع:

الأول: أن يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين، وكذا ما ورد من الأخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين.

الثاني: حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم، فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق؛ مثل أحوال آدم صلى الله عليه وسلم في عصيانه وما لقيه من الإخراج من الجنة ونحوها، فإنه لم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسمار، بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار؟! فهذا أيضًا مما ينبغي أن يكثر جنسه على أسماع المصرين فإنه نافع في تحريك دواعي التوبة.

الثالث: أن يقرر عندهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جنائياته، فينبغي

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/٦٣٤).

أن يُخَوِّفَ به، وفي الخبر: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»^(١) وقال بعض السلف: ليست اللعنة سوادًا في الوجه ونقصانًا في المال، إنما اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله، أو شرٌّ منه وهو كما قال؛ لأن اللعنة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يُوفَّق للخير ويُسرَّ له الشر فقد أُبعد، والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان؛ وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف؛ فيحرم العبد به عن رزقه النافع، من مجالسة العلماء المنكرين للذنوب، ومن مجالسة الصالحين، بل يمقته الله تعالى ليمقته الصالحون.

وبالجملة فالأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا، فمن ابتلي بشيء منها كان عقوبة له، وإن أصابته نعمة كانت استدراجًا له، ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه.

وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاءً على طاعته ويوفق لشكرها، وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته.

الرابع: ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة وغير ذلك»^(٢).

* * *

(١) أخرجه أحمد في «المسند» ٢٧٧/٥، والنسائي في الرقائق، وابن ماجه ١٣٣٤/٢ وابن حبان في «صحيحه» ٣/ ١٥٣ من حديث ثوبان رضي الله عنه وهو حديث حسن.

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» للقاسمي (١/٤١٢).

القاعدة الحادية والثلاثون

أنهم يعتقدون أن التعامل مع الحوادث
 المتغيرة يجب أن يكون مبنياً على فهم
 أدلة الشريعة ومعرفة سنن الله في خلقه

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لَمْ يَكْ مُعْتَرِياً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعْذِرُوا مَا بَأْسُ بِهِنَّ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُوا لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُّوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾ [هود: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣]. وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام: ١٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [المائدة: ١٥٥].

قال شيخ الإسلام: «قوله تعالى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ لا يقتضي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا نهياً ولا إذناً، كما في الحديث المشهور في السنن، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها، وإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»^(١). وكذلك في حديث أبي ثعلبة الخشني، مرفوعاً، في تأويلها: «إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبَعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخونصة نفسك»^(٢). وهذا يفسره حديث أبي سعيد في «مسلم»: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أضعفُ الإيمان»^(٣).

(١) تقدم تخريجه (ص ١٣٧).

(٢) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٣٤١، ٤٣٤٣)، والترمذي (٣٠٥٨). وانظر: الضعيفة (١٠٢٥).

(٣) تقدم تخريجه (ص ١٣٧).

فإذا قوي أهل الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاء إلى البر؛ بل يؤذون
الناهي لغلبة الشحّ والهوى والعُجب؛ سقط التغيير باللسان في هذه
الحال وبقي بالقلب.

ولكن في الآية فوائد عظيمة:

أحدها: ألا يخاف المؤمن من الكفار والمنافقين، فإنهم لن يضرّوه
إذا كان مهتدياً.

الثاني: ألا يحزن عليهم ولا يجزع عليهم، فإن معاصيهم لا تضرّه إذا
اهتدى، والحزن على ما لا يضر عبث.

وهذان المعنيان المذكوران في قوله: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا
تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبَقِ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧].

الثالث: أن لا يركن إليهم ولا يمد عينه إلى ما أوتوه من السلطان
والمال والشهوات، كقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨]. فنهاه عن الحزن عليهم والرغبة فيما عندهم
في آية، ونهاه عن الحزن عليهم والرغبة منهم في آية، فإن الإنسان قد
يتألم عليهم ومنهم؛ إما راغباً وإما راهباً.

الرابع: ألا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في
بُغْضِهِمْ أو ذمّهم أو نهيهم أو هجرهم أو عقوبتهم؛ بل يقال لمن اعتدى
عليهم: عليك نفسك لا يضرّك من ضل إذا اهتديت. كما قال تعالى:
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾ الآية [المائدة: ٨].

وقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا إِنَّا بِاللَّهِ لَا
يُحِبُّ الْمُقْتَلِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]. وقال: ﴿إِنِ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَىٰ

الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

فإن كثيراً من الأمرين الناهين قد يتعدى حدود الله، إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء في ذلك الإنكار على الكفار والمنافقين، والفاسقين والعاصين.

الخامس: أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع: من العلم، والرفق والصبر، وحُسن القصد، وسلوك السبيل القصد، فإن ذلك داخل في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾. وفي قوله: ﴿إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾. فهذه خمسة أوجه تستفاد من الآية لمن هو مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفيها المعنى الآخر، وهو إقبال المرء على مصلحة نفسه علماً وعملاً، وإعراضه عما لا يعنيه، كما قال صاحب الشريعة: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١). ولا سيما كثرة الفضول فيما ليس بالمرء إليه حاجة من أمر دين غيره ودنياه، لا سيما إن كان التكلم لحسد أو رئاسة، وكذلك العمل، فصاحبه إما معتد ظالم وإما سفيه عابث، وما أكثر ما يُصورُ الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهد في سبيل الله، ويكون من باب الظلم والعدوان، فتأمل الآية في هذه الأمور من أنفع الأشياء للمرء.

وأنت إذا تأملت ما يقع من الاختلاف بين هذه الأمة - علمائها وعبادها وأمرائها ورؤسائها - وجدت أكثره من هذا الضرب الذي هو البغي بتأويل أو بغير تأويل، كما بَعَتِ الجهمية على المستنة^(٢) في محنة

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) وانظر «صحيح ابن ماجه» (٣٢١١).

(٢) أي: أهل السنة.

الصفات والقرآن، محنة أحمد وغيره، وكما بغتِ أهل البدع على المستنثة مرات متعددة، وكما بغتِ النَّاصبة على عليٍّ وأهل بيته، وكما قد تبغي المشبهة على المنزهة، وكما قد يبغى بعضُ المستنثة، إما على بعضهم، وإما على نوع من المبتدعة، بزيادةٍ على ما أمر الله به، وهو الإسرافُ المذكور في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧]. وبإزاء هذا العدوان تقصير آخريين فيما أمروا به من الحق، أو فيما أمروا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الأمور كلها، فما أحسنَ ما قال بعضُ السلف: ما أمر الله بأمرٍ إلا اعترض الشيطانُ فيه بأمرين، لا يبالي بأيهما ظَفَرَ: غلُوٌّ، أو تقصير.

فالمُعِينُ على الإثم والعدوان بإزائه تاركُ الإعانة على البر والتقوى، وفاعلُ المأمور به وزيادةٍ منهِّي عنها بإزائه تاركُ المنهي عنه وبعضُ المأمور به، واللهُ يهدينا الصراطَ المستقيمَ، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١).

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (٤٧٩/١٤).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الثانية والثلاثون

وجوب تحذير الأمة من أئمة البدع

قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٨١)

[الأعراف: ١٨١].

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَهْتَدُوا رَبَّنَا بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١٢٣) [المائدة: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ (٦٢) [هود: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩) [المائدة: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ الْأَجْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبِطْلِ وَيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤) [التوبة: ٣٤].

قال شيخ الإسلام: «ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: «إذا صام وصلّى واعتكف، فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل

البدع فإنما هو للمسلمين؛ هذا أفضل». فبيّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهجه وشرعته ودفعُ بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجبٌ على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فسادُه أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً.

وأعداء الدين نوعان: الكفار، والمنافقون؛ وقد أمر الله نبيه ﷺ بجهاد الطائفتين، في قوله: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩]. في آيتين من القرآن، فإذا كان أقوام منافقون يتدعون بدعًا تخالف الكتاب ويلبسونها على الناس، ولم تُبيّن للناس، فسَدَ أمرُ الكتاب، وبُدِّل الدين، كما فسَدَ دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم يُنكز على أهله، وإذا كان أقوام ليسوا منافقين لكنهم سمّاعون للمنافقين قد التبس عليهم أمرهم، حتى ظنوا قولهم حقًا، وهو مخالف للكتاب، وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين، كما قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكَ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

فلا بد أيضًا من بيان حال هؤلاء؛ بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم، فإن فيهم إيمانًا يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين، فلا بد من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضى ذلك ذكْرهم وتعيينهم؛ بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هُدى، وأنها خير، وأنها دين، ولم تكن كذلك -

لوجب بيان حالها»^(١).

«وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ ، وقد سئل عن رجل استمر على ترك الوتر: «هذا رجل سوء». إياك أن تتبع شيخاً يقتدي بنفسه، ولا يكون له إمام يعزي إليه ما يدعوك إليه، ويتمصل ذلك بشيخ إلى شيخ إلى الرسول ﷺ.

اللَّهُ اللهُ! الثقةُ بالأشخاص ضلالٌ، والركونُ إلى الآراء ابتداءً، اللينُ والانطباع في الطريقة مع السنة أحبُّ إليَّ من الخشونة والانقباض مع البدعة، لا تتقربُ إلى الله تعالى بالامتناع مما لم يمنع منه، كما لا تتقربُ إليه بعملٍ ما لم يأذن فيه»^(٢).

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٣١/٢٨).

(٢) «الصواعق المرسله» (١٣٤٨/٤).

رَفَعُ
عبد الرحمن العجمي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الثالثة والثلاثون

أن أهل البدع أقسام

القسم الأول - كما قال ابن القيم - : «الجاهلُ المُقلِّدُ الذي لا بصيرةَ له، فهذا لا يُكْفَرُ ولا يُفْسَقُ ولا تُرَدُّ شهادتهُ، إذا لم يكن قادراً على تَعَلُّمِ الهدى، وحكمه حكمُ المُستضعفين من الرجالِ والنساءِ والولدانِ الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً، فأولئك عسى اللّهُ أن يعفو عنهم وكان اللّهُ عفواً غفوراً.

القسم الثاني: المتمكّن من السؤالِ وطلبِ الهدايةِ ومعرفةِ الحقِّ، ولكن يترك ذلك اشتغالاً بديناه ورياسته ولذته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفرطٌ مستحقٌّ للوعيدِ، آثمٌ بتركِ ما وجبَ عليه من تقوى اللّهِ بحسبِ استطاعته، فهذا حكمه حكمُ أمثاله من تاركِي بعضِ الواجباتِ؛ فإن غلب ما فيه من البدعةِ والهوى على ما فيه من السنّةِ والهدى ردت شهادتهُ، وإن غلب ما فيه من السنّةِ والهدى قُبِلَتْ شهادتهُ.

القسم الثالث: أن يسألَ ويطلبَ ويتبينَ له الهدى ويتركه؛ تقليداً وتعصّباً، أو بغضاً، أو مُعادةً لأصحابه؛ فهذا أقلُّ درجاته أن يكون فاسقاً، وتكفيره محلُّ اجتهادٍ وتفصيلٍ، فإن كان معلناً داعيةً رُدَّتْ شهادتهُ وفتاويه وأحكامه، مع القدرةِ على ذلك، ولم تُقبَلْ له شهادةٌ ولا

فتوى ولا حكم إلا عند الضرورة، كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم، وكون
القضاة والمفتين والشهود منهم، ففي ردّ شهادتهم وأحكامهم إذ ذلك
فساد كثير، ولا يمكن ذلك، فتقبل للضرورة.

وقد نصّ مالك رحمه الله على أن شهادة أهل البدع كالقدرية ونحوهم لا
تقبل وإن صلّوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا»^(١).

«وأما أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة فهم إما في الجهل البسيط،
وإما في الجهل المركب، كالكفار، فالأولون: ﴿كَظَلَمْتِ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ
يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتِ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ
لَمْ يَكَدْ يَرِنُّهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

والآخرون: ﴿كَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ
شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَنَّهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

فأهل الجهل والكفر البسيط لا يعرفون الحق ولا ينصرونه، وأهل
الجهل والكفر المركب يعتقدون أنهم عرفوا وعلموا، والذي معهم ليس
بعلم بل جهل»^(٢).

فائدة عزيزة:

كثير ممن يضعفون حديث الافتراق يرددون أنه يقتضي أن معظم
الامة متوعدون بالنار، وأن هذا خلاف ما جاء في الأحاديث الأخرى من
أن هذه الامة أكثر أهل الجنة، وأن السواد الأعظم هم الناجون، كما في
بعض الطرق.

(١) «الطرق الحكمية» (١/٢٥٥).

(٢) «درء التعارض» (ج٧/ص٢٨٥).

فأقول وبالله التوفيق: لم يقل أحد من علماء السنة المحققين أن العامة يدخلون في حديث الافتراق مطلقًا، بل كلهم يقررون أنه فيمن انحرف من أهل العلم من المسلمين، كما يقررون أن الطائفة المنصورة والفرقة الناجية هم أهل العلم، كما نقل عن أحمد والبخاري وغيرهما، وأما العامة فإنهم يفصلون فيهم، كما تقدم في كلام ابن القيم رحمته الله، فالقسم الأول هو الغالب على عوام المسلمين اليوم، وبهذا يتم معرفة تطبيق الحديث على واقع المسلمين اليوم، وأنه فيمن خالف السلف رضوان الله عليهم في بعض، أو جميع، ما اتفقوا عليه في العقيدة والمنهاج. وعليه، فإن معظم الدعوات المعاصرة التي لا تنتمي إلى السلف الصالح مسمّى ولا عقيدة ومنهاجًا فهي من الفرق الهالكة المتوعدة بالنار، والله أعلم^(١).



رَفَعُ
عبد الرَّحْمَنِ الرَّحْمَنِيُّ
أُسْكُنْهُ الْبَيْتَ الْكِبْرِيَّ
www.moswarat.com

القاعدة الرابعة والثلاثون

أن ضرر أهل البدع على المسلمين
قد يكون أعظم من ضرر الكفار

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعِجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

وقال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لِحَالِكُمُ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

قال شيخ الإسلام: «ودفع بغني هؤلاء وعدوانهم - يعني: أهل البدع - على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فسادُه أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء»^(١).

وقال: «هذا مع أمر رسول الله ﷺ بقتالهم في الأحاديث الصحيحة، وما روي من أنهم: «شرُّ قتلى تحت أديم السماء، خيرُ قتيلٍ من قتلوه» في الحديث الذي رواه أبو أمامة، رواه الترمذي وغيره^(٢)، أي أنهم شرُّ على

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٣٢/٢٨).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٣٠٠٠)، وابن ماجه (١٧٦). وانظر: صحيح ابن ماجه (١٤٦)،

وانظر ما تقدم في (ص ٣٢، ١٢٦).

المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شرًّا على المسلمين منهم، لا اليهود ولا النصارى، فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلِّين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفِّرين لهم، وكانوا متديِّنين بذلك؛ لعِظَم جهلهم وبدعتهم المضلة!»^(١).

وقال: «ولهذا كثيرًا ما يكون أهل البدع مع القدرة يُشبهون الكفار في استحلال قتل المؤمنين وتكفيرهم، كما يفعل الخوارج والمعتزلة والجهمية وفروعهم، لكن فيهم من يقاتل بطائفة ممتعة كالخوارج والزيدية، ومنهم من يسعى في قتل المقدور عليه من مخالفه، إما بسلطانه، وإما بحيلته، ومع العجز يُشبهون المنافقين، يستعملون التقية والنفاق، كحال المنافقين، وذلك لأن البدع مشتقة من الكفر، فإن المشركين وأهل الكتاب هم مع القدرة يحاربون المؤمنين، ومع العجز ينافقونهم، والمؤمن مشروع له مع القدرة أن يقيم دين الله بحسب الإمكان، بالمحاربة وغيرها، ومع العجز يمسك عما عجز عنه من الانتصار، ويصبر على ما يصيبه من البلاء، من غير منافقة، بل يُشرع له من المداراة ومن التكلم بما يُكره عليه ما جعل الله له فرجًا ومخرجًا. ولهذا كان أهل السنة مع أهل البدعة بالعكس، إذا قدروا عليهم لا يعتدون عليهم بالتكفير والقتل وغير ذلك؛ بل يستعملون معهم العدل الذي أمر الله به ورسوله، كما فعل عمر بن عبد العزيز بالحرورية والقدرية، وإذا جاهدوهم فكما جاهد عليٌّ عليه السلام الحرورية بعد الإغذار وإقامة الحججة، وعامة ما كانوا يستعملون معهم الهجران والمنع من

(١) «منهاج السنة» (٥/٢٤٨).

الأمر التي تظهر بسببها بدعتهم، مثل ترك مخاطبتهم ومجالستهم، لأن هذا هو الطريق إلى خُمُودِ بدعتهم، وإذا عجزوا عنهم لم ينافقوهم؛ بل يصبرون على الحق الذي بعث الله به نبيّه، كما كان سلفُ المؤمنين يفعلون، وكما أمرهم الله في كتابه حيث أمرهم بالصبر على الحق، وأمرهم بأن لا يحملهم شأن قوم على أن لا يعدلوا»^(١).

* * *

(١) «الفتاوى الكبرى» (٢٠٩/٥).

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الخامسة والثلاثون

وجوب تحذير المسلمين من
الكتب المشتملة على البدع

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَسِنَّتَهُمْ بِالْكَذِبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْكُمُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٤١].

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن جندي له أقطاع ونسخ بيده «صحيح مسلم» و«البخاري»، والقرآن، وهو ناوي كتابة الحديث والقرآن العظيم، وإن سمع بورق أو أقلام اشترى بألف درهم، وقال: أنا إن شاء الله أكتب في جميع هذا الورق أحاديث الرسول ﷺ والقرآن. ويؤمل آمالاً بعيدة، فهل يَأْتُم أم لا؟ وأي التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة:

«الزمخشري»، أم «القرطبي»، أم «البغوي»، أو غير هؤلاء؟ وإذا نسخ الإنسان لنفسه أو للبيع يكون له أجر وثواب، مثل «إحياء علوم الدين» و«قوت القلوب» ومثل كتاب «المنطق»؛ أفتونا؟

الجواب: ليس عليه إثم فيما ينويه ويفعله من كتابة العلوم الشرعية، فإن كتابة القرآن والأحاديث الصحيحة والتفاسير الموجودة الثابتة من أعظم القربات والطاعات.

وأما التفاسيرُ التي في أيدي الناسِ فأصحُّها «تفسيرُ محمد بن جرير الطبري»، فإنه يذكر مقالاتِ السلفِ بالأسانيدِ الثابتة، وليس فيه بدعةٌ ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن سليمان والكَلْبِيِّ، والتفاسيرُ المأثورة بالأسانيدِ كثيرة: ك«تفسير عبد الرزاق»، و«عبد بن حميد»، و«وكيع»، و«ابن أبي شيبة»، و«أحمد بن حنبل»، و«إسحاق بن راهويه».

وأما التفاسيرُ الثلاثةُ المسؤول عنها فأسلمها من البدعة والأحاديث الضعيفة «البغوي»، لكنه مختصر من «تفسير الثعلبي»، وحذف منه الأحاديث الموضوعية والبدع التي فيه، وحذف أشياء غير ذلك، وأما الواحدي فإنه تلميذ الثعلبي وهو أخبر منه بالعربية، لكن الثعلبي فيه سلامة من البدع، وإن ذكرها تقليدًا لغيره، وتفاسير الواحدي: «البيسط»، و«الوسيط»، و«الوجيز»؛ فيها فوائد جلييلة، وفيها غثٌ كثير من المنقولات الباطلة وغيرها، وأما الزمخشري فتفسيره محشوٌ بالبدعة، وعلى طريقة المعتزلة: من إنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن، وأنكر أن الله يريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة.

وأصولهم خمسة، يسمونها: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لكن معنى (التوحيد) عندهم يتضمن نفي الصفات، ولهذا سَمَّى ابنُ التومرت أصحابَه (الموحدِين) وهذا إنما هو إلحادٌ في أسماء الله وآياته. ومعنى (العدل) عندهم يتضمن التكذيب بالقدر، وهو خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات والقدرة على شيء، ومنهم من ينكر قَدَمَ العلم والكتاب، لكن هذا قول أئمتهم، وهؤلاء على مذهب الزمخشري، فإن مذهبه مذهب المغيرة بن علي وأبي هاشم وأتباعهم، ومذهب أبي الحسين والمعتزلة الذين على طريقته نوعان: مشايخية، وخشبية.

وأما (المنزلة بين المنزلتين) فهي عندهم أن الفاسق لا يسمَّى مؤمنًا بوجه من الوجوه، كما لا يسمَّى كافرًا، فنزلوه بين منزلتين.

و(إنفاذ الوعيد) عندهم معناه: أن فساق الملة مُخَلَّدُونَ في النار، لا يخرجون منها بشفاعة ولا غير ذلك، كما تقوله الخوارج.

و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف.

وهذه الأصول حشا بها كتابه بعبارة لا يهتدي أكثر الناس إليها ولا لمقاصده فيها، مع ما فيه من الأحاديث الموضوععة، ومن قلة النقل عن الصحابة والتابعين.

و«تفسير القرطبي» خير منه بكثير، وأقرب إلى طريقة أهل الكتاب والسنة وأبعد عن البدع، وإن كان كل من كتب هذه الكتب لا بد أن تشتمل على ما ينقد، لكن يجب العدل بينهما وإعطاء كل ذي حق حقه.

و«تفسير ابن عطية» خير من «تفسير الزمخشري»، وأصح نقلًا وبحثًا، وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير؛ بل لعله أرجح هذه التفاسير، لكن «تفسير ابن جرير» أصح من هذه كلها،

وتمَّ تفاسير آخر كثيرة جدًا كـ«تفسير ابن الجوزي» و«الماوردي»^(١).
وقال: «وأما كتاب «قوت القلوب» وكتاب «الإحياء» تبَّع له فيما يذكره
من أعمال القلوب، مثل: الصبر، والشكر، والحب، والتوكل،
والتوحيد، ونحو ذلك، وأبو طالب أعلم بالحديث والأثر وكلام أهل
علوم القلوب من الصوفية وغيرهم من أبي حامد الغزالي، وكلامه أسدُّ
وأجودُ تحقيقًا وأبعد عن البدعة، مع أن في «قوت القلوب» أحاديثَ
ضعيفةً وموضوعةً وأشياءَ مردودةً كثيرةً، وأما ما في «الإحياء» من
(المهلكات) مثلُ الكلام على الكِبَرِ والعُجْبِ والرياء والحسد، ونحو
ذلك، فغالبُه منقول من كلام الحارث المحاسبي في «الرعاية»، ومنه ما
هو مقبول، ومنه ما هو مردود، ومنه ما هو متنازع فيه، و«الإحياء» فيه
فوائد كثيرة، لكن فيه موادٌ مذمومةٌ، فإن فيه موادٌ فاسدةٌ من كلام
الفلاسفة تتعلَّق بالتوحيد والنبوة والمَعَاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان
بمنزلة من أخذ عدوًّا للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين، وقد أنكر أئمة
الدين على أبي حامد هذا في كتبه، وقالوا: أمرضه «الشفاء» - يعني:
شفاء ابنِ سينا في الفلسفة - وفيه أحاديثُ وآثارٌ ضعيفة؛ بل موضوعة
كثيرة، وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم، وفيه مع ذلك من كلام
المشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق
للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق
للكتاب والسنة ما هو أكثر مما يُردُّ منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس
وتنازعوا فيه»^(٢).

(١) «مجموع الفتاوى» (٣٨٧/١٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٥٥٢/١٠).

وقال: «وأما كتب الحديث المعروفة مثل «البخاري» و«مسلم»، فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من «البخاري» و«مسلم» بعد القرآن، وبعدهما ما جمع بينهما مثل «الجمع بين الصحيحين» للحميدي، ولعبد الحق الإشبيلي، وبعد ذلك كتب السنن، ك«سنن أبي داود»، و«النسائي»، و«جامع الترمذي»، والمسانيد؛ ك«مسند الشافعي»، و«مسند الإمام أحمد»، و«موطأ مالك»؛ فيه الأحاديث والآثار وغير ذلك، وهو من أجل الكتب، حتى قال الشافعي: «ليس تحت أديم الأسماء بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك». يعني بذلك: ما صنف على طريقته. فإن المتقدمين كانوا يجمعون في الباب بين المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، ولم تكن وُضعت كتب الرأي التي تُسمى كتب الفقه، وبعد هذا جمع الحديث المُسند في جمع الصحيح للبخاري ومسلم.

والكتب التي تُحِبُّ ويؤجر الإنسان على كتابتها سواء كتبها لنفسه أو كتبها لبيعها؛ كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ الْجَنَّةِ: صَانِعَهُ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَالْمُمِدَّ بِهِ»^(١). فالكتابة كذلك لِيَتَنَفَعَ به أو لِيَتَنَفَعَ به غيره، كلاهما يثاب عليه»^(٢).

وقال: «وأما كتب المنطق؛ فتلك لا تشتمل على علم يؤمر به شرعاً، وإن كان قد أَدَّى اجتهادُ بعض الناس إلى أنه فرض على الكفاية، وقال بعض الناس: إن العلوم لا تقوم إلا به. كما ذكر ذلك أبو حامد،

(١) أخرجه أحمد (٤/١٤٦، ١٤٨، ١٥٤)، والنسائي (٦/٢٢٢)، وغيرهما، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وقد ضعفه الألباني بهذا اللفظ، وانظر «ضعيف الترغيب» (٨٢١). وأصله عند مسلم (١٩١٩) من حديث عقبة بن عامر أيضاً، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨/٧٤).

فهذا غلطٌ عظيمٌ عقلاً وشرعاً.

أما (عقلاً) فإن جميع عقلاء بني آدم من جميع أصناف المتكلمين في العلم حرروا علومهم بدون المنطق اليوناني.

وأما (شرعاً) فإنه من المعلوم بالاضطرار في دين الإسلام أن الله لم يوجب تعلم هذا المنطق اليوناني على أهل العلم والإيمان. وأما هو في نفسه فبعضه حقٌ وبعضه باطلٌ، والحق الذي فيه كثيرٌ منه، أو أكثره، لا يحتاج إليه، والقدر الذي يحتاج إليه منه فأكثر الفطر السليمة تستقلُّ به، والبليد لا ينتفع به، والذكي لا يحتاج إليه، ومضرته على من لم يكن خبيراً بعلوم الأنبياء أكثر من نفعه»^(١).

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٦٩/٩).

القاعدة السادسة والثلاثون

وجوب الاعتدال في الحكم على المخالفين

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا
قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ
قَوْمٍ عَلَٰٓيْكُمْ إِلَّا تَعَدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

قال شيخ الإسلام: «فإن السائرين على طريقة السلف يخطئون ولا
يكفرون إلا من قامت عليه حجة الرسالة، ولهذا قال الشافعي: لأن
أتكلم في علم يقال لي فيه: أخطأت. أحب إلي من أن أتكلم في علم
يقال لي فيه: كفرت».

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن مباح أهل العلم أنهم
يخطئون ولا يكفرون، وسبب ذلك:

أن أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كفراً، وقد يكون كفراً لأنه تبين له
أنه تكذيب للرسول وسب للخالق، والآخر لم يتبين له ذلك، فلا يلزم

إذا كان العالم بحاله يكفر إذا قاله أن يكفر من لم يعلم بحاله»^(١).
وقال: «وإذا عُرِفَ أصلُ البدع؛ فأصل قول الخوارج أنهم يكفرون بالذنب ويعتقدون ذنباً ما ليس بذنب، ويرَوْنَ اتِّباعَ الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب، وإن كانت متواترة، ويكفرون من خالفهم، ويستحلُّون منه - لارتداده عندهم - ما لا يستحلُّونه من الكافر الأصلي، كما قال النبي ﷺ فيهم: «يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان»^(٢).
ولهذا كفروا عثمان وعلياً وشيعتهما، وكفروا أهل صفين - الطائفتين - في نحو ذلك من المقالات الخبيثة، وأكثرهم يكفُرُ من خالف قولهم، ويسمُّون أنفسهم المؤمنين ومن خالفهم كفَّاراً^(٣)، ويجعلون مدائن الإسلام التي لا تظهر فيها أقوالهم دار رِدَّةٍ، أسوأ حالاً من مدائن المشركين والنصارى! ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين، وعلى معاداتهم ومحاربتهم، كما عُرِفَ من موالاتهم الكفار المشركين على جمهور المسلمين، ومن موالاتهم الإفرنج النصارى على جمهور المسلمين، ومن موالاتهم اليهود على جمهور المسلمين»^(٤).

«وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحقَّ ويرحمون الخلقَ، يتَّبِعُونَ الرسول ﷺ فلا يتدعون، ومن اجتهد فأخطأ خطأ يعذره فيه الرسول ﷺ عذروه، وإنما يذمُّون من ذمَّه الله ورسوله؛ وهو المفرط في

(١) انظر: «منهاج السنة» (٥/٢٥١).

(٢) تقدم تخريجه (ص ١١٣).

(٣) ولا يزال حالهم كذلك حتى يومنا هذا!

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/٣٥٦).

طلب الحق؛ لتركه الواجب، والمعتدي المتبع لهواه بلا علم؛ لفعله المحرّم، فيذمّون مَنْ ترك الواجب، أو فعل المحرم، ولا يعاقبونه إلا بعد إقامة الحجة عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. لا سيما في مسائل تنازع فيها العلماء وخفي العلم فيها على أكثر الناس»^(١).

«ولا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة، وإن كان ذلك في المسائل العلمية، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة، وإذا كان الله يغفر لمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل؛ مع كونه لم يطلب العلم، فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه - هو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤاخذ به بما أخطأ؛ تحقيقاً لقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]»^(٢).

«فالهجران قد يكون مقصوده ترك سيئة البدعة التي هي ظلم وذنوب وأثم وفساد، وقد يكون مقصوده فعل حسنة الجهاد والنهي عن المنكر وعقوبة الظالمين لينزجروا ويرتدعوا، وليقوى الإيمان والعمل الصالح عند أهله؛ فان عقوبة الظالم تمنع النفوس عن ظلمه وتحضها على فعل ضد ظلمه من الإيمان والسنة ونحو ذلك فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء احد بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأمورا بها كما ذكره أحمد عن أهل خراسان إذ ذاك أنهم لم يكونوا

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٢٣٨).

(٢) المصدر السابق (٢٠/١٦٥).

يقولون بالجهمية فإذا عجزوا عن أظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة، وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوى، وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم، فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرا من العكس، ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل، وكثير من أجوبة الإمام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل قد علم المسئول حاله أو خرج خطابا لمعين قد علم حاله فيكون بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول إنما يثبت حكمها في نظيرها، فإن أقواما جعلوا ذلك عاما فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به فلا يجب ولا يستحب، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات، وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجرُوا ما أمروا بهجره من السيئات البدعة، بل تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهى الكاره، أو وقعوا فيها، وقد يتركونها ترك المنتهى الكاره ولا ينهون عنها غيرهم، ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجابا أو استحبابا فهم بين فعل المنكر أو ترك النهي عنه وذلك فعل مانهوا عنه وترك ما أمروا به فهذا هذا ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه والله سبحانه أعلم»^(١).

(١) مجموع الفتاوى ج ٢٨/ص ٢١٢ .

القاعدة السابعة والثلاثون

أن المخالفين لطريقة السلف
واقعون بين الغلو والإرجاء

قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُنْقُضُونَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

قال شيخ الإسلام: «وصار كثير من أهل البدع مثل الخوارج والروافض والقدرية والجهمية والممثلة يعتقدون اعتقادًا، هو ضلال يرونه هو الحق، ويرون كفر من خالفهم في ذلك، فيصير فيهم شوب قوي من أهل الكتاب في كفرهم بالحق وظلمهم للخلق، ولعل أكثر هؤلاء المكفرين يُكفَّرُ بالمقالة التي لا تفهم حقيقتها ولا تُعرف حجتها، وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه، وما عرفوه منه

قد لا يبيّنونه للناس؛ بل يكتمونونه، ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة، ولا يذمّون أهل البدع ويعاقبونهم؛ بل لعلمهم يذمّون الكلام في السنة وأصول الدين ذمًا مطلقًا، لا يفرّقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وما يقوله أهل البدعة والفرقة، أو يقرّون الجميع على مذاهبهم المختلفة، كما يقرّ العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع؛ وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من المرجئة وبعض المتفكّهة والمتصوّفة والمتفلسفة، كما تغلب الأولى على كثير من أهل الأهواء والكلام، وكلا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة»^(١).

وقال: «ولهذا تجد كثيرًا من هؤلاء لما لم يتبيّن له الهدى في طريقه نكص على عقبيه، فاشتغل باتباع شهوات الغي في بطنه وفرجه، أو رياسته وماله، ونحو ذلك؛ لعدم العلم واليقين الذي يطمئن إليه قلبه وينشرح له صدره، وفي الحديث المأثور عن النبي ﷺ: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الفتن»^(٢).

وهؤلاء المعرضون عن الطريقة النبوية السلفية يجتمع فيهم هذا وهذا: اتباع شهوات الغي ومضلات الفتن، فيكون فيهم من الضلال والغى بقدر ما خرجوا عن الطريق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، ولهذا أمرنا الله أن نقول في كل صلاة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/٤٦٧).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/٩١، ٤٢٠، ٤٢٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤) من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ، وانظر «ظلال الجنة» (٧/١).

ضالون»^(١).

وكان السلفُ يقولون: «احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل؛ فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون». فكيف إذا اجتمع في الرجل الضلالُ والفجورُ؟!»^(٢).

وقال: «والبدعة ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات، كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء في المساجد، والذين يتعبدون بحلق اللحى وأكل الحشيشة، وأنواع ذلك من البدع التي يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة، واللّه المستعان»^(٣).

* * *

(١) تقدم تخريجه ص (٦٨).

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (١/١٦٥، ١٦٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٨/٣٤٦).

رَفَعُ
عبد الرحيم النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الثامنة والثلاثون

أن المخالفين للسلف الصالح فتحوا
باب التشكيك في الدين لأعداء الإسلام

قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].
وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١].

قال ابن القيم: «إن هؤلاء لم يكفهم أن سدوا على أنفسهم باب الرد على أعداء الإسلام بما وافقوهم فيه من النفي والتعطيل، حتى فتحوا لهم الباب وطرقوا لهم الطريق إلى محاربة القرآن والسنة، فلما دخلوا من بابهم وسلكوا من طريقهم تحيزوا معهم وصاروا جميعاً حرباً للوحي، وادَّعوا أن العقل يخالفه، ولا يمكن الرد على أهل الباطل إلا مع أتباع السنة من كل وجه، وإلا فإذا وافقها الرجل من وجه وخالفها من وجه طمِع فيه خصومُه من الوجه الذي خالفها فيه، واحتجوا عليه بما وافقهم فيه من تلك المقدمات المخالفة للسنة، ومن تدبَّرَ عامة ما يحتج به أهل الباطل على من هو أقرب إلى الحق منهم، وجد حجتهم إنما تقوى على من ترك شيئاً من الحق الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه، فيكون ما تركه من الحق أعظم حجة للمبطل عليهم، ويجد كثيراً من أهل

الكلام يوافقون خصومهم على الباطل تارة ويخالفونهم في الحق تارة، فيتسلطون عليهم بما وافقوهم فيه من الباطل، وبما خالفوهم من الحق، وليس لمبطل، بحمد الله، حجة ولا سبيل بوجه من الوجوه على من وافق السنة ولم يخرج عنها، حتى إذا خرج عنها قَدَرُ أُنْمَلَةٍ تسلط عليه المبطل بحسب القَدْرِ الذي خرج به عن السنة، فالسنة حِصْنُ اللَّهِ الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، وصراطه المستقيم الذي من سلكه كان إليه من الواصلين، وبرهانه المبين الذي من استضاء به كان من المهتدين، فمن وافق مبطلاً على شيء من باطله جرّه بما وافقه منه إلى نفي باطله»^(١).

«فما أصيب المحق إلا بطاعته للمبطل في بعض أمره، وأصول هؤلاء يكرهون ما أنزل الله مما هو بخلاف عقولهم وآرائهم وقواعدهم، فمن أطاعهم في بعض أمرهم كان من الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ۗ﴾ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ [محمد: ٢٦]»^(٢).

قال شيخ الإسلام: «وأهل الكلام الذين ذمهم السلف لا يخلو كلام أحد منهم على مخالفة السنة ورد بعض ما أخبر به الرسول كالجهمية والمشبهة والخوارج والروافض والقدرية والمرجئة، ويقال: بأنها لا بد أن تحرس السنة بالحق والصدق والعدل، لا تحرس بكذب ولا ظلم، فإذا رد الإنسان باطلاً بباطل وقابل بدعة ببدعة كان هذا مما ذمه السلف والأئمة»^(٣).

(١) «الصواعق المرسله» (٤/ ١٢٥٥).

(٢) المصدر السابق (٤/ ١٣٩٢).

(٣) «درء التعارض» (٧/ ١٨٢).

القاعدة التاسعة والثلاثون

أن أثر البدعة يظهر على صفحات
وجوههم وفتلات ألسنتهم

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرزَجٍ أَخْرَجَ سَطْعَهُمْ فَآزَرُوهُ فَأَسْتَغَلَّظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِمْ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: ٧٥]. وقال
تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَاحِبَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ يُوقُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَأِذَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ﴿٦٠﴾﴾ [محمد: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «فإذا أحببته كنت سمعته الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١).

قال شيخ الإسلام: «والرجل الصادق البار يظهر على وجهه من نور صدقه وبهجة وجهه سيما يعرف بها، وكذلك الكاذب الفاجر، وكلما طال عمر الإنسان ظهر هذا الأثر فيه، حتى إن الرجل يكون في صغره جميل الوجه، فإذا كان من أهل الفجور، مصراً على ذلك، يظهر عليه في آخر عمره من قبح الوجه ما أثره باطنه، وبالعكس، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: «إن للحسنة لنوراً في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة لظلمة في القلب، وسواداً في الوجه، وهماً في البدن، وبغضة في قلوب الخلق».

وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب لكن يعتقد اعتقادات باطلة كاذبة: في الله، أو في رسله، أو في دينه، أو عباده الصالحين، وتكون له زهادة وعبادة واجتهاد في ذلك، فيؤثر ذلك الكذب الذي ظنه صدقاً وتوابعه في باطنه، ويظهر ذلك على وجهه، فيعلوه من القترة والسواد ما يناسب حاله، كما قال بعض السلف: «لو ادهن صاحب البدعة كل يوم بدهان، إن سواد البدعة لفي وجهه». وهذه الأمور تظهر يوم القيامة

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ظهورًا تامًا، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦٠، ٦١]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧] (١).

* * *

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٦/٤٨٩).

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الأربعون

يعتقدون أن سياسة الناس يجب أن تكون وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهم السلف الصالح، فلا يبيحون ما حرم الله بحجة التيسير على الناس، أو كسب تعاطفهم، أو للوصول إلى المناصب والسقوط أمام شهوات النفس ووطأة الإعلام الغادر، والله الهادي إلى سواء السبيل

قال تعالى: ﴿وَأَن أٰحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَأِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرًا وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْ لَا أَن نَّبْنِئَكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرَكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمٰتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

وقال عليه السلام: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء؛ كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا بينة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما

اشْتَرَعَاهُمْ». أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١).

«وكذلك العلماء إذا أقاموا كتاب الله وفقهوها ما فيه من البيّنات التي هي حجج الله، وما فيه من الهدى الذي هو العلم النافع والعمل الصالح، وأقاموا حكمة الله التي بعث بها رسوله صلى الله عليه وسلم وهي سته - لوجدوا فيها من أنواع العلوم النافعة ما يحيط بعلم عامة الناس، ولميّزوا حينئذ بين المحق والمبطل من جميع الخلق، بوصف الشهادة التي جعلها الله لهذه الأمة، حيث يقول صلى الله عليه وسلم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] ولاستغنوا بذلك عما ابتدعه المبتدعون من الحجج الفاسدة التي يزعم الكلاميون أنهم ينصرون بها أصل الدين، ومن الرأي الفاسد الذي يزعم القياسيون أنهم يَتَّبِعُونَ به فروع الدين، وما كان من الحجج صحيحًا ومن الرأي سديدًا فذلك له أصل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فهمه من فهمه وحرمه من حرمه» (٢).

قال ابن القيم: «ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وبما كان عليه هو وأصحابه، رأى أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا، والله المستعان، وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك، وحدوده تضاع، ودينه يترك، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان، شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل

(١) تقدم تخريجه (ص ١٠١).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٢٨٢).

شيطان ناطق؟!، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم، فلا مُبالاة بما جرى على الدين، وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل، وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بُلوا في الدنيا بأعظم بليّة تكون، وهم لا يشعرون؛ وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتمّ كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل»^(١).

«وسمعت رجلاً يقول لشيخنا: إذا خان الرجل في نقد الدراهم سلبه الله معرفة النقد، أو قال: نسيه. فقال الشيخ: هكذا من خان الله تعالى ورسوله في مسائل العلم»^(٢).

● خطر العلمنة على الدين:

قال سماحة الشيخ حفظه الله: هذا ويقابل الغلو في خطورته وشره التساهل في ميوعته وضرره، فالتساهل في أمور الدين لا يقل خطورة عن الغلو بل هو شر منه ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، فالمتساهلون يصفون المتمسكين بالدين والوسطية بأنهم متشددون غلاة ومتطرفون، ويرون الإباحية والتحلل من الدين والأخلاق تقدماً ورقياً وحضارة، ويقولون: إن التمسك بالدين فيه كبت للحريات وعائق عن الانطلاق مع الحضارة العالمية. وربما يقول بعضهم: الدين يسر.

(١) «إعلام الموقعين» (٢/١٧٧).

(٢) «روضة المحبين» (١/٤٨٠).

يريد بذلك التحلل من شرائعه، ونقول: نعم الدين يسر في تشريعاته، ورخصه الشرعية، فهو يشرع لكل حالة ما يناسبها؛ من حالة المرض والسفر والخوف والضرورة، لا أنه يسر في التحلل من أحكامه، فهذا ليس يسراً، وإنما هو حرج وإثم، والنبي ﷺ ما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فالتيسير الذي يوقع في الإثم خروج عن سمات الدين وهديه، وشُرور الانحلال من الدين أشد من شرور الغلو فيه، وهؤلاء الجهال والمغرضون ليسوا هم الذين يبينون معنى الغلو، وإنما الذين يبينون حدود الغلو والتطرف هم العلماء الأتقياء الراسخون في العلم على ضوء الكتاب والسنة، لا الصحفيون وأصحاب الشهوات والجهال، أو المتعالمون، أو أهل الضلال، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحَىٰ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]

فمتى خرجنا عن بيان أهل العلم إلى بيان أهل الأهواء وأهل الضلال أمعنا في الضلال والخطأ، وإنما اليوم نسمع ونقرأ في وسائل الإعلام المختلفة أقوال من يتكلمون في أمور الدين وأمور الغلو والتساهل وهم لا يحسنون القول في ذلك، إما عن قصد سيئ، وإما عن سوء فهم، يقولون حسب أهوائهم، ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَلَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

فيصفون التمسك بالدين بأنه تشدد، ويصفون المتمسكين بالدين وبالعقيدة الصحيحة بأنهم متطرفون وغلاة، وهكذا.

القاعدة الحادية والأربعون

أنهم يرون أن من الوسائل الشرعية في الدعوة إلى الله مخاطبة الناس على قدر أفهامهم ومكانتهم، وأن توحيد الخطاب للناس في غير فروض الأعيان ليس منهجاً ربانياً.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

قال الإمام البخاري^(١) في كتاب العلم: باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، وقال علي: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني

(١) في «صحيحه» (١/ ٣٧).

أبي، عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك: أن النبي ﷺ ومُعَاذُ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ». قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ. قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدِيكَ. ثَلَاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟! قَالَ: «إِذَا يَتَكَلَّمُوا». وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا^(١).

«كثيرٌ من الناسِ يطلبُ من صاحبه بعد نيئه درجةَ الرياسةِ الأخلاقِ التي كان يعامله بها قبل الرياسة، فلا يصادفها فينتقض ما بينهما من المودة، وهذا من جهلِ الصاحبِ الطالبِ للعادة، وهو بمنزلة من يطلب من صاحبه إذا سكر أخلاقَ الصاحي، وذلك غلط؛ فإن للرياسة سكرة كسكرة الخمر، أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سكرة لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة الخمر بكثير، ومحال أن يرى من السكران أخلاقَ الصاحي وطبعه، ولهذا أمر الله تعالى أكرم خلقه عليه بمخاطبة رئيس القبط بالخطاب اللين، فمخاطبة الرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعاً وعقلاً وعرفاً، ولذلك تجدد الناس كالمفطورين عليه، وهكذا كان النبي ﷺ يخاطب رؤساء العشائر والقبائل، وتأمل امتثال موسى لِمَا أمر به كيف قال لفرعون: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّ﴾ (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَنَخْسِئْ ﴿١٩﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]. فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض، لا مخرج الأمر، وقال: ﴿إِلَى أَنْ تَزُكَّ﴾. ولم يقل: إلى أن أزكيك. فنسب الفعل إليه هو، وذكر لفظ التزكي دون

(١) أخرجه البخاري (١٢٨) وانظر أطرافه، ومسلم (٤٨/٣٠).

غيره؛ لما فيه من البركة والخير والنماء، ثم قال: ﴿وَأَهْدِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ .
 أكون كالـدليل بين يديك، الذي يسير أمامك، وقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ .
 استدعاء لإيمانه بربه الذي خلقه ورزقه ورباه بنعمه صغيراً وياضاً وكبيراً .
 وكذلك قول إبراهيم الخليل لأبيه: ﴿يَتَّابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ
 وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢] . فابتدأ خطابه بذكر أبوته الدالة على
 توقيره، ولم يسمه باسمه، ثم أخرج الكلام معه مخرج السؤال، فقال:
 ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ . ولم يقل: لا تعبد. ثم
 قال: ﴿يَتَّابَتِ إِلَيَّ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ . فلم يقل: له إنك
 جاهل لا علم عندك. بل عدل عن هذه العبارة إلى اللفظ عبارة تدل على
 هذا المعنى، فقال: ﴿جَاءَنِي مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم: ٤٣] . ثم قال:
 ﴿فَاتَّبَعْتَنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ . ومثل هذا قول موسى لفرعون: ﴿وَأَهْدِكَ إِلَىٰ
 رَبِّكَ﴾ . ثم قال: ﴿يَتَّابَتِ إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ
 وَلِيًّا﴾ [٤٥] [مريم: ٤٥] . فنسب الخوف إلى نفسه دون أبيه، كما يفعل
 الشفيق الخائف على من يشفق عليه، وقال: ﴿يَمَسَّكَ﴾ . فذكر لفظ
 المس الذي هو اللفظ من غيره، ثم نكر العذاب، ثم ذكر الرحمن، ولم
 يقل الجبار ولا القهار، فأى خطاب اللفظ وألين من هذا؟!!

ونظير هذا خطاب صاحب (يس) لقومه، حيث قال: ﴿يَقْوَرِ أَتَّبِعُوا
 الْمُرْسَلِينَ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٦) وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٧٢) [يس: ٢٠-٢٢] . ونظير ذلك قول نوح لقومه: ﴿يَقْوَرِ إِلَيَّ
 لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَىٰ
 أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [نوح: ٢، ٤] .

وكذلك سائر خطاب الأنبياء لأمتهم في القرآن إذا تأملته وجدته ألين

خطاب وألفه، بل خطاب الله لعباده أطف خطاب وأينه، كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآيات [البقرة: ٢١-٢٤]. وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]. وقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَضُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُودُ﴾ [فاطر: ٥].

وتأمل ما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]. من اللطف الذي سلب العقول، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]. على أحد التأويلين، أي: نترككم فلا ننصحكم ولا ندعوكم ونعرض عنكم، إذا عرضتم أنتم وأسرفتم.

وتأمل لطف خطاب نذر الجن لقومهم وقولهم: ﴿يَقَوْمًا آجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَعَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١] (١).

قال ابن القيم، في موضع آخر وهو يصف كلام نبي الله موسى عليه السلام: «وتأمل حسن سياق هذه الجملة، وترتيب هذا الخطاب، ولطف هذا القول اللين الذي سلب القلوب حسنه وحلاوته، مع جلالته وعظمته؛ كيف ابتدأ الخطاب بقوله: ﴿أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ﴾ [مريم: ١٩]. وفي ضمن ذلك: إنا لم نأتك لننازعك ملكك، ولا لنشركك فيه، بل نحن عبدان مأموران مرسلان من ربك إليك. وفي إضافة اسم الرب إليه هنا دون

(١) «بدائع الفوائد» (٣/٦٥٢).

إضافته إليهما استدعاءً لسمعه وطاعته وقبوله، كما يقول الرسول للرجل من عند مولاه: أنا رسول مولاك إليك وأستاذك. وإن كان أستاذهما معاً، ولكن ينبهه بإضافته إليه على السمع والطاعة له، ثم إنهما طلبا منه أن يرسل معهما بني إسرائيل ويخلي بينهم وبينهما، ولا يعذبهم، ومن طلب من غيره ترك العدوان والظلم وتعذيب من لا يستحق العذاب، فلم يطلب منه شططاً، ولم يرهقه من أمره عسراً، بل طلب منه غاية النَّصْفِ، ثم أخبره بعد الطلب بثلاث إخبارات: أحدها: قوله تعالى:

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧]. فقد برئنا من عهدة نسبتك لنا إلى التقول والافتراء بما جئناك به من البرهان والدلالة الواضحة، فقد قامت الحجة، ثم بعد ذلك للمرسل إليه حالتان: إما أن يسمع ويطيع فيكون من أهل الهدى، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾. وإما أن يكذب ويتولّى، ﴿فَالْعَذَابُ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨]. فجمعت الآية طلب الإنصاف وإقامة الحجة، وبيان ما يستحق السامع المطيع، وما يستحقه المكذب المتولّى، بألطف خطاب وأليق قول وأبلغ ترغيب وترهيب^(١).

فإن قيل: فما هو الجواب على قول موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]؟

قيل: هذا من باب الإخبار وليس من باب الإنشاء، واللّه أعلم.

* * *

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الثانية والأربعون

أنهم يحذرون من مشابهة الكفار واتباع سبيلهم

قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّةَ آعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ [التوبة: ٦٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَتَأْخُذَنَّ كَمَا أَخَذَتِ الْأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ ذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، وَشِبْرًا بِشِبْرٍ، وَبَاعًا بِبَاعٍ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَوْلَادِكَ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ لِدَخَلْتُمُوهُ». قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾. الآية. قالوا: يا رسول الله، كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب؟ قال: «فهل الناس إلا هم»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية أنه قال: «ما أشبه الليلة بالبارحة؛ هؤلاء بنو إسرائيل شُبِّهْنَا بِهِمْ»^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمئًا

(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٩)، ومسلم (٦/٢٦٦٩).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣٤٢/١٤).

وهدياً، تتبعون عملهم حذو القُذَّة بالقُذَّة، غير أنني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم». قلنا: وكيف؟ قال: «أولئك كانوا يخفون نفاقهم، وهؤلاء أعلنوه»^(١).

وأما السنة فجاءت بالإخبار بمشابهتهم في الدنيا وذم ذلك والنهي عن ذلك، وكذلك في الدين، فأما الأول الذي هو الاستمتاع بالخلق^(٢)؛ ففي «الصحيحين» عن عمرو بن عوف: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة ابن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافقوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدِم بشيء من البحرين». فقالوا: أجل يا رسول الله. فقال: «أبشروا، وأملوا ما يسرركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»^(٣) اهـ^(٤).

وأما الخوض^(٥)، فعن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي

(١) أخرجه جعفر بن محمد الفريابي في «صفة المنافق» (٥١).

(٢) يعني المذكور في الآية .

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٨٨، ٣٧٩١)، ومسلم (٦/٢٩٦١).

(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/١٢٥، ١٢٧) ط. العقل.

(٥) يعني المذكور في الآية.

هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح ^(١).

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملّة، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملّة - يعني: الأهواء - كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة» ^(٢).

وقال: «إنه سيخرج من أمتي أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب ^(٣) بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله». والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به» ^(٤) «أه» ^(٥).

فقوله سبحانه: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ﴾. إشارة إلى اتباع الشهوات، وهو داء العصاة، وقوله: ﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾. إشارة إلى اتباع الشبهات، وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات، وكثيراً ما يجتمعان، فقلّ من تجدد في اعتقاده فساداً إلا وهو ظاهر في عمله، وقد

(١)، (٢) تقدم تخريجه (ص: ٣١، ٣٢).

(٣) الكلب: داء يعرض للإنسان من عض الكلب الكلب - وهو الذي يأكل لحوم البشر - فيصيبه شبه الجنون فلا يعرض أحداً إلا كلب، وتعرض له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتى يموت عطشاً. «النهاية في غريب الحديث» (٤/١٩٥).

(٤) حسن صحيح: أخرجه أحمد (٤/١٠٢)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم (١/١٢٨)، وانظر «صحيح الترغيب» (١/١٢) (٥١).

(٥) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/١٣٦ - ١٣٧).

دلَّت الآية على أن الذين كانوا من قبل استمتعوا وخاضوا، وهؤلاء فعلوا مثل أولئك»^(١).

وقال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ونهى عن التشبه بأهل الكتاب وغيرهم من الكفار في مواضع كثيرة، لأن المشابهة الظاهرة ذريعة إلى الموافقة الباطنة، فإنه إذا أشبه الهدْيُ الهدْيَ أشبه القلبُ القلبَ، وقد قال ﷺ: «خالفَ هدينا هدي الكفار»^(٢). وفي «المسند» مرفوعًا: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(٣) اهـ»^(٤).

* * *

(١) «إعلام الموقعين» (١/١٣٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن» (٢/٣٢٢)، من حديث المسور بن مخرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢/٥٠، ٩٢)، وأبو داود (٤٠٣١)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وانظر «الإرواء» (١٢٦٩).

(٤) «إغاثة اللفهان» (١/٣٦٤).

القاعدة الثالثة والأربعون

أنهم يدعون الناس إلى إفراد الله بالتعلق
تعبداً واستعانة، ولزوم الهدى النبوي في
كل شؤونهم، ومن ذلك ما يواجهونه من
عقبات ومشكلات في هذه الحياة، ومنها
علاج الصدمات النفسية.

قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) [الشعراء: ٧٨ - ٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَيَسِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

قال ابن القيم: «وفي «المسند» عنه ﷺ أنه قال: «ما من أحدٍ تُصيِّبه

مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها، إلا أجره الله في مصيبيته، وأخلف له خيراً منها^(١).

وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته، فإنها تتضمن أصليين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبيته: أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله ﷻ حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضاً فإنه محفوف بعدمين: عدم قبله، وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضاً فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يُبقي عليه وجوده، فليس له تأثير ولا ملك حقيقي، وأيضاً فإنه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور والمنهي، لا تصرف الملاك، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكة الحقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يُخلف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه كما خلقه أول مرة؛ بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوّله ونهايته، فكيف يفرح بوجود، أو يأسى على مفقود! ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء.

● ومن علاجه:

أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي

(١) أخرجه أحمد (٢٧/٤)، وأصله في مسلم (٩١٨)، من حديث أبي سلمة ؓ.

كَتَبَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾

[الحديد: ٢٢].

ومن علاجه: أن ينظرَ إلى ما أُصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه، وادّخر له - إن صبر ورضي - ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة، وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي.

ومن علاجه: أن يطفى نارَ مصيبتِه ببرد التأسّي بأهل المصائب، وليعلم أنه في كل وادٍ بنو سعد^(١)، ولينظر يَمَنَةً فهل يرى إلا محنة؟ ثم ليعطف يَسْرَةً فهل يرى إلا حسرة؟ وأنه لو فَتَشَ العالَمَ لم يرَ فيهم إلا مبتلى؛ إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأن شرور الدنيا أحلام نوم، أو كظلم زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن سرّت يوماً ساءت دهرًا، وإن متّعت قليلاً منعت طويلاً، وما ملأت دارًا خيرةً إلا ملأتها عبْرَةً، ولا سرته بيوم سرورٍ إلا خبأت له يومَ شرورٍ.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لكل فرحة ترحه وما ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا»^(٢).

وقال ابن سيرين: «ما كان ضحكك قط إلا كان من بعده بكاء»^(٣).

(١) يضرب مثلًا لاستواء القوم في الشر والمكروه، والمثل للأضبط بن قريع السعدي، وكان سيد قومه، فرأى منهم تنقصًا له وتهاونًا به، فرحل عنهم ونزل بآخرين، فرآهم يفعلون بأشرافهم فعل قومه به، فقصده آخرين فرآهم على مثل حالهم، فقال: «أينما أوجه ألق سعدًا». ورحل إلى قومه. وروي أنه قال: «في كل واد بنو سعد». «جمهرة الأمثال» (١٦/١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الاعتبار» (٣).

(٣) المصدر السابق (٥).

وقالت هند بنت النعمان: «لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكاً، ثم لم تَغِبِ الشمسُ حتى رأيتنا ونحن أقلُّ الناس، وأنه حق على الله ألا يملأ داراً خيرةً إلا ملاءها عبرة»^(١).

وسألها رجلٌ أن تحدِّثه عن أمرها، فقالت: «أصبحنا ذا صباح وما في العرب أحد إلا يرجونا، ثم أمسينا وما في العرب أحد إلا يرحمنا»^(٢). وبكت أختها حُرقة بنت النعمان يوماً وهي في عزها، فقيل لها: ما يُبكيك، لعل أحداً أذاك؟ قالت: «لا، لكن رأيت غضارة في أهلي، وقلماً امتلأت دارٌ سروراً إلا امتلات حزناً»^(٣).

قال إسحاق بن طلحة: «دخلتُ عليها يوماً، فقلتُ لها: كيف رأيتِ عَبرَاتِ الملوك؟ فقالت: ما نحن فيه اليوم خير مما كنا فيه الأمس، إنا نجد في الكتب أنه ليس من أهل بيت يعيشون في خيرة إلا سيعقبون بعدها عبرة، وأن الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بطن لهم بيوم يكرهونه. ثم قالت:

فبينما نَسُوسُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوْقَةٌ نَتَنَصَّفُ

فَأَفُّ لَدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتِ بِنَا وَتَصَرَّفُ»^(٤)

ومن علاجها: أن يعلم أن الجزع لا يردّها، بل يضاعفها، وهو في الحقيقة من تزايد المرض.

ومن علاجها: أن يعلم أن فوات ثواب الصبر والتسليم، وهو الصلاة

(١) أخرجه ابنُ أبي الدنيا في «الاعتبار» (٨).

(٢) المصدر السابق (١٠).

(٣) المصدر السابق (٩).

(٤) المصدر السابق (٨).

والرحمة والهداية التي ضمنها الله على الصبر والاسترجاع، أعظم من المصيبة في الحقيقة.

ومن علاجها: أن يعلم أن الجَزَعَ يُشمتُ عدوّه، ويسيءُ صديقَه، ويُغضبُ ربّه، ويسرُّ شيطانَه، ويُحبطُ أجرَه، ويُضعفُ نفسَه، وإذا صبر واحتسب أنضى شيطانَه^(١) ورده خاسئًا، وأرضى ربّه، وسرَّ صديقَه، وساءَ عدوّه، وحمل عن إخوانه، وعزّاهم هو قبل أن يعزّوه، فهذا هو الثبات والكمال الأعظم، لا لطمُ الخدودِ، وشقُّ الجيوبِ، والدعاء بالويل والشبور، والسخط على المقدور.

ومن علاجها: أن يعلم أن ما يعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، ويكفيه من ذلك بيتُ الحمد الذي يُبني له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه، فليُنظر أي المصيبتين أعظم: مصيبة العاجلة، أو مصيبة فواتِ بيتِ الحمدِ في جنة الخلد؟

وفي الترمذي مرفوعًا: «يودُّ ناسٌ يومَ القيامةِ أن جلودَهم كانت تُقرَضُ بالمقارِبِ في الدنيا؛ لِمَا يَرَوْنَ من ثوابِ أهلِ البلاءِ»^(٢).

وقال بعض السلف: «لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامةَ مفاليس».

ومن علاجها: أن يروِّح قلبه بروح رجاء الخَلْفِ من الله، فإنه من كل شيء عوض إلا الله، فما منه عوض، كما قيل:

من كلِّ شيءٍ إذا ضيَّعته عَوْضٌ وما من الله إن ضيَّعته عِوَضٌ

(١) أنضى شيطانَه: أهرَّكه. وينظر (اللسان) (ن ض ي).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٢٤٠٤)، وانظر «صحيح الترغيب» (٣٤٠٤).

ومن علاجها: أن يعلم أن حظّه من المصيبة ما تُحدثه له، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط، فحظك منها ما أحدثته لك، فاختر خير الحظوظ، أو شرّها، فإن أحدثت له سخطًا وكفرًا، كتبت في ديوان الهالكين، وإن أحدثت له جزعًا وتفريطًا، في ترك واجب أو فعل محرم، كتبت في ديوان المفرطين، وإن أحدثت له شكاية وعدم صبر، كتبت في ديوان المغبونين، وإن أحدثت له اعتراضًا على الله وقَدْحًا في حكمته، فقد قرع باب الزندقة، أو ولّجه، وإن أحدثت له صبرًا وثباتًا لله، كتبت في ديوان الصابرين، وإن أحدثت له الرضى عن الله، كتبت في ديوان الراضين، وإن أحدثت له الحمد والشكر، كتب في ديوان الشاكرين، وكان تحت لواء الحمد مع الحمّادين، وإن أحدثت له محبة واشتياقًا إلى لقاء ربه، كتبت في ديوان المحبّين المخلصين.

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«الترمذي»، من حديث محمود بن لبيد، يرفعه: «إن الله إذا أحبّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط». زاد أحمد: «ومن جزع فله الجزع»^(١).

ومن علاجها: أن يعلم أنه وإن بلغ في الجزع غايته، فأخِر أمره إلى صبر الاضطرار، وهو غير محمود ولا مُثاب، قال بعض الحكماء: «العاقلُ يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعله الجاهل بعد أيام، ومن لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم»^(٢).

وفي «الصحيح» مرفوعًا: «الصبر عند الصدمة الأولى»^(٣).

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٤٢٧/٥، ٤٢٩)، والترمذي (٢٣٩٨)، وانظر «الصحيحة» (١٤٦).
 (٢) سلا سلو البهائم: أي: نسي نسيان البهائم. انظر: اللسان (س ل و).
 (٣) أخرجه البخاري (١١٩٤) وانظر أطرافه، ومسلم (٩٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقال الأشعث بن قيس: «إنك إن صبرت إيمانًا واحتسابًا، وإلا سلوت سلوَّ البهائم».

ومن علاجها: أن يعلم أن أنفع الأدوية له موافقة ربّه وإلهه فيما أحبه ورضيه له، وأن خاصية المحبة وسرّها موافقة المحبوب، فمن ادّعى محبة محبوب ثم سَخِطَ ما يُحِبُّه وأحب ما يُسَخِطُه، فقد شهد على نفسه بكذبه، وتممّت إلى محبوبه.

وقال أبو الدرداء: «إن الله إذا قضى قضاءً أحب أن يُرضى به». وكان عمران بن حصين يقول في علته: «أحبه إليّ أحبّه إليه». وكذلك قال أبو العالية.

وهذا دواء وعلاج لا يعمل إلا مع المحبين، ولا يُمكن كل أحد أن يتعالج به.

ومن علاجها: أن يوازن بين أعظم اللذتين والمتعتين وأدومهما: لذّة تمّتعهُ بما أصيب به، ولذّة تمّتعهُ بثواب الله له، فإن ظهر له الرجحان فأثر الرجح فليحمد الله على توفيقه، وإن أثر المرجوح من كل وجه فليعلم أن مصيبته في عقله وقلبه ودينه أعظم من مصيبته التي أصيب بها في دنياه!

ومن علاجها: أن يعلم أن الذي ابتلاه بها أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه به، ولا ليعذبه به، ولا ليجتاحه، وإنما تفقّده به ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريقًا باباه، لائدًا بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعًا قصص الشكوى إليه.

قال الشيخ عبد القادر: يا بني، إن المصيبة ما جاءت لتُهْلِكَكَ، وإنما

جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك، يا بني، القدرُ سُبُعٌ، والسَّبُعُ لا يأكلُ الميتةَ.

والمقصود: أن المصيبة كثرُ العبدِ الذي يُسبك به حاصله، فإما أن يخرج ذهبًا أحمر، وأما أن يخرج خبثًا كله، كما قيل:

سَبَكْنَاهُ وَنَحْسِبُهُ لُجَيْنًا فَأَبْدَى الْكَيْرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ

فإن لم ينقعه هذا الكير في الدنيا، فبين يديه الكير الأعظم، فإذا علم العبد أن إدخاله كير الدنيا ومسبكها خيرٌ له من ذلك الكير والمسبك، وأنه لا بد من أحد الكيرين؛ فليعلم قدرَ نعمة الله عليه في الكير العاجل.

ومن علاجها: أن يعلم أنه لولا محنُ الدنيا ومصائبها لأصاب العبد - من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب - ما هو سببُ هلاكه عاجلاً وأجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقد في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب، تكون حمية له من هذه الأدوية، وحفظاً لصحة عبوديته، واستفراعاً للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة منه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه، كما قيل:

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنَّعْمِ

فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لَطَغَوْا وَبَغَوْا وَعَتَوْا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدوية المهلكة، حتى إذا هدَّبه ونقَّاه وصفَّاه أهله لأشرف مراتب الدنيا؛ وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة؛ وهو رؤيته وقربه.

ومن علاجها: أن يعلم أن مرارة الدنيا هي بعينها حلاوة الآخرة،

يقلبها الله سبحانه كذلك، وحلاوة الدنيا بعينها مرارة الآخرة، ولأن ينتقل من مرارة منقطعة إلى حلاوة دائمة خير له من عكس ذلك، فإن خفي عليك هذا، فانظر إلى قول الصادق المصدوق: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١).

وفي هذا المقام تفاوتت عقول الخلائق، وظهرت حقائق الرجال، فأكثرهم أثر الحلاوة المنقطعة على الحلاوة الدائمة التي لا تزول، ولم يحتمل مرارة ساعة لحلاوة الأبد، ولا ذل ساعة لعز الأبد، ولا محنة ساعة لعافية الأبد، فإن الحاضر عنده شهادة، والمنتظر غيب، والإيمان ضعيف، وسلطان الشهوة حاكم، فتولد من ذلك إيثار العاجلة ورفض الآخرة، وهذا حال النظر الواقع على ظواهر الأمور وأوائلها ومبادئها، وأما النظر الثاقب الذي يخرق حجب العاجلة، ويجاوزه إلى العواقب والغايات، فله شأن آخر!

فادع نفسك إلى ما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته من النعيم المقيم، والسعادة الأبدية، والفوز الأكبر، وما أعد لأهل البطالة والإضاعة من الخزي والعقاب، والحسرات الدائمة، ثم اختر أي القسمين أليق بك، وكلّ يعمل على شاكلته، وكلُّ أحد يصبو إلى ما يُناسبه، وما هو الأولى به، ولا تستطل هذا العلاج، فشدة الحاجة إليه من الطيب والعليل دعت إلى بسطه، وبالله التوفيق.

وأما هديه ﷺ في علاج الكرب والهم والغم والحزن:

أخرجنا في «الصحيحين» من حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢)، من حديث أنس ؓ.

كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السماوات السبع وربُّ الأرض ربُّ العرش الكريم»^(١).

وفي «جامع الترمذي» عن أنس، أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «يا حيُّ يا قيومُ، برحمتك أستغيثُ»^(٢).

وفيه، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ كان إذا أهَمَّهُ الأمر، رفع طَرْفَهُ إلى السماء فقال: «سبحان الله العظيم». وإذا اجتهد في الدعاء قال: «يا حيُّ يا قيومُ»^(٣).

وفي «سنن أبي داود»، عن أبي بكرة، أن رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت»^(٤).

وفيهما أيضًا، عن أسماء بنتِ عُمَيْسٍ، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك كلماتٍ تقوليهنَّ عند الكرب، أو في الكرب: الله ربِّي لا أشركُ به شيئًا»^(٥). وفي رواية أنها تقال سبع مرات.

وفي «مسند الإمام أحمد» عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «ما أصاب عبدًا همٌّ ولا حُزْنٌ فقال: اللهمَّ إني عبدك، ابنُ عبدك، ابنُ أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حُكْمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكلِّ اسمٍ هو

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٥، ٥٩٨٦)، ومسلم (٢٧٣٠/٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، وانظر «الصحيحة» (٢٢٧).

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٤٣٢)، وانظر «الكلم الطيب» (١١٦/١) (١٢٠).

(٤) حسن: أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، وانظر «الكلم الطيب» (١١٧/١) (١٢١).

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥٢٥)، وانظر «الكلم الطيب» (١١٧/١) (١٢٢).

لكَ، سَمَّيْتْ به نَفْسَكَ، أو أنزلتُهُ في كتابِكَ، أو علِّمتهُ أحدًا من خَلْقِكَ، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندَكَ، أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجِلاءَ حُزْني، وذَهَابَ هَمِّي. إلا أذهبَ اللهُ حُزْنَه وهَمَّه، وأبدلَه مكانَه فَرَحًا»^(١).

وفي «الترمذي» عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوةُ ذي النُونِ إذ دعا ربَّه وهو في بطنِ الحوتِ: لا إلهَ إلا أنت سبحانَكَ إني كنتُ من الظالمينَ. لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلا استُجيبَ له»^(٢). وفي رواية: «إني لأعلمُ كلمةً لا يقولها مكروبٌ إلا فرَّجَ اللهُ عنه؛ كلمةُ أخي يونسَ»^(٣).

وفي «سنن أبي داود» عن أبي سعيد الخدري، قال: دخل رسول الله ﷺ ذاتَ يومِ المسجدَ، فإذا هو برجلٍ من الأنصارِ يقال له أبو أمامة، فقال: «يا أبا أمامة، ما لي أراك في المسجدِ في غيرِ وقتِ الصلاة؟» فقال: همومٌ لزممتني وديونٌ يا رسولَ الله. فقال: «ألا أعلمُك كلامًا إذا أنتَ قلتَه أذهبَ اللهُ عزَّ وجلَّ همَّك، وقَضَى دَينَكَ؟». قال: قلتُ: بلى يا رسولَ الله. قال: «قل إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ: اللهم إني أعوذُ بك من الهمِّ والحَزَنِ، وأعوذُ بك من العَجْزِ والكَسَلِ، وأعوذُ بك من الجبنِ والبخلِ، وأعوذُ بك من غَلَبَةِ الدَّينِ وقَهْرِ الرِّجالِ». قال: ففعلتُ ذلكَ، فأذهبَ اللهُ عزَّ وجلَّ همِّي، وقضى عني ديني»^(٤).

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١/٣٩٤، ٤٥٢)، وانظر «الصحيحه» (١٩٩).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، وانظر «الصحيحه» (١٧٤٤).

(٣) عند ابن السُّني في «عمل اليوم والليلة» (١/١٥٢) (٣٤٢).

(٤) ضعيف بهذا الإسناد: أخرجه أبو داود (١٥٥٥)، وانظر «ضعيف أبي داود» (٣٣٣)، وإنما =

وفي «سنن أبي داود» عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ لَزِمَ الاستِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرْجًا ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»^(١) .

وفي «المسند» : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَرَعَ إِلَى الصَّلَاةِ»^(٢) .
وقد قال تعالى : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] .

وفي «السنن» : «عليكم بالجهاد ، فإنه بابٌ من أبواب الجنة ، يدفع الله به عن النفوسِ الهمَّ والغمَّ»^(٣) .

ويُذكر عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ : «مَنْ كَثُرَتْ هَمُّهُ وَغَمُّهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٤) .

وثبت في «الصحيحين» : أنها كنز من كنوز الجنة^(٥) ، وفي «الترمذي» : أنها باب من أبواب الجنة^(٦) .

=صح عن النبي ﷺ من استعاذته ما أخرجه البخاري (٢٧٣٦) وغيره ، من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : كنت أسمعُه ﷺ يكثر أن يقول : «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين وغلبة الرجال» .
(١) ضعيف : أخرجه أبو داود (١٥١٨) ، وانظر «الضعيفة» (٧٠٥) .

(٢) حسن : أخرجه أحمد (٣٨٨/٥) ، وأبو داود (٣١٩١) من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وانظر «صحيح أبي داود» (١١٧١) .

(٣) صحيح : أخرجه البيهقي في «سننه» (٣٦٣/٢) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وانظر «الصحيحه» (١٩٤١) .

(٤) أخرجه الطبراني في الدعاء (٤٥٤/٤) ولفظه : «من ألبسه الله نعمة فليكثر من الحمد لله ، ومن كثرت همومه فليستغفر الله ﷻ ، ومن أبطأ عنه رزقه فليكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله» . وقال الألباني : موضوع . وانظر «الضعيفة» (٤٥٦٤) .

(٥) أخرجه البخاري (٣٩٦٨) وانظر أطرافه ، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه .

(٦) صحيح : أخرجه الترمذي (٣٥٧٦) ، وانظر «الصحيحه» (١٧٤٦) .

هذه الأدوية تتضمن خمسة عشر نوعًا من الدواء، فإن لم تقو على إذهابِ داءِ الهمِّ والغمِّ والحزنِ فهو داءٌ قد استحکم، وتمكنت أسبابه، ويحتاج إلى استفراغِ كلِّي:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الإلهية.

الثالث: التوحيد العلمي الاعتقادي.

الرابع: تنزيه الرب تعالى عن أن يظلم عبده، أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب ذلك.

الخامس: اعتراف العبد بأنه هو الظالم.

السادس: التوسل إلى الرب تعالى بأحب الأشياء، وهي أسماءه وصفاته، ومن أجمعها لمعاني الأسماء والصفات: الحي القيوم.

السابع: الاستعانة به وحده.

الثامن: إقرار العبد له بالرجاء.

التاسع: تحقيق التوكل عليه، والتفويض إليه، والاعتراف له بأن ناصيته في يده يصرفه كيف يشاء، وأنه ماضٍ فيه حكمه، عدلٌ فيه قضاؤه.

العاشر: أن يرتع قلبه في رياض القرآن، ويجعله لقلبه كالربيع للحيوان، وأن يستضيء به في ظلماتِ الشبهات والشهوات، وأن يتسلى به عن كل فائت، ويتعزى به عن كل مصيبة، ويستشفى به من أدواء صدره، فيكون جلاءً حزنه، وشفاء همه وغمه.

الحادي عشر: الاستغفار.

الثاني عشر: التوبة.

الثالث عشر: الجهاد.

الرابع عشر: الصلاة.

الخامس عشر: البراءة من الحول والقوة وتفويضهما إلى من هما

بيده.

واعلم أن الله خلق سبحانه ابن آدم وأعضاءه، وجعل لكل عضو منها كمالاً إذا فقدته أحسَّ بالألم، وجعل لِمَلِكِهَا، وهو القلب، كمالاً، إذا فقدته حضرته أسقامه وآلامه من الهموم والغموم والأحزان.

فإذا فقدت العين ما خُلِقَتْ له من قوة الإبصار، وفقدت الأذن ما خُلِقَتْ له من قوة السمع، واللسان ما خُلِقَ له من قوة الكلام؛ فقدت كمالها.

والقلب خُلِقَ لمعرفة فاطره، ومحبته، وتوحيده، والسرور به، والابتهاج بحبه، والرضى عنه، والتوكل عليه، والحب فيه، والبغض فيه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، ودوام ذكره، وأن يكون أحب إليه من كل ما سواه، وأرجى عنده من كل ما سواه، وأجل في قلبه من كل ما سواه، ولا نعيم له ولا سرور ولا لذة، بل ولا حياة، إلا بذلك، وهذا له بمنزلة الغذاء والصحة والحياة، فإذا فقد غذاءه وصحته وحياته، فالهموم والغموم والأحزان مسارعة من كل صَوْبٍ إليه، ورهنٌ مقيم عليه.

ومن أعظم أدوائه: الشرك والذنوب والخفلة، والاستهانة بمحابه ومراضيه، وترك التفويض إليه، وقلة الاعتماد عليه، والركون إلى ما سواه، والسخط بمقدوره، والشك في وعده ووعيده.

وإذا تأملت أمراض القلب وجدت هذه الأمور وأمثالها هي أسبابها لا سبب لها سواها، فدواؤه الذي لا دواء له سواه ما تضمنته هذه العلاجات

النبوية من الأمور المضادة لهذه الأدواء، فإن المرض يُزال بالضد، والصحة تُحفظ بالمثل، فصحته تُحفظ بهذه الأمور النبوية، وأمراضه بأضدادها.

فالتوحيد يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج، والتوبة استفراغ للأخلاق والمواد الفاسدة التي هي سبب أسقامه، وحمية له من التخليط، فهي تغلق عنه باب الشرور، فيفتح له باب السعادة والخير بالتوحيد، ويُغلق باب الشرور بالتوبة والاستغفار.

قال بعض المتقدمين من أئمة الطب: من أراد عافية الجسم فليقلل من الطعام والشراب، ومن أراد عافية القلب فليترك الآثام. وقال ثابت بن قرة: راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة الروح في قلة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

والذنوب للقلب بمنزلة السموم، إن لم تُهلكه أضعفته، ولا بد، وإذا ضعفت قوته لم يقدر على مقاومة الأمراض^(١).

* * *

(١) «زاد المعاد» (٤/١٨٩ - ٢٠٣).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الرابعة والأربعون

أنهم يعتقدون أن حقوق الرحمن هي الغاية، وأما حقوق الإنسان فهي تبع لها

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].
وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَدَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].
وقال عليه السلام: «يا معاذ، هل تدري ما حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يُشرك به شيئاً». أخرجاه (١).

وفي هذا يقول شيخ الإسلام: «يقول بعض المتفلسفة: إن المقصود بالدين مجرد المصلحة الدنيوية! وليس المقصود بالدين الحق مجرد المصلحة الدنيوية من إقامة العدل بين الناس في الأمور الدنيوية، كما يقوله طوائف من المتفلسفة في مقصود النواميس والنبوات أن المراد بها

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٥٣، ٢٥٤).

مجرد وضع ما يحتاج إليه معاشهم في الدنيا، من القانون العدلي الذي ينتظم به معاشهم، لكن هذا قد يكون المقصود في أديان من لم يؤمن بالله ورسوله، من أتباع الملوك المتفلسفة ونحوهم، مثل قوم نوح ونمرود وجنكيزخان وغيرهم، فإن كل طائفة من بني آدم محتاجون إلى التزام واجبات وترك محرمات يقوم بها معاشهم وحياتهم الدنيوية، وربما جعلوا مع ذلك ما يستولون به على غيرهم من الأصناف ويقهرونه، كفعل الملوك الظالمين مثل جنكيزخان، فإذا لم يكن مقصود الدين والناموس الموضوع إلا جلب المنفعة في الحياة الدنيا ودفع المضرة فيها، فليس لهؤلاء في الآخرة من خلاق، ثم إن كان مع ذلك جعلوه ليستولوا به على غيرهم من بني آدم ويقهرونهم، كفعل فرعون وجنكيزخان ونحوهما، فهؤلاء من أعظم الناس عذاباً في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: ٢، ٣].

وقد قصَّ الله سبحانه قصة فرعون في غير موضع من القرآن، وكان هو وقومه على دين لهم من دين الملوك، كما قال تعالى في قصة يوسف: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦]. وهذا الملك كان فرعون يوسف وكان قبل فرعون موسى، وفرعون اسم لمن يملك مصر من القبط، وهو اسم جنس كقيصر وكسرى والنجاشي ونحو ذلك، وهؤلاء المتفلسفة الصابئة المبتدعة من المشائين ومن سلك مسلكهم من المتتبعين إلي الملل في المسلمين واليهود والنصارى، يجعلون الشرائع والنواميس والديانات من هذا الجنس لوضع قانون تتم

به مصلحة الحياة الدنيا، ولهذا لا يأمرُون فيها بالتوحيد، وهو عبادة الله وحده، ولا بالعمل للدار الآخرة، ولا ينهون فيها عن الشرك، بل يأمرُون فيها بالعدل والصدق والوفاء بالعهد، ونحو ذلك من الأمور التي لا تتم مصلحة الحياة الدنيا إلا بها، ويشرعون التأله للمخلصين والمشركين»^(١).



(١) «قاعدة في المحبة» (ص ٤٧).

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الخامسة والأربعون

أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ عَلَى النَّاسِ بِمَا ظَهَرَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَيَدْعُونَ السَّرَائِرَ إِلَى اللَّهِ

قال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [التوبة: ٩٥].
وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بنحو ما أسمع، فمن قضيت له من أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»^(١). فهذا قول إمام الحكام وسيد ولد آدم.

وقال النبي ﷺ: «أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلُ الْعَيْنَيْنِ، سَابِغِ الْإِلَيْتَيْنِ، خَدَلَجِ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكَ بْنِ سَحْمَاءَ». فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ»^(٢).

عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا

(١) أخرجه البخاري (٢٥٣٤)، وانظر أطرافه، ومسلم (٤/١٧١٣) من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٠)، ومسلم (١١/١٤٩٦)، من حديث ابن عباس وأنس رضي الله عنهم.

الحُرَقَات^(١) من جهينة، فأدركت رجلاً، فقال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَقَتْلَتْهُ؟!». قال: قلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ . قال: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَن قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟». فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ . قال: فقال سعد: وأنا والله لَا أَقْتُلُ مُسْلِمًا حَتَّى يَقْتُلَهُ ذُو الْبُطَيْنِ - يَعْنِي أُسَامَةَ - قال: قال رجل: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلَّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. فقال سعد: قَد قَاتَلْنَا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً، وَأَنْتَ وَأَصْحَابُكَ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةً»^(٢).

وكان عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يقول: «إِنَّ أَنْاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخِذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَاهُ^(٣) وَقَرَّبَنَا، وَليْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللَّهُ يَحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنَّهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ»^(٤).



(١) الحُرَقَات، نسبة إلى الحُرْقَة، واسمه جُهَيْشُ بْنُ عَامِرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ مُودَعَةَ بْنِ جُهَيْنَةَ، تَسْمَى الحُرْقَة لِأَنَّهُ حَرَّقَ قَوْمًا بِالْقَتْلِ فَبَالِغٍ فِي ذَلِكَ. (فتح الباري) (١٢/٨٢).

(٢) أخرجه بهذا السياق مسلم (١٥٨)، وأصل الحديث في البخاري (٤٠٢١).

(٣) أمناه، من الأمن، أي: صَيْرْنَاهُ عِنْدَنَا أَمِينًا. فتح الباري (١٤٩/٨).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٩٨).

القاعدة السادسة والأربعون

أنهم يحذرون المسلمين من مضلات الفتن

قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

قال ابن القيم: «قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا، فأبى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأبى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى تعود القلوب على قلبين: قلب أسود مزيادًا^(١) كالكوز مبحجًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه، وقلب أبيض فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض»^(٢).

فشبهه عرض الفتن على القلوب شيئًا فشيئًا كعرض عيدان الحصير، وهي طاقاتها^(٣)، شيئًا فشيئًا، وقسم القلوب عند عرضها عليها إلى

(١) مزيادًا: اربداد القلب من حيث المعنى لا الصورة، فإن لون القلب إلى السواد ما هو. والرؤنة: لون بين السواد والغبرة. اللسان (رب د).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٤).

(٣) الطاقات، جمع طاقة، وهي: شعبة أو حزمة من ريحان، أو زهر، أو شعر، أو عيدان، أو خيوط، أو حبال. الوسيط (ط و ق).

قسمين :

قلب إذا عرضت عليه فتنة أشربها كما يشربُ السفنجُ الماءَ، فتنكت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسودَّ ويتكس، وهو معنى قوله: «كالكوز مجخياً» أي: مكبوباً منكوساً، فإذا اسودَّ وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان به إلى الهلاك:

أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، وربما استحکم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكرًا والمنكرَ معروفًا، والسنة بدعةً والبدعة سنةً، والحق باطلاً والباطل حقًا. الثاني: تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وانقياده للهوى واتباعه له.

وقلب أبيض قد أشرق فيه نور الإيمان وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردّها، فازداد نوره وإشراقه وقوته. والفتن التي تعرض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات وفتن الشبهات، فتن الغي والضلال، فتن المعاصي والبدع، فتن الظلم والجهل، فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد.

وقد قسّم الصحابة رضي الله تعالى عنهم القلوب إلى أربعة، كما صح عن حذيفة بن اليمان: «القلوب أربعة:

قلبٌ أجردٌ، فيه سراجٌ يزهرُ، فذلك قلبُ المؤمنِ.

وقلبٌ أغلفٌ، فذلك قلبُ الكافرِ.

وقلب منكوسٌ، فذلك قلب المنافق، عَرَفَ ثم أنكر، وأبصر ثم

عَمَى .

وقلبٌ تَمُدُّهُ مادتان: مادةٌ إيمانٍ، ومادةٌ نفاقٍ، وهو لِمَا غَلَبَ عليه منهما»^(١).

فقوله: «قلبٌ أُجْرِدُ» أي: متجرد مما سوى الله ورسوله، فقد تجرَّد وسَلِمَ مما سوى الحق، و: «فيه سراجٌ يزهر»، وهو مصباح الإيمان، فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغي، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته بنور العلم والإيمان.

وأشار بالقلب الأغلف إلى قلب الكافر؛ لأنه داخل في غلافه وغشائه، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان، كما قال تعالى حاكياً عن اليهود: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]. وهو جمع أغلف، وهو الداخل في غلافه، ككُفِّفَ وأقْلَفَ، وهذه الغشاوة هي الأَكِنَّة التي ضربها الله على قلوبهم؛ عقوبة لهم على رد الحق والتكبر عن قبوله، فهي أكنة على القلوب، ووَقِّرَ في الأسماع، وعمَى في الأبصار، وهي الحجاب المستور عن العيون في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

فإذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد وتجريد المتابعة ولّى أصحابها على أدبارهم نفورًا.

وأشار بالقلب المنكوس - وهو المكبوب - إلى قلب المنافق، كما

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٦٨/٦)، صححه الألباني موقوفاً على حذيفة رضي الله عنه في تحقيقه لكتاب «الإيمان لابن تيمية» (١٠٦/١).

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكَّهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨]. أي نكسهم وردهم في الباطل الذي كانوا فيه، بسبب كسبهم وأعمالهم الباطلة، وهذا شر القلوب وأخبثها، فإنه يعتقد الباطل حقاً ويوالي أصحابه، والحق باطلاً ويعادي أهله، فالله المستعان.

وأشار بالقلب الذي له مادتان إلى القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان، ولم يُزهر فيه سراجُه، حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث الله به رسوله، بل فيه مادة منه ومادة من خلافه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، والحكم للغالب وإليه يرجع^(١).

وقال: «ولفظ الفتنة في كتاب الله تعالى يراد بها الامتحان الذي لم يفتن صاحبه، بل خلص من الافتتان، ويراد بها الامتحان الذي حصل معه افتتان.

فمن الأول: قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

ومن الثاني: قوله تعالى ﴿وَقَبَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَةً﴾ [الأنفال: ٣٩].

وقوله: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].

ويطلق على ما يتناول الأمرين كقوله تعالى: ﴿الْعَرَّ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ

يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ۝﴾ [العنكبوت: ١-٣]. ومنه قول موسى عليه السلام: ﴿إِنْ

هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥]. أي امتحانك

وابتلاؤك، تضل بها من وقع فيها، وتهدي من نجا منها.

(١) «إغاثة اللهفان» (١٣/١) وما بعدها.

وتطلق الفتنة على أعم من ذلك، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

قال مقاتل: أي: بلاء وشغل عن الآخرة. قال ابن عباس: فلا تطيعوهم في معصية الله تعالى. وقال الزجاج: أعلمهم الله ﷻ أن الأموال والأولاد مما يفتنون به، وهذا عام في جميع الأولاد، فإن الإنسان مفتون بولده، لأنه ربما عصى الله تعالى بسببه، وتناول الحرام لأجله، ووقع في العظائم، إلا من عصمه الله تعالى.

ويشهد لهذا ما روي: أن النبي ﷺ كان يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يعثران، فنزل النبي إليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر، وقال: «صدق الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما»^(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يقولن أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة. فإنه ليس منكم أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. فأيكم استعاذ فليستعد بالله تعالى من مُصِلاتِ الفتن»^(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان: ٢٠]. وهذا عام في جميع الخلق، امتحن بعضهم ببعض، فامتحن الرسل والمرسل إليهم: ودعوتهم إلى الحق والصبر على أذاهم، وتحمل المشاق في تبليغهم رسالات ربهم، وامتحن المرسل إليهم بالرسول: وهل يطيعونهم،

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣٥٤/٥)، والترمذي (٤٧٧٤)، وانظر «صحيح الترمذي» (٢٩٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤٧٥/١٣).

وينصرونهم، ويصدقونهم؟ أم يكفرون بهم، ويردّون عليهم، ويقاتلونهم؟ وامتحن العلماء بالجهال: هل يعلمونهم، وينصحونهم، ويصبرون على تعليمهم ونصحهم وإرشادهم، ولو ازم ذلك؟ وامتحن الجهال بالعلماء: هل يطيعونهم ويهتدون بهم؟ وامتحن الملوك بالرعية، والرعية بالملوك. وامتحن الأغنياء بالفقراء، والفقراء بالأغنياء. وامتحن الضعفاء بالأقوياء، والأقوياء بالضعفاء. والسادّة بالأتباع، والأتباع بالسادّة. وامتحن المالك بمملوكه، ومملوكه به. وامتحن الرجل بامرأته، وامرأته به. وامتحن الرجال بالنساء، والنساء بالرجال. والمؤمنين بالكفار، والكفار بالمؤمنين. وامتحن الآمرين بالمعروف بمن يأمرونهم، وامتحن المأمورين بهم. ولذلك كان فقراء المؤمنين وضعفاؤهم من أتباع الرسل فتنة لأغنيائهم ورؤسائهم؛ امتنعوا من الإيمان بعد معرفتهم بصدق الرسل، وقالوا: لو كان خيرا ما سبقونا إليه هؤلاء.

وقالوا لنوح عليه السلام: ﴿أَنْزَمْنَا لَكَ وَأَتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣]. فإذا رأى الشريف الرئيس المسكين الذليل قد سبقه إلى الإيمان ومتابعة الرسول، حمى وأنف أن يسلم فيكون مثله، وقال: أَسْلِمُ فَأَكُونُ أَنَا وَهَذَا الْوَضِيعُ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ؟!

قال الزجاج: كان الرجل الشريف ربما أراد الإسلام، فيمتنع منه؛ لئلا يقال: أسلم قبله من هو دونه. فيقيم على كفره؛ لئلا يكون للمسلم السابقة عليه في الفضل.

ومن كون بعض الناس لبعضهم فتنة: أن الفقير يقول: لِمَ لَمْ أَكُنْ مِثْلَ الْغَنِيِّ؟ ويقول الضعيف: هَلَّا كُنْتُ مِثْلَ الْقَوِيِّ؟ ويقول المبتلى:

هَلَّا كُنْتَ مِثْلَ الْمُعَافَى؟ وَقَالَ الْكُفَّارُ: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٢٤].

قال مقاتل: نزلت في افتتان المشركين بفقراء المهاجرين، نحو بلال وخباب وصهيب وأبي ذر وابن مسعود وعمار، كان كفار قريش يقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين تبعوا محمداً من موالينا وأراذلنا! قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [١٠٩] فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَٰكِرُونَ ﴿١١١﴾ [المؤمنين: ١٠٩ - ١١١]. فأخبر سبحانه أنه جزاهم على صبرهم، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

قال الزجاج: أي أتصبرون على البلاء؟ فقد عرفتم ما وجد الصابرون.

قلت: قرن الله سبحانه الفتنة بالصبر هاهنا، وفي قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ [النحل: ١١٠]. فليس لمن قد فتن بفتنة دواء مثل الصبر، فإن صبر كانت الفتنة ممحصّة له ومخلّصة من الذنوب، كما يخلّص الكير خبث الذهب والفضة.

فالفتنة كير القلوب ومحك الإيمان، وبها يتبين الصادق من الكاذب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

فالفتنة قسّمت الناس إلى صادق وكاذب، ومؤمن ومنافق، وطيب وخبث، فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة

أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها.

فالفتنه لا بد منها في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ هَمَّ عَلَى النَّارِ يَفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِءِ سَتَّعِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الذاريات: ١٣، ١٤] (١).

وقال: «والفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحدهما:

فتنة الشبهات: من ضعف البصيرة وقلة العلم، ولا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته، وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]. وقد أخبر الله سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله، فقال: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

وهذه الفتنة مآلها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع على حسب مراتب بدعهم، فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحق بالباطل، والهدى بالضلال.

ولا يُنجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول ﷺ وتحكيمه في دق الدين وجلّه، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه، فيتلقى عنه حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، وما يثبت له من الصفات والأفعال

(١) «إغائة اللهفان» (٢/١٥٤ - وما بعدها).

والأسماء، وما ينفيه عنه، كما يتلقى عنه وجوب الصلوات وأوقاتها وأعدادها، ومقادير نُصَب الزكاة ومستحقيها، ووجوب الوضوء والغسل من الجنابة، وصوم رمضان، فلا يجعله رسولاً في شيء دون شيء من أمور الدين، بل هو رسول في كل شيء تحتاج إليه الأمة في العلم والعمل، لا يُتَلَقَى إلا عنه، ولا يؤخذ إلا منه، فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله، وكل ما خرج عنها فهو ضلال، فإذا عقد قلبه على ذلك وأعرض عما سواه، ووزنه بما جاء به الرسول، فإن وافقه قَبَلَهُ، لا لكون ذلك القائل قاله، بل لموافقته للرسالة، وإن خالفه رده، ولو قاله من قاله، فهذا الذي ينجيه من فتنة الشبهات، وإن فاته ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه.

وهذه الفتنة تنشأ تارة من فهم فاسد، وتارة من نقل كاذب، وتارة من حق ثابت خفي على الرجل فلم يظفر به، وتارة من غرض فاسد وهوى متبع، فهي من عمى في البصيرة، وفساد في الإرادة.

وأما النوع الثاني من الفتنة: ففتنة الشهوات، وقد جمع سبحانه بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٩]. أي: تمتعوا بنصيهم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو: النصيب المقدر. ثم قال: ﴿وَحُضِّمْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩]. فهذا الخوض بالباطل، وهو: الشبهات.

فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق، والخوض بالباطل، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح،

فالأول هو البدع وما والاهاء، والثاني فسق الأعمال، فالأول فساد من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات.

ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه^(١).

وقال: «وهنا لطيفة للشيطان لا يتخلص منها إلا حاذق، وهي أن يظهر له في مظان الشر بعض شيء من الخير، ويدعوه إلى تحصيله، فإذا قرب منه ألقاه في الشبهة، والله أعلم»^(٢).



(١) «إغائة اللهفان» (٢/١٦٠. وما بعد).

(٢) «عدة الصابرين» (ص ٥٠).

القاعدة السابعة والأربعون

أنهم يقرّرون أن من أبرز علامات أهل البدع: التلون والتنقل، وأنهم قلما يُوفّقون للتوبة

قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَكُفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عمران: ٧٢].
وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أُنزِلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ تُحَكِّمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَةٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

«قال أبو الفرج الهمداني: سمعتُ المروزي يقول: سُئِلَ أحمد عما ورد عن النبي ﷺ: «إن الله احتجَرَ التوبة عن صاحبِ بدعة»^(١): وحجُبُ التوبة؛ إيش معناه؟ فقال أحمد: لا يُوفّق ولا يُيسّرُ صاحبُ بدعةٍ لتوبة. وقال النبي ﷺ لعائشة لما قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. فقال النبي ﷺ: «هم أهل الأهواء»

(١) صحيح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤/ ٢٨١)، من حديث أنس رضي الله عنه بنحوه، وانظر: «صحيح الجامع» (٢٥٧٩).

والبدع، ليست لهم توبة» (١) إسناده حسن» (٢).

«ولهذا قال أئمة الإسلام كسفيان الثوري وغيره: إن البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يُتَاب منها، والمعصية يُتَاب منها. ومعنى قولهم: (إن البدعة لا يُتَاب منها): أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يُشَرِّعه الله ولا رسوله، قد زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا، لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنًا مأمورًا به، أمر إيجاب أو استحباب، ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسنًا، وهو سيئ في نفس الأمر؛ فإنه لا يتوب» (٣).

«وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعًا لهواه، فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]. وقال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩، ١١٠]. وهذا استفهام نفي وإنكار، أي: وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون، وإنا نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كما لم يؤمنوا به أول مرة. على قراءة من قرأ (إنها) بالكسر، تكون جزمًا بأنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم

(١) ضعيف: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٣٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٨٧) من حديث عمر رضي الله عنه، وانظر «ظلال الجنة» (٤).

(٢) «بدائع الفوائد» (٤/٨٤٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٩/١٠).

وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة. ولهذا قال من قال من السلف، كسعيد بن جبير: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»^(١). فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الصدق أصل يستلزم البر، وأن الكذب يستلزم الفجور»^(٢).

«وأصل العداوة البغض، كما أن أصل الولاية الحب، ومن المعلوم أنك لا تجد أحدًا ممن يرُدُّ نصوص الكتاب والسنة بقوله إلا وهو يبغض ما خالف قوله، ويود أن تلك الآية لم تكن نزلت، وأن ذلك الحديث لم يرد، ولو أمكنه كشط ذلك من المصحف لفعله»^(٣)، قال بعض السلف: ما ابتدع أحدٌ بدعةً إلا خرجت حلاوة الحديث من قلبه»^(٤).

«وكلُّ من أبغض شيئًا من نصوص الوحي ففيه من عداوة الله ورسوله بحسب ذلك، ومن أحب نصوص الوحي ففيه من ولاية الله ورسوله بحسب ذلك، وأصل العداوة: البغض، كما أن أصل الولاية: الحب،

(١) أخرجه البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (١٠٣/٢٦٠٧، ١٠٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/١٠).

(٣) نُقِلَ هذا ومثله عن عمرو بن عبّيد، انظر: «أخبار عمرو بن عبّيد» للحافظ الدارقطني رحمته الله.

(٤) «درء تعارض العقل والنقل» (٥/٢١٧).

قال عبد الله بن مسعود: «لا يسأل أحدكم عن نفسه غير القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله». ومن تأمل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]. وجده منطبقاً على هؤلاء أتم انطباق، فإنهم يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً. والزخرف: هو الكلام المزين، كما يزين الشيء بالزخرف، وهو: الذهب. وهو: الغرور، لأنه يغر المستمع، والشبهات المعارضة للوحي هي كلام زخرف يغر المستمع، ﴿وَلِيَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣]. فانظر إلى إصغاء المستجيبين لهؤلاء ورضاهم بذلك واقترافهم المترتب عليه، فتأمل^(١).

قال ابن القيم: «وأتى بالتوبة منها لمن لم يعلم أنها بدعة، أو يظنها سنة، فهو يدعو إليها ويحض عليها، فلا تنكشف لهذا ذنوبه التي تجب عليه التوبة منها إلا بتضلعه من السنة، وكثرة اطلاعه عليها، ودوام البحث عنها، والتفتيش عليها، ولا ترى صاحب بدعة كذلك أبداً»^(٢).

* قلت: ومصدق ذلك في كتاب الله قوله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ تُعْرَفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

قال ابن القيم: «ومن صفاتهم^(٣): كثرة التلون، وسرعة القلب، وعدم الثبات على حال واحد، بينا تراه على حال تعجبك من دين، أو

(١) «الصواعق المرسله» (١٠٤٢/٣).

(٢) «مدارج السالكين» (٣٧٤/١).

(٣) أي: صفات أهل الزندقة والنفاق والأهواء.

عبادة، أو هُدي صالح، أو صدق، إذ انقلب إلى ضد ذلك، كأنه لم يعرف غيره، فهو أشد الناس تلونًا وتقلبًا! ^(١).

ومصداق ذلك في كتاب الله قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْجٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

ولهذا شرط الله تعالى في توبة الكاتمين ما أنزل الله من البينات والهدى البيان؛ لأن ذنبهم لما كان بالكتمان كانت توبتهم منه بالبيان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]. وذنوب المبتدع فوق ذنب الكاتم لأن ذاك كتم الحق، وهذا كتمه ودعا إلى خلافه، فكل مبتدع كاتم، ولا ينعكس ^(٢).

«فتوبة الداعي إلى البدعة أن يبين أن ما كان يدعو إليه بدعة وضلالة، وأن الهدى في ضده، كما شرط تعالى في توبة أهل الكتاب الذين كان ذنبهم كتمان ما أنزل الله من البينات والهدى؛ ليضلوا الناس بذلك، أن يصلحوا العمل في نفوسهم، ويبينوا للناس ما كانوا يكتُمونهم إياه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩].

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٦٠٢).

(٢) «مدارج السالكين» (١/٣٦٣).

فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾» (١).

«فالتوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه، فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آهَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَيْنَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ [١٦٦] وَإِذَا لَا تَنبِيئُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَايَيْنَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢٨] [الحديد: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١٦] [المائدة: ١٥، ١٦]. وشواهد هذا كثيرة في الكتاب والسنة» (٢).

* * *

(١) «عدة الصابرين» (ص ٥٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٩/١٠).

القاعدة الثامنة والأربعون

أن من منهاجهم التعامل مع الخلق بالصدق والأمانة والنصح

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ٨١].

وقال أناسٌ لابن عمر: إنا ندخلُ على سلطاننا فنقولُ لهم خلافَ ما نتكلّمُ إذا خرجنا من عندهم. قال: «كنا نَعُدُّها نفاقًا». أخرجه البخاري^(١).

قال شيخ الإسلام: «فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه، وإلا فبقلمه، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه، وإما أن يكتمه، وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون وامرأة فرعون، وهو لم يكن موافقًا لهم على جميع دينهم، ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم

يبحه الله قط إلا لمن أُكْرِهَ، بحيث أُبيحَ له النطق بكلمة الكفر، والله تعالى قد فرَّق بين المنافق والمُكْرِه، وأهل البدع حالهم من جنس حال المنافقين، لا من جنس حال المُكْرِه الذي أُكْرِه على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن هذا الإكراه لا يكون عامًّا من جمهور بني آدم، بل المسلم يكون أسيرًا أو منفردًا في بلاد الكفر، ولا أحد يُكرهه على كلمة الكفر، ولا يقولها، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، وقد يحتاج إلى أن يلين لناس من الكفار ليظنوه منهم، وهو مع هذا لا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، بل يكتُم ما في قلبه، وفرَّق بين الكذب وبين الكتمان، فكتمان ما في النفس يستعمله المؤمن حيث يعذره الله في الإظهار، كمؤمن آل فرعون، وأما الذي يتكلم بالكفر فلا يعذره إلا إذا أُكْرِه. والمنافق الكذاب لا يعذر بحال، ولكن في المعاريض مندوحة عن الكذب.

ثم ذلك المؤمن الذي يكتُم إيمانه يكون بين الكفار الذين لا يعلمون دينه، وهو مع هذا مُؤمَّن عندهم يحبونه ويكرمونه، لأن الإيمان الذي في قلبه يوجب أن يعاملهم بالصدق والأمانة والنصح وإرادة الخير بهم، وإن لم يكن موافقًا لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر، وكانوا كفارًا، وكما كان مؤمن آل فرعون يكتُم إيمانه، ومع هذا كان يعظُم موسى ويقول: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨].

وأما الراضي فلا يعاشر أحدًا إلا استعمل معه النفاق، فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد يحمله على الكذب والخيانة، وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالًا، ولا يترك شرًّا يقدر عليه إلا فعله بهم،

وهو ممقوت عند من لا يعرفه، وإن لم يُعرف أنه رافضي تظهر على وجهه سيما النفاق، وفي لحن القول، ولهذا تجده ينافق ضعفاء الناس ومن لا حاجة به إليه؛ لما في قلبه من النفاق الذي يضعف قلبه»^(١).

* * *

رَفَعُ
عبد الرحمن العجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة التاسعة والأربعون

ويعتقدون أنه لا تتم الرغبة في
الآخرة إلا بالزهد في الدنيا

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ لَهُۥ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَمُوتَ فِي الْأَرْضِ
تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأأنفال: ٦٧].
وقال تعالى: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾
[النجم: ٢٩].

قال ابن القيم: «ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين
صحيحين:

النظر الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها، واضمحلالها
ونقصها وخسستها، وألم المزاحمة عليها، والحرص عليها، وما في ذلك
من الغصص والنغص والأنكاد، وآخر ذلك الزوال والانقطاع، مع ما
يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها،
وهم حال الظفر بها، وعم وحزن بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها - ولا بد - ودوامها
وبقائها، وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات، والتفاوت الذي بينه وبين
ما هاهنا، فهي كما قال الله سبحانه: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٧].

فهي خيرات كاملة دائمة، وهذه خيالات ناقصة منقطعة مضمحلة .
 فإذا تمَّ له هذان النظران أثر ما يقتضي العقل إثارة، وزهد فيما
 يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع على أن لا يترك النفع العاجل واللذة
 الحاضرة إلى النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة - إلا إذا تبين له فضلُ
 الآجلِ على العاجل وقويت رغبته في الأعلى الأفضل، فإذا أثر الفاني
 الناقص كان ذلك إما لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل،
 وكل واحد من الأمرين يدل على ضعف الإيمان، وضعف العقل
 والبصيرة.

فإن الراغب في الدنيا الحريص عليها المؤثر لها؛ إما أن يُصدِّق بأن
 ما هناك أشرف وأفضل وأبقى، وإما أن لا يُصدِّق، فإن لم يصدق بذلك
 كان عادماً للإيمان رأساً! وإن صدَّق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل
 سيئ الاختيار لنفسه.

وهذا تقسيم حاضر ضروري لا ينفك العبد من أحد القسمين منه،
 فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في
 العقل، وما أكثر ما يكون منهما، ولهذا نبذها رسول الله ﷺ وراء ظهره
 هو وأصحابه، وصرفوا عنها قلوبهم، وطرحوها ولم يألفوها، وهجروها
 ولم يميلوا إليها، وعدُّوها سجنًا لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو
 أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب، فقد
 عُرضت عليه مفاتيح كنوزها فردَّها، وفاضت على أصحابه فأثروا بها،
 ولم يبيعوا حظهم من الآخرة بها، وعلموا أنها معبر وممر، لا دار مقام
 ومستقر، وأنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف تنقشع عن
 قليل، وخیال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل.

قال النبي ﷺ: «مالي وللدنيا، إنما أنا كراكب قال^(١) في ظل شجرة، ثم راح وتركها»^(٢). وقال: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل أحدكم إصبعه في اليم، فليتنظز به ترجع»^(٣).

وقال خالقها سبحانه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٤، ٢٥]. فأخبر عن خسة الدنيا وزهد فيها، وأخبر عن دار السلام ودعا إليها.

وقال تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦]. وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُمْصَقًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ

(١) قال، من القيلولة: وهي الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معها نوم. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١٣٣/٤).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/٣٠١، ٣٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧)، وغيرهما من حديث ابن مسعود ؓ، وانظر «الصحيحة» (٤٣٨).

(٣) أخرجه مسلم (٥٥/٢٨٥٨) من حديث المستورد بن شداد ؓ.

الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثَ ذَلِكَ مَتَعُ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ ﴿١٤﴾ قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ
أَتَقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ
مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَفِرْحَانًا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾

[الرعد: ٢٦].

وقد توعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها،
وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴿٨﴾ [يونس: ٧، ٨].

وعبر سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ
﴿٢٨﴾ ﴿٢٨﴾ [التوبة: ٣٨]. وعلى قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون ثقاقله
عن طاعة الله وطلب الآخرة.

ويكفي بالزهد في الدنيا قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ
جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٧﴾ [الشعراء: ٢٥٥-٢٠٧]
وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾
[يونس: ٤٥].

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ نَّهَارٍ بَلَّغُ فَعَلٌ
يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِمَهَا ﴿٤٢﴾ ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ

رَبِّكَ مُنْهَهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَحْشَدْهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَوْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٦﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٦].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

وقوله: ﴿قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢ - ١١٤].

وقوله: ﴿يَوْمَ يُفْخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١١٦﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ

إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١١٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْ لَهُمْ طَرِيقَةٌ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٤]. واللَّهُ المستعان وعليه التُّكْلان»^(١).



رَفَعُ
عبد الرحمن الحمدي
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الخمسون

أنهم يقرّرون أنه يقع الغلط في مفهوم الورع من ثلاث جهات

«أحدّها: اعتقاد كثير من الناس أنه من باب الترك، فلا يرون الورع إلا في ترك الحرام، لا في أداء الواجب، وهذا يُبتلى به كثير من المُتَدَيِّنَةِ المتورّعة، ترى أحدهم يتورع عن الكلمة الكاذبة وعن الدرهم فيه شبهة؛ لكونه من مال ظالم، أو معاملة فاسدة، ويتورع عن الركون إلى الظلمة؛ من أجل البدع في الدين، وذوي الفجور في الدنيا، ومع هذا يترك أمورًا واجبة عليه، إما عينًا وإما كفاية، وقد تعينت عليه: من صلّة رَجَم، وحقّ جارٍ ومسكين، وصاحبٍ ویتیم وابن سبیل، وحق مسلم، وذو سلطان وذو علم، وعن أمرٍ بمعروف ونهي عن منكر، وعن الجهاد في سبيل الله، إلى غير ذلك مما فيه نفع للخلق في دينهم ودنياهم، مما وجب عليه، أو يفعل ذلك لا على وجه العبادة لله تعالى، بل من جهة التكليف ونحو ذلك، وهذا الورع قد يوقع صاحبه في البدع الكبار، فإن ورع الخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم من هذا الجنس، تورّعوا عن الظلم وعن ما اعتقدوه ظلمًا من مخالطة الظلمة، في زعمهم، حتى تركوا الواجبات الكبار: من الجمعة والجماعة،

والحج والجهاد، ونصيحة المسلمين، والرحمة لهم، وأهل هذا الورع ممن أنكر عليهم الأئمة، كالأئمة الأربعة، وصار حالهم يذكر في اعتقاد أهل السنة والجماعة.

الجهة الثانية من الاعتقاد الفاسد: أنه إذا فعل الواجب والمشتبه وترك المحرّم والمشتبه، فينبغي أن يكون اعتقاد الوجوب والتحريم بأدلة الكتاب والسنة، وبالعلم لا بالهوى، وإلا فكثير من الناس تنفر نفسه عن أشياء لعادة ونحوها، فيكون ذلك مما يقوي تحريمها واشتباها عنده، ويكون بعضهم في أوهام وظنون كاذبة، فتكون تلك الظنون مبناهما على الورع الفاسد، فيكون صاحبه ممن قال الله تعالى فيه: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

وهذه حال أهل الوسوسة في النجاسات؛ فإنهم من أهل الورع الفاسد، المركب من نوع دينٍ وضعف عقلٍ وعلم، وكذلك ورع قوم يُعدُّون غالب أموال الناس محرمة، أو مشتبهة، أو كلها، وآل الأمر ببعضهم إلى إحلالها لذي سلطان؛ لأنه مستحق لها، وإلى أنه لا يقطع بها يد السارق، ولا يحكم فيها بالأموال المغصوبة، وقد أنكر حال هؤلاء الأئمة، كأحمد بن حنبلٍ وغيره وذمّ المنتنعين في الورع.

وقد روى مسلم في «صحيحه»^(١) عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المنتنعون». قالها ثلاثاً.

وروع أهل البدع كثير منه من هذا الباب، بل ورع اليهود والنصارى والكفار عن واجبات دين الإسلام من هذا الباب، وكذلك ما ذمه الله

(١) برقم (٧/٢٦٧٠).

تعالى في القرآن من ورعهم عما حرّموه ولم يحرّمه الله تعالى، كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

ومن هذا الباب الورع الذي ذمّه الرسول ﷺ في الحديث الذي في «الصحيح» لما ترخّص في أشياء فبلغه أن أقوامًا تنزّهوا عنها، فقال: «ما بال رجالٍ يتنزّهون عن أشياء أترخّصُ فيها! والله إنني لأرجو أن أكون أعلمهم بالله وأخشاهم». وفي رواية: «أخشاهم وأعلمهم بحدوده له»^(١). وكذلك حديث صاحب القُبلة^(٢)، ولهذا يحتاج المتديّن المتورّع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والفقّه في الدين، وإلا فقد يفسد تورعه الفاسد أكثر مما يصلحه، كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم.

الثالثة: جهة المعارض الراجح، هذا أصعب من الذي قبله، فإن الشيء قد يكون جهة فساده يقتضي تركه، فيلحظه المتورّع ولا يلحظ ما يعارضه من الصلاح الراجح، وبالعكس، فهذا هذا، وقد تبين أن من جعل الورع الترك فقط، وأدخل في هذا الورع أفعال قوم ذوي مقاصد صالحة بلا بصيرة من دينهم، وأعرض عما فوّتوه بورعهم من الحسنات الراجحة - فإن الذي فاته من دين الإسلام أعظم مما أدركه، فإنه قد يعيب أقوامًا هم إلى النجاة والسعادة أقرب.

وهذه القاعدة منفعتها لهذا الضرب وأمثاله كثيرة، فإنه ينتفع بها أهل الورع الناقص أو الفاسد، وكذلك أهل الزهد الناقص أو الفاسد.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٠، ٦٨٧١)، ومسلم (٢٣٥٦/١٢٧، ١٢٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) يعني الذي قبّل امرأته وهو صائم. والحديث رواه مسلم (٧٤/١١٠٨)، من حديث عمر ابن أبي سلمة رضي الله عنهما.

فإن الزهد المشروع الذي به أمر الله ورسوله هو عدم الرغبة فيما لا ينفع من فضول المباح، فترك فضول المباح الذي لا ينفع في الدين زهد وليس بورع، ولا ريب أن الحرص والرغبة في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا من المال والسلطان مضر، كما روى الترمذي عن كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»^(١). قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

فدَّمَ النبي ﷺ الحرص على المال والشرف، وهو الرياسة والسلطان، وأخبر أن ذلك يفسد الدين مثل، أو فوق، إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم، وهذا دليل على أن هذا الحرص إنما دُم لأنه يُفسد الدين الذي هو الإيمان والعمل الصالح، فكان ترك هذا الحرص لصالح العمل، وهذان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ۖ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]. وهما اللذان ذكرهما الله في سورة القصص حيث افتتحها بأمر فرعونَ وذكرِ عُلوِّه في الأرض، وهو الرياسة والشرف والسلطان، ثم ذكر في آخرها قارون وما أوتيته من الأموال، وذكر عاقبة سلطان هذا، وعاقبة مال هذا، ثم قال: ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخْرَةِ يُجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فسادًا﴾ [القصص: ٨٣]. كحال فرعون وقارون، فإن جمع الأموال من غير إنفاقها في مواضعها المأمور بها، وأخذها من غير وجهها، هو من نوع الفساد^(٢).

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٩٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤٣/٢٠). وما بعد.

القاعدة الحادية والخمسون

أنهم يَدْعُونَ إلى ما دعا إليه القرآن من مكارم الأخلاق

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].
قال ابن القيم: «فتدبر ما تضمنته هذه الآية من حسن المعاشرة مع الخلق، وأداء حق الله فيهم، والسلامة من شرهم، فلو أخذ الناس كلهم بهذه الآية لكفتهم وشفقتهم، فإن العفو ما عُفي من أخلاقهم وسمحت به طبائعهم، ووسعهم بذله من أموالهم وأخلاقهم، فهذا ما منهم إليه، وأما ما يكون منه إليهم: فأمرهم بالمعروف، وهو ما تشهد به العقول وتعرف حسنة، وهو ما أمر الله به، وأما ما يتقي به أذى جاهلهم: فالإعراض عنه، وترك الانتقام لنفسه، والانتصار لها.

فأي كمال للعبد وراء هذا؟ وأي معاشرة وسياسة لهذا العالم أحسن من هذه المعاشرة والسياسة؟! فلو فكّر الرجل في كل شرّ يلحقه من العالم، أعني الشر الحقيقي الذي لا يوجب له الرفعة والزلفى من الله؛ وجد سببه الإخلال بهذه الثلاث، أو بعضها، وإلا فمع القيام بها فكل ما يحصل له من الناس فهو خير له، وإن كان شرًا في الظاهر، فإنه يتولد من الأمر بالمعروف، ولا يتولد منه إلا خيرًا، وإن ورد في حالة شر وأذى، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شُرًا

لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴿النور: ١١﴾.

وقال تعالى لنبية ﷺ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقد تضمنت هذه الكلمات مراعاة حق الله وحق الخلق، فإنهم إما يسيئوا في حق الله، أو في حق رسوله، فإن أساءوا في حقك فقابل ذلك بعفوك عنهم، وإن أساءوا في حقي فاسألني أغفر لهم، واستجلب قلوبهم، واستخرج ما عندهم من الرأي بمشاورتهم، فإن ذلك أحرى في استجلاب طاعتهم وبذل النصيحة، فإذا عزمت فلا استشارة بعد ذلك، بل توكل وامض لما عزمت عليه من أمرك، فإن الله يحب المتوكلين، فهذا وأمثاله من الأخلاق التي أدب الله بها رسوله ﷺ، وقال تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن»^(١). وهذا لا يتم إلا بثلاثة أشياء:

أحدها: أن يكون العود طيباً، فأما إن كانت الطبيعة جافية غليظة يابسة عسر عليها مزاولة ذلك علماً وإرادة وعملاً، بخلاف الطبيعة المنقادة اللينة السلسة القياد، فإنها مستعدة؛ إنما تريد الحرث والبذر.

الثاني: أن تكون النفس قوية غالبية، قاهرة لدواعي البطالة والغي والهوى، فإن هذه الأمور تنافي الكمال، فإن لم تقو النفس على قهرها، وإلا لم تزل مغلوبة مقهورة.

الثالث: علم شاف بحقائق الأشياء وتنزيلها منازلها يميز بين الشحم والورم، والزجاجة والجوهرة.

(١) تقدم تخريجه (ص: ١٧٦).

فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث وساعد التوفيق فهو القسم الذي سبقت لهم من ربهم الحسنَى، وتمت لهم العناية»^(١).



(١) «زاد المهاجر إلى ربه» (ص ٧٧).

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الثانية والخمسون

ويعتقدون أن الله تعالى جعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين

بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ يَا مَرْيَمُ لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

قال شيخ الإسلام: «فإن الدين كله علمٌ بالحق وعملٌ به، فالعملُ به لا بدَّ فيه من الصبر، بل وطلبُ علمه يحتاج إلى الصبر، كما قال معاذ ابن جبل: «عليكم بالعلم، فإن طلبه لله عبادةٌ، ومعرفةً خشيةً، والبحثُ عنه جهادٌ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقةٌ، ومذاكرته تسييحٌ، به يُعرفُ اللهُ ويُعبدُ، وبه يُمجَّدُ ويوحَّد، يرفعُ اللهُ بالعلم أرقامًا فيجعلهم للناس قادةً وأئمةً، يهتدون بهم، وينتهون إلى رأيهم»^(١).

فجعل البحث عن العلم من الجهاد، ولا بدَّ في الجهاد من الصبر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/٢٣٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٣٩).

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾﴾

[ص: ٤٥].

فالعلم النافع هو أصل الهدى، والعمل بالحق هو الرشاد، وضد الأول هو الضلال، وضد الثاني هو الغي، والضلال: العمل بغير علم، والغي: اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْوَى إِذَا هُوَ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾﴾ [النجم: ١، ٢]. فلا يُنال الهدى إلا بالعلم، ولا يُنال الرشاد إلا بالصبر، ولهذا قال علي: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد»، ثم رفع صوته فقال: «ألا لا إيمان لمن لا صبر له»^(١) اهـ^(٢).

وقال ابن القيم: «وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع، والهوى على العقل، فالأول أصل فتنة الشبهة، والثاني أصل فتنة الشهوة، وفتنة الشبهات تُدفع باليقين، وفتنة الشهوات تُدفع بالصبر، ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ يَا أَمْرًا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]. فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين»^(٣).

واعلم أن الرجل لا يكون إمامًا في الدين حتى يكون رأسًا في الدعوة إلى التوحيد، والموالاة والمعاداة فيه، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٢٥٧).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤٠/١٠).

(٣) «إغاثة اللهفان» (١٦٧/٢).

إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ
وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ
﴿٤﴾ [الممتحنة: ٤].

واعلم أن متبع الهوى ليس أهلاً أن يطاع، ولا يكون إماماً ولا
متبوعاً، فإن الله سبحانه وتعالى عزله عن الإمامة، ونهى عن طاعته، أما
عزله فإن الله سبحانه وتعالى قال لخليله إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. أي: لا ينال عهدي بالإمامة
ظالمًا. وكل من اتبع هواه فهو ظالم، كما قال الله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الروم: ٢٩]. وأما النهي عن طاعته
فلقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ
فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] (١).

* * *

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الثالثة والخمسون

أن الكفار عندهم ليسوا على درجة واحدة في التعامل معهم

قال تعالى: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَ إِن تَأْمَنهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنَ إِن تَأْمَنهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [آل عمران: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨].

قال ابن كثير: «وقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ﴾. أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا﴾. أي: يعاونوا على إخراجكم، كالنساء والضعفة منهم، ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾. أي: تحسنوا إليهم، ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾. أي: تعدلوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: قدمت أمي وهي مشرقة في عهد قريش إذ عاهدوا، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا

رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك». أخرجاه^(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عارم: حدثنا عبد الله بن المبارك: حدثنا مصعب بن ثابت: حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: «قَدِمْتُ قُتَيْلَةَ عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ بَهْدَايَا: ضِبَابٍ وَأَقْطٍ وَسَمْنٍ، وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَأَبَتْ أَسْمَاءُ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَأَنْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا»^(٢). وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به، وفي رواية لأحمد وابن جرير: «قُتَيْلَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ عَبْدِ أَسْعَدٍ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ». وزاد ابن أبي حاتم: «في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله ﷺ»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. جاء في الحديث الصحيح: «المُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُولَّوهُمْ﴾. أي: إنما ينهاكم عن موالاته هؤلاء الذين ناصبوك بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم؛ ينهاكم

(١) أخرجه أحمد (٣٤٥/٦)، والبخاري (٥٦٣٤، ٢٤٧٧)، ومسلم (٥٠/١٠٠٣) كلهم من غير هذا الطريق.

(٢) أخرجه أحمد (٤/٤).

(٣) أخرجه أحمد (٤/٤)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣٢٢/٢٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠٢/١٢).

(٤) أخرجه مسلم (١٨/١٨٢٧)، وفيه: «يمين الرحمن» بدل «يمين العرش».

اللَّهُ ﷻ عَنْ مَوَالِيهِمْ وَيَأْمُرُكُمْ بِمَعَادَاتِهِمْ، ثُمَّ أَكَّدَ الْوَعِيدَ عَلَى مَوَالِيهِمْ فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ أَظْلَمُونَ﴾.

كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّا لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٥١]»^(١).

وبين النبي ﷺ أن نقض عهودهم غدرًا سبب لتسليطهم على المسلمين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَمْ تَجْتَبُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا؟». فقيل له: وَكَيْفَ تَرَىٰ ذَلِكَ كَانِنَا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قال: «إِي وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ عَنْ قَوْلِ الصَّادِقِ الْمَضْدُوقِ». قالوا: عَمَّ ذَاكَ؟ قال: «لَا تُنْتَهَكُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ ﷺ فَيَشُدُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلُوبَ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَيَمْنَعُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ». أخرجه البخاري^(٢).

وقال النبي ﷺ: «ذممة المسلمين واحدة، فمن أخفر مسلمًا^(٣) فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل». أخرجه البخاري عن علي رضي الله عنه^(٤). وقال: «من قتل معاهدًا لم يرح^(٥) رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عامًا». أخرجه البخاري من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه^(٦).

* * *

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/٣٥٠).

(٢) برقم (٣٠٠٩).

(٣) أخفر مسلمًا: نقض عهده. «فتح الباري» (٦/٢٨٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٧٧١).

(٥) لم يرح: أي: لم يشم ريحها. «النهاية في غريب الحديث» (٢/٢٧٢).

(٦) أخرجه البخاري (٢٩٩٥، ٩٥١٦).

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

القاعدة الرابعة والخمسون

ويعتقدون ما دل عليه قوله تبارك وتعالى:
﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنهَوْتَ عَنِ
الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَأَتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾
[هود: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾
إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَآنَ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴿١١٨﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]. وقال تعالى ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ
بِالْحَقِّ وَيَبْهَى يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَبْهَى يَعْدِلُونَ﴾
[الأعراف: ١٨١].

وقال تعالى ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا
وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩].

وقوله عليه السلام في السنن والمسائيد، ك«سنن أبي داود» و«الترمذي» و«النسائي» وغيرهم، ولفظه: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»^(١). وفي لفظ: «على ثلاث وسبعين ملة». وفي رواية: قالوا: يا رسول الله، من الفرقة الناجية؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي». وفي رواية: قال: «هي الجماعة، يد الله على الجماعة». وإن الافتراق من سنن الله الكونية القدرية المرتبطة بالأسباب الشرعية.

قال شيخ الإسلام: «وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك هم أعلمهم بأثار المرسلين وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة، فإنهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة، ويمتازون عنهم بما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم مما يجهله غيرهم أو يكذب به»^(٢).

وقال - يعني في الفرقة الناجية، وهم أهل الحديث والسنة - : «فهم أعلم الناس بأقواله وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأتمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها، واتباعاً لها: تصديقاً وعملاً وحباً، وموالاةً لمن والها، ومعاداةً لمن عادها، الذين يردون

(١) تقدم تخريجه (ص: ٣١، ٣٢).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/٢٦).

المقالات المُجمَلة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة، فلا يُنصّبون مقالةً ويجعلونها من أصول دينهم وجُمَلِ كلامهم، إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول ﷺ، بل يجعلون ما بعث به الرسول ﷺ من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه»^(١).

وقال: «ولهذا تجدُ المعتزلة والمرجئة وغيرهم من أهل البدع يفسّرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وأثارهم؛ وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وأثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعها رؤوسهم، وهذه طريقة الملاحدة أيضًا، إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة، وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها، فهؤلاء يُعرضون عن نصوص الأنبياء؛ إذ هي عندهم لا تفيد العلم، وأولئك يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي ﷺ وأصحابه»^(٢).

وقال رحمه الله في أهل الحديث: «ولهذا تجدُ أهلَ الحديث يزكُّون به نفوسهم، ويقصدون فيه أتباع الحق لا أتباع الهوى، ويسلكون فيه سبيل العدل والإنصاف، ويحبونه ويلتذنون به، ويحبون كثرتَه وكثرة أهله، وتنبعث هممهم على العمل به وبموجبه ومقتضاه، بخلاف من لم

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/٣٤٧).

(٢) «المصدر السابق» (٧/١١٩).

يذقُ حلاوته، وليس مقصوده إلا مالاً أو رياسةً، فإن ذلك لو حصل له بطريقٍ آخرٍ سلكه، وربما رجَّحه إذا كان أسهلَ عليه»^(١).

* * *

(١) «منهاج السنة» (٨/٢١٠).

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* أوصيك يا أخي - أحسنَ اللهُ توفيقك - ونفسي بتقوى الله، فإن اتقيته كفاك كلَّ همٍّ، وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].



* وأوصيك بإيثار طاعة الله تعالى، واجتناب مخالفتِهِ، والإقبال بالكلية عليه، والرجوع في كلِّ همٍّ ونائبية إليه، وترك الركون إلى الخلق والاعتماد عليهم، وإياك والرجوع إليهم في كلِّ شيءٍ من أسبابك؛ بل يكون رجوعك إلى الله واعتمادك وتوكلك عليه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

واعلم أن الخلق كلُّهم عاجزون ومدبرون، ومن عجز عن نفع نفسه كيف يقدر على نفع غيره؟! ولذلك قال بعضُ السلف: «استغاثَةُ المخلوقِ بالمخلوقِ كاستغاثَةِ المسجونِ بالمسجونِ».



* وانظر ألا يشغلك عن الله تعالى أهلٌ ولا مالٌ ولا ولدٌ؛ فتخسرَ عمرَكَ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا لَّهُمْ فِيهَا أَمْوَالٌ وَلَا أَوْلَادٌ كُمْ عَنْ

ذَكَرَ اللَّهُ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرُونَ ﴿٩﴾ [المنافقون: ٩].
 * وَيُقَرِّبُكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّفْهَمِ
 فِيمَا خَاطَبَكَ بِهِ مِنْ أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، فَتَمَثَّلْ لِأَوْامِرِهِ وَتَنْزَجِرْ عَنِ نَوَاهِيهِ.

• • •

* وَاتَّبِعْ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ أفعالِكَ وَأَقْوَالِكَ، وَجَمِيعِ أَسْبَابِكَ
 وَأَحْوَالِكَ، وَإِيَّاكَ وَمُخَالَفَةَ السَّنَةِ فِيمَا دَقَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:
 ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

• • •

* وَاقْتَدِ بِسِيرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، مِنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
 الْمُنْكَرِ، وَابْدَأْ فِي ذَلِكَ بِنَفْسِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ مُخْبِرًا عَنْ شُعَيْبِ بْنِ عَبْدِ
 اللَّهِ: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

• • •

* عَوِّذْ نَفْسَكَ صَحْبَةَ الْأَخْيَارِ وَالتَّبَاعَدَ عَنِ صَحْبَةِ الْأَشْرَارِ، فَإِنَّهُ ثَبَتَ
 عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١). وَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ
 قَوْمًا فَهُوَ مِنْهُمْ»^(٢). وَقَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»^(٣).

• • •

* وَأَقْلِبْ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الْمَتْرَفِينَ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الدُّخُولَ عَلَيْهِمْ
 وَالنَّظَرَ فِي زِينَتِهِمْ يُصَغِّرُ فِي عَيْنِكَ عَظِيمَ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى

(١) تقدم تخريجه ص (٢٦٢).

(٢) انظر ما بعده.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨١٩٥٨١٦)، ومسلم (١٦٥١٦١/٢٦٣٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.

يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ﴿١٣١﴾ [طه: ١٣١].



* وعليك بصحبة الزهاد في الدنيا، ومخالطة الصالحين والراغبين في الآخرة، والتاركين حظوظهم عن هذه الدنيا الفانية، طالباً بذلك رضا الله عنك، والدار الآخرة، فإن الله تعالى أخبر عن الفريقين فقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

وقال النبي ﷺ: «انظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر ألا تزدرى نعم الله عليك»^(١).



* ولا تهتم بشيء من الدنيا، فإنه ورد عن يحيى بن معاذ أنه قال: «الدنيا عدم لا تساوي غم ساعة، فكيف بغم طول عمرِكَ فيها مع قليل نصيب منها؟»^(٢).

* وطالب نفسك في كل وقت بما هو أولى بك في ذلك الوقت، فإن سهل بن عبد الله قال: «وقتكَ أعزُّ الأشياءِ عليك، فاشغله بأعزُّ الأشياءِ»^(٣).

* واترك ما لا يعينك من الأفعال والأقوال والحركات والسعي، فإن

(١) أخرجه مسلم (٩/٢٩٦٣).

(٢) «عيوب النفس» (٤٥/١) لأبي عبد الرحمن السلمي، رحمه الله.

(٣) نفس المصدر السابق.

النبي ﷺ قال: «من حُسنِ إسلامِ المرءِ تزكُّه ما لا يعنيه»^(١).



* والزم الإخلاص في جميع أفعالِك وطاعاتِك وتصرفاتِك، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. وأخلص العملَ يكفك القليلُ منه.

وطالبُ نفسِك بالصدقِ في إخلاصِك وفي جميع تصرفاتِك، فإن كلَّ حالٍ خلا من الصدقِ فهو هباءٌ، قال الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]. وقال النبي ﷺ: «الصدقُ يهدي إلى البرِّ»^(٢).

* وداومِ التفكيرَ فيما سبق منك من المخالفاتِ، فإن النبي ﷺ كان دائمَ التفكيرِ، متواصلَ الأحزانِ.

وتفكَّر فيما ارتكبته من المخالفاتِ والذنوبِ، فجدد لك، وخذ بالتذكرِ ندماً وتوبةً واستغفاراً، فإن النبي ﷺ قال: «الندمُ توبةٌ»^(٣).



* وأطع والديك، فإن الله تعالى قرَنَ حقَّهما بحقِّه، فقال تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْوَصِيِّ﴾ [لقمان: ١٤].
وسئل النبي ﷺ: من أبرُّ؟ قال: «أمك». قيل: ثم من؟ قال: «أمك».

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، من حديث أبي هريرة ؓ، وانظر «صحيح الجامع» (١٠٨٥٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٢٩٧).

(٣) صحيح: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٢) من حديث ابن مسعود ؓ، وانظر «صحيح الترغيب» (٣١٤٦).

قيل: ثم مَنْ؟ قال: «أمك». قيل: ثم مَنْ؟ قال: «أباك، ثم الأقرب فالأقرب»^(١).

* وصل رَحِمَكَ، فإن صلة الرحم تزيد في العمر، وقطيعة الرِّحِم من الكبائر، فإن النبي ﷺ يقول: «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ»^(٢)، يقول الله: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلَتْهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعَتْهُ»^(٣).

* وأحسِن خُلُقَكَ لإخوانك وأصحابك وخدامك، ومَنْ وَلَآكَ اللهُ أمره، فإن النبي ﷺ قال: «أثقل ما يوضع في الميزان خُلُقٌ حسنٌ»^(٤).

* وأكرم جيرانك وأحسِن إليهم، فإن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريلُ يوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيورثه»^(٥).

* وأعن مَنْ يستعين بك، فإن النبي ﷺ قال: «فإن الله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه»^(٦).

* واقبل عذرَ من اعتذر إليك، صادقًا كان أو كاذبًا، فإن الله تعالى مدح نبيّه يوسفَ عليه السلامَ بقبولِ عذرِ إخوته بقوله: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢].



* ولا تهتك عن مسلم سِتْرًا، فإن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٨) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) شجنة من الرحمن: أي: مشتقة من اسمه. فيض القدير (٥٧/٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٢، ٥٦٤٣) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٤٤٢/٦)، وانظر «الصحيحة» (٨٧٦).

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٦٨، ٥٦٦٩)، ومسلم (٢٦٢٤/١٤٠، ٢٦٢٥/١٤١) من حديث ابن

عمر وعائشة رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه مسلم (٣٨/٢٦٦٩) من حديث أبي هريرة ؓ.

المسلم، سَتَرَ اللهُ عورته في الدنيا والآخرة^(١).

* وقابل القطيعة بالصلة، والإساءة بالإحسان، والظلم بالصبر والغفران، فإن النبي ﷺ قال: «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَاغْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ»^(٢).

* واجتنب الحسد في أمور الدنيا، فإن النبي ﷺ قال: «لَا تَحَاسَدُوا»^(٣).

وعظّم الأَكْبَرَ، وارحَم الأصَاغَرَ؛ لقوله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَلَمْ يَوْقُرْ كَبِيرَنَا»^(٤).

وألزَم الحياءَ، فإن النبي ﷺ قال: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٥). وقال: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»^(٦).

وتَوَاضَعَ للفقراءِ، وَلِئِنْ لَهْمُ، وَارْفُقْ بِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وَإِذَا صَحَّ عَظْمُكَ بَعْدَ الْمَشُورَةِ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَاقْطَعْ تَعْلُقَكَ عَنْ

(١) صحيح: أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (٢٥٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وانظر «صحيح ابن ماجه» (٢٠٦٣)، وأخرج بنحوه مسلم ضمن الحديث السابق.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٤٨/٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وانظر «الصحيححة» (٨٩١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٦/٢٤، ٢٥٥٦٣/٣٠، ٢٥٦٤/٣٢) من حديث أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٢٠٧/٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وانظر «الصحيححة» (٢١٩٦).

(٥) أخرجه البخاري (٥٧٦٧)، ومسلم (٥٩/٣٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه مسلم (٦٠/٣٧) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

الخلق، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].
 والتوكل هو أن تكملَ أمورَكَ بالكلية إلى الله سبحانه وتعالى، وترضى
 بحسن اختياره لك، فإنه سيكفيك.

وَصُنْ نَفْسَكَ وَسَمْعَكَ عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَى الكَذِبِ والغِيْبَةِ والبَهْتَانِ
 والفضول، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
 مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

واجتنب أكلَ الحرام والشبهات، فإن النبي ﷺ قال: «كُلُّ لَحْمٍ نَبَتْ
 مِنْ السُّحْتِ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»^(١).

وراقب الله تعالى في خَلَوَاتِكَ وَأَفْعَالِكَ وَأَحْوَالِكَ، فإن الله تعالى
 يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وداوم على ذكرِ الله، فإنك تستجلبُ بذكرك له ذكرَه لك، قال الله
 تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال ﷺ: «يقولُ اللهُ تعالى: مَنْ
 شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ»^(٢).



وأقلل الضحك، فإنه رُوي عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «كثرة الضحك
 تُمِيتُ القَلْبَ»^(٣).

وقرب أجلك، وبعُد أملك، فإنه عونٌ لك على الخيرات، فإن الله

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٦١٤) من حديث كعب بن عجرة ؓ، وانظر «الصحيحة»
 (٢٦٠٩).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد ؓ، وانظر «الصحيحة»
 (١٣٣٥).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٣٠٥) من حديث أبي هريرة ؓ، وانظر «الصحيحة» (٥٠٦).

تعالى يقول: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ﴾ [الحجر: ٣]. والنبِيُّ ﷺ رسم خَطَيْنِ، وقال: «هذا ابنُ آدمَ وهذا أجله، وثُمَّ أمله»^(١).
وأكثرُ نصيحة الخلقِ، فإن جَرِيرَ بن عبد الله ﷺ قال: «بايعتُ رسولَ الله ﷺ على النَّصْحِ لكلِّ مسلمٍ»^(٢).
واعلمُ أنك لا تصلُ إلى شيءٍ مما ذكرته لك إلا بتوفيقِ الله سبحانه وتعالى»^(٣).

تَمَّتِ الرِّسَالَةُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ليلة السبت، التاسع عشر من شهر رجب لعام ثمان وعشرين وأربعمائة وألف لهجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبارك وآله وصحبه أجمعين .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته

أبو عبد الرحمن

عبد الله بن صالح العبيلان

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٤، ٦٠٥٥) من حديث ابن مسعود وأنس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم (٩٨/٥٦).

(٣) وصية أبي عبد الرحمن السلمي، من كتابه «عيوب النفس» (٤٢/١) وما بعدها.

فهرس المحتويات

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المحتويات

- تقديم فضيلة الشيخ الفوزان ٥
- مقدمة المؤلف ٧
- القاعدة الأولى: الدينُ مبنيٌّ على أصلين عظيمين: الإخلاص، والمتابعة للنبي ﷺ. ١١
- القاعدة الثانية: أن مصدر التشريع والدعوة والعبادة هو: القرآن والسنة الصحيحة. ١٩
- القاعدة الثالثة: أن أهل السنة والجماعة لا يَسْتَقِلُّونَ بِفَهْمِ الْقُرْآنِ عَنِ السُّنَّةِ . ٢٥
- القاعدة الرابعة: أنهم لا يَسْتَقِلُّونَ بفهم الكتاب والسنة عن فهم السلف الصالح ٣١
- القاعدة الخامسة: أنهم أول ما يَدْعُونَ إلى التوحيد، فلا تنجح دعوة ولا تصلح عبادة إلا به ٣٩
- القاعدة السادسة: أنهم يبدءون دعوتهم بما بدأ الله به ورسوله ﷺ؛ فيقدِّمُونَ ما قَدَّمَهُ اللهُ ورسوله ﷺ ويؤخرون ما أخره الله ورسوله ﷺ، وبهذا يمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد ٤٧
- القاعدة السابعة: أنهم يعظِّمون جميع أمور الدين، فيَدْعُونَ إلى ما دعا إليه النبي ﷺ قدر الاستطاعة ٥١
- القاعدة الثامنة: أنهم لا يعارضون النصوص بعقولهم ولا بأهوائهم ولا بأذواقهم، ولا بقول رجال مثلهم ٥٧
- القاعدة التاسعة: أن ظهور المسلمين وصلاح أحوالهم مربوط بأمرين، وهما: العلم النافع، والعمل الصالح ٦٧
- القاعدة العاشرة: أنهم يعتقدون أن الجماعة أصل من أصول دينهم ٧٩

- القاعدة الحادية عشرة: أنهم يعتقدون أن أعظم أسباب الافتراق هو تشييع وتحزب بعض المسلمين إلى طائفة أو جماعة أو شخص غير رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ٨٥
- القاعدة الثانية عشرة: أنهم يعتقدون أن البيعة الشرعية لا تكون إلا لإمام مسلم بايعه أهل الجبل والعقد، والعامّة تبع لهم ١٠١
- القاعدة الثالثة عشرة: أنهم لا يرون منه الخروج على الولاة الظلمة والفسقة؛ بل يذمّون ذلك، ويذمّون من خرّج على الولاة دينًا ودنيا ١١١
- القاعدة الرابعة عشرة: أنهم يعتقدون أن أتباع الأهواء في الديانات - البدع - أعظم من أتباع الأهواء في الشهوات ١٢٣
- القاعدة الخامسة عشرة: أن دَعْوَتَهُمْ ظاهرة للناس جميعًا، لا سِرِّيَّة فيها ولا تخصيص ١٢٩
- القاعدة السادسة عشرة: أنهم يعتقدون أن التمكين في الأرض مِثْحَةٌ مِنَ اللَّهِ سبحانه وتعالى، يمنحها لمن قام بما أوجب الله عليه من العلم النافع والعمل الصالح ١٣٣
- القاعدة السابعة عشرة: أنهم يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر بالعلم والرفق والصبر، بقصد الإصلاح ١٣٧
- القاعدة الثامنة عشرة: ويدعون كل من تصدّى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى اعتبار المصالح والمفاسد بميزان الشريعة ١٤٩
- القاعدة التاسعة عشرة: أنهم يعتقدون أن الجهاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة ١٥٣
- القاعدة العشرون: ويؤمنون بما دلّ عليه القرآن من سُنة الله الكونية القدرية في قول الله تعالى: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٢٠﴾ ١٥٧
- القاعدة الحادية والعشرون: أن الاقتصاد بالعمل والاعتصام بالسنة عليهما مدار الدين ١٦٥

- القاعدة الثانية والعشرون: أنهم يحثون الأمة على فهم القرآن والحديث . . ١٦٧
- القاعدة الثالثة والعشرون: أنهم يحثون على دراسة السنة النبوية والعمل بها، ويحذرون من هجرها ١٦٩
- القاعدة الرابعة والعشرون: أنهم يقررون أن مقاصد الشريعة ثلاثة. ١٧٣
- القاعدة الخامسة والعشرون: بيان بعض الأسباب الداعية لترويج وقبول الباطل ١٧٧
- القاعدة السادسة والعشرون: أنهم يحذرون من الابتداع في الدين ومن القول على الله بلا علم ١٨٣
- القاعدة السابعة والعشرون: أنهم يحذرون من طريقة أهل البدع في رميهم العلماء السائرين على طريقة السلف الصالح بالغلظة والشدة بقصد التنفير منهم . . ١٨٩
- القاعدة الثامنة والعشرون: أنهم لا يوالون ويعادون في غير مرضاة الله . . ١٩٣
- القاعدة التاسعة والعشرون: أنهم يحذرون من جعل الدين وسيلة للحصول على الدنيا ١٩٧
- القاعدة الثلاثون: يعتقدون وجوب لزوم المنهاج النبوي في الدعوة إلى الله ٢٠٣
- القاعدة الحادية والثلاثون: أنهم يعتقدون أن التعامل مع الحوادث المتغيرة يجب أن يكون مبنياً على فهم أدلة الشريعة ومعرفة سنن الله في خلقه ٢١١
- القاعدة الثانية والثلاثون: وجوب تحذير الأمة من أئمة البدع ٢١٧
- القاعدة الثالثة والثلاثون: أن أهل البدع أقسام ٢٢١
- القاعدة الرابعة والثلاثون: أن ضرر أهل البدع على المسلمين قد يكون أعظم من ضرر الكفار ٢٢٥
- القاعدة الخامسة والثلاثون: وجوب تحذير المسلمين من الكتب المشتملة على البدع ٢٢٩
- القاعدة السادسة والثلاثون: وجوب الاعتدال في الحكم على المخالفين . ٢٣٥
- القاعدة السابعة والثلاثون: أن المخالفين لطريقة السلف واقعون بين الغلو والإرجاء ٢٣٩

- القاعدة الثامنة والثلاثون: أن المخالفين للسلف الصالح فتحوا باب التشكيك في الدين لأعداء الإسلام ٢٤٣
- القاعدة التاسعة والثلاثون: أن أثر البدعة يظهر على صفحات وجوههم وقلوبهم ٢٤٥
- القاعدة الأربعون: يعتقدون أن سياسة الناس يجب أن تكون وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وفهم السلف الصالح ٢٤٩
- القاعدة الحادية والأربعون: أنهم يرون أن من الوسائل الشرعية في الدعوة إلى الله مخاطبة الناس على قدر أفهامهم ومكانتهم ٢٥٣
- القاعدة الثانية والأربعون: أنهم يحذرون من مشابهة الكفار واتباع سبيلهم ٢٥٩
- القاعدة الثالثة والأربعون: أنهم يدعون الناس إلى أفراد الله بالتعلق تعبدًا واستعانةً، ولزوم الهدى النبوي في كل شؤونهم ٢٦٣
- القاعدة الرابعة والأربعون: أنهم يعتقدون أن حقوق الرحمن هي الغاية، وأما حقوق الإنسان فهي تبع لها ٢٧٩
- القاعدة الخامسة والأربعون: أنهم يَحْكُمُونَ على الناس بما ظهر من أعمالهم، ويدعُونَ السرائر إلى الله ٢٨٣
- القاعدة السادسة والأربعون: أنهم يحذرون المسلمين من مضلات الفتن ٢٨٥
- القاعدة السابعة والأربعون: أنهم يقرّرون أن من أبرز علامات أهل البدع: التلون والتنقل، وأنهم قلما يُوقَفُونَ للتوبة ٢٩٥
- القاعدة الثامنة والأربعون: أن من منهاجهم التعامل مع الخلق بالصدق والأمانة والنصح ٣٠١
- القاعدة التاسعة والأربعون: ويعتقدون أنه لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا ٣٠٥
- القاعدة الخمسون: أنهم يقرّرون أنه يقع الغلط في مفهوم الورع من ثلاث جهات ٣١١

- القاعدة الحادية والخمسون: أنهم يدعون إلى ما دعا إليه القرآن من مكارم الأخلاق ٣١٥
- القاعدة الثانية والخمسون: ويعتقدون أن الله تعالى جعل الإمامة في الدين مورثة عن الصبر واليقين ٣١٩
- القاعدة الثالثة والخمسون: أن الكفار عندهم ليسوا على درجة واحدة في التعامل معهم ٣٢٣
- القاعدة الرابعة والخمسون: ويعتقدون ما دل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَتَهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ٣٢٧
- الخاتمة ٣٣١
- فهرس المحتويات ٣٣٩



رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com